



دعوة تربوية للفكر العربي الكبير

د. عبد الله الطيب

محمد ﷺ في عيد مولده العظيم

خالد محمد خالد

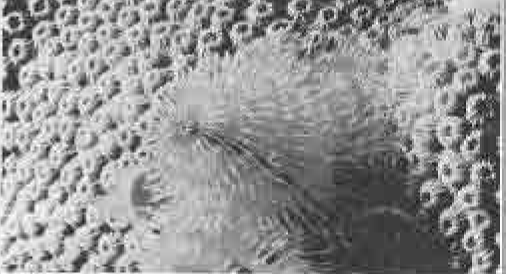




هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



فاس مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبين



محمد

في عيد مولده العظيم

لم تفت مناسبة الحديث عنه ، وما كنا عنها بغافلين .. فنحن لا نزال فى الايام التى فى مثلها اهل على الدنيا أشرف الخلق وخاتم الرسل منذ اكثر من الف واربعمائة عام .

اسمه محمــد ، واسم أبيه عبد الله ، واسم امه آمنة .. وإنه لياكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق . ويحب ويكره ، ويرضى ويسخط ، ويعافى ويمرض ، ويصحو وينام ..

هو إذن بشر مثلنـــــا ولكن اى بشر كان .. ؟؟ وانى له تلك الحياة التى عاشها طولا وعرضاً ، وأودعها جليل العمل ، ومعجز القول ، وطاهر السلوك ؟

هذا اليتيم ، الذى اخذ مكانه بين أباء البشرية ورعاتها .. الأمى ، الذى اخذ مكانه فى الذروة بين هداة الحياة وأساتذتها .. العربي ، الذى حمل وحملت امته من بعده مشعل الحضارة ومنحوا مدنية الانسان ثراء لا يغيض .

إنه من طينتنا ،ومن طبيعتنا .. لم يخلق من نور ولا من نار .. ولم يكن بين العالمين أول موجود .. ولم تحط بمولده تلك الخوارق التى نسجتها اساطير المؤمنين .

جاء الدنيا كما جئتها أنت ، وأنا ، والآخرون ..

لم يهبط من السماء فى كوكبة من الملائكة ، ولم يعش بين الناس ملكاً ، بل بشراً .

وهو ـ عليه افضل الصلاة وازكى السلام ـ كان يعرف هذا ويعتز به .

وكان دائم الأعلان عن بشريته ، حتى لكانه يرى فيها وحدها مناط عظمته وفخاره .

اينا يجد الشجاعة ليتحدث فى ملأ من الناس عن امه بهذه الصيغة التى تحدث بها حين قال للأعرابى الذى وجل من هيبته حين ادخل عليه : « هون عليك فانما انا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة » .. ؟ !!

ألا حياه الله من انسان ، وحياه الله من رسول ..



وكما ولد بشراً ، عاش حياته بشراً .. وما نظن أن ملائكة هبطوا من السماء يحملون إناء من ذهب ، حيث شقوا صدره الشريف وانتزعوا منه مسكن الشيطان ، ثم غسلوه بماء الورد ، وأعادوه كما كان !!

بقـــلم

خـالد محمد خالد

ولو حدث هذا ما كان له ـ إذن ـ كبير فضل فى عظمة نفسه ، وجليل نسكه ، وبناء شخصيته .

لكن الذى حدث هو أن الله سبحانه خلى بين « محمد » ونفسه ، ليصارع رغباتها ، ويتفوق على كل أهوائها ، ويحقق استعدادا فذا وأهلية كاملة للرسالة العظمى التى سيحملها فى ميقاتها المعلوم .. وبهذا ، تتالق فيه عظمة الانسان وعظمة الرسول .

ذلك انه جاء ليكون قدوة ، فلو صاغت فضائل نفسه قوة خارقة ، وسارت حياته خارج قوانين الحياة واسبابها المالوفة ، لبطل معنى القوة وتعذر التاسى ، ولصار للمطالبين بالايمان به ، واتباعه عذر صادق فى إعلانهم العجز عن اللحاق به .

كيف ـ إذن ـ بلغ هذا الرســـول العظيم ما بلغ ، وكيف طبع الحيـــاة الانسانية بطابعه الخالد الوثيق ؟ ؟

لاشك أن اصطفاء الله له كان خليقا بأن يختصه برعايته ونفحاته ، ويؤيده بروح من عنده ، ويبسط عليه يد رحمته وعنايته وتوفيقه . لكن ذلك كله يتم داخل إطار بشريته .

والذين بهرتهم عظمته معذورون . فرسول الله هذا الذى أرسله الله إلى الناس فى قيظ الحياة ، وجعله رحمة مهداة ـ كان نسقا من البشرية جد عظيم وجد فريد .

ومن أى النواحى جئناه وجدنا القا يبهر الأعين والألباب . لقد ظفر من نعم الله بالقدر الذى جعله أهلا لحمل رايته ، والتحدث باسمه .. بل وجعله خاتم أنبيائه ورسله .

ومهما تتبار القرائح والأقلام متحدثة عنه ، عازفة أناشيد عظمته ، فستظل جميعا كان لم تبرح مكانها ، ولم تحرك بالقول لسانها .. وتبقى الصفحات المتحدثة عنه مهما تبلغ من الضخامة والكثرة مجرد « بنان » تومىء فى استحياء إلى القليل القليل من سمات تفوقه وعظمته .. !!

هذه العظمة التى جعلت أفئدة الناس تهوى إليه ، والتى جذبت نحوه فى ولاء منقطع النظير كل الذين امنوا به والتفوا حوله ، ورأوا فيه الهدف والطريق ، والرســـول والمعـــلم والأب والأخ والصديق. !! ترى أى سر جعل أشراف مكة والمدينة يهرعون إليه ويؤمنون به ويبايعونه على ان يخوضوا معه البحر والهول إذا دعاهم لخوضهما .. وما الذى جعل فقراء مكة والمدينة الذين اتبعوه يصدقون أن الدنيا ستفتح عليهم اقطارها ، وان اقدامهم ستخوض فى ذهب العالم وتيجانه .. وان هذا القرآن الذى يتلونه فى استخفاء ستردده الآفاق عالى الصدح قوى الرنين ، لا فى جيلهم فحسب ولا فى جزيرتهم فحسب . بل عبر جميع الزمان وجميع المكان ؟!

ما الذى جعلهم يصدقون نبوءات الرسول ، وهم الذين يتلفتون حولهم ، فلا يجدون أمامهم وخلفهم ، وعن ايمانهم وعن شمائلهم سوى القيظ والسغب ، وحجارة تلفظ فيح الحميم وشجيرات يابسة طلعها كأنه رءوس الشياطين ..

ما الذى ملأ قلوبهم باليقين وبالعزم ؟؟

إنه « محمـــــد » بكل عظمة نفسه وسمو فضائله ، وبكل ما حباه الله به من نور فى شخصيته ، ومن خلق عظيم .



وإذا بهرتنا جميع خصائصه المتفوقة وخصاله المتالقة ، فإن أمانتـــه على مسئولياته كرسول أمة وبانى دولة تستاثر منا بالاهتمام الشديد .

مسئوليته عن دينـــه ودعـــوته ، ومسئوليته عن صحبه وأمته ، ومسئوليته عن الحياة والأحياء جميعا ، حتى الهرة التى اخبرنا أن امراة دخلت النار بسببها حين حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تاكل من خشاش الأرض .. وحتى الكلب الذى اخبرنا عنه أن بغيا دخلت الجنة وشكر الله لها حين رأته يلهث من العطش ، فخلعت خفها وأدلته الى ماء البئر وسقته رحمة به وحنانا عليه !! .. مسئولية رسول أمين ، وحاكم أمين ، وأخ للبشرية وللحياة كلها . حان عليها وبر بها وأمين .

تتجلى مسئوليته عن دينه ودعوته حين لم يجعل التخلى عنهما أو المجاملة فيهما ثمنا لسلامته من الأذى والخطر ، بل ومن الموت الذى كان يبدو محققا .. وهكذا سمعته الدنيا كلها وهو يقول لعمه ساعة بدا انه ينوء بعبء مناصرته : «والله يا عم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» !!! ..

لم يكن سيد الرجال فحسب ، بل كانت كلماته رجالا !! ...

وتتجلى مسئوليته عن الدين والدعوة حين رفض ان يكونا موضع مساومة ستفضى به الى النصرة والمنعة .

ففى تلك الأيام اللافحة القائظة ، وقد رحل عنه الى الآخرة عمه أبو طالب وزوجه خديجة ، وتالبت القبائل ضده فى حنق وسعار ... ورفضت فى خسة ونذالة إيواءه او مسالمته ، عرض نفسه على

محمد في عيد مولده العظيم

قبيلة بنى عامر بن صعصعة ، وراح يحدثهم عن الله ويتلو عليهم اياته ويسالهم النصرة حتى يبلغ دعوة ربه ، فساله زعيمهم قائلا : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم اظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الامر من بعدك» ؟؟ .

وهنا يجيبهم الصادق مع الله ، ومع نفسه ، ومع الناس : «الأمر لله يضعه حيث يشاء» !!

عندئذ انفضوا عنه قائلين «لا حاجة لنا بامرك» ..



وكان عليه السلام يمارس الامانة هذه وهو على وعى كامل بقيمتها ، وإدراك سوى لمضمونها .. لم تكن عنده كما هى عند الناس اليوم مجرد المحافظة على وديعة او عارية . بل كانت حفاظا رشيداً لوديعة الحياة كلها .

وبهذه المثابة اتسعت الامانة عنده لكل فضيلة . فهو صادق ، ووفى ، وشجاع وجواد ، ودءوب : لأن امانة مسئولياته تتطلب أن يكون ذلك جميعه .

وتبدأ الأمانة عنده مع نفسه ، فلا يبتذلها فى موقف أبداً ، حتى تلك المواقف التى لا يعتبرها العرف ابتذالا ..

تصوروا إنسانا لا يمد رجله فى مجلس أبداً .. ولا يقهقه أبداً .. ولا يتلفت خلفه وهو يسير ..

وكما قال البوصيرى :

ضحكه التبسم ، والمشى الهوينا ، ونومه الاغفاء .

وإنه ليحمل تبعات امانته طفلا ، ويافعاً ، وفتى ، ورسولا ..

ففى طفولته لا يسرف فى التلهى واللعب ويقول : «أنا لم اخلق لهذا» !!

وفى شبابه يصون نفسه عن أن تفقد كرامتها امام صنم يخر له ساجداً وعابداً ، ويلتزم الصدق المطلق ، والعفة المطلقة ، والكمال الميسور ، ويلقبه قومه بالأمين ..

وفى مطلع رسالته تتجلى امانته على دينه فى مواجهته العذاب ، والسخرية ، والمشاق دون تململ . وبتفوقه على المغريات التى تفتن كل رجل طماح ، والتى نثرتها قريش تحت قدميه وهى تحاوره او تساومه وتعده بالمال حتى يكون اغناهم ، وبالجاه والمجد حتى يكون سيدهم ، وبالملك حتى يتوج ملكاً عليهم !!

وذات ليلة تفتقده زوجه «خديجة» فى بهمة الليل وسواد الظلام .

واخيرا تعثر عليه يعانق الأرض فى سجود طويل . وبعد ان ينهى صلاته تناديه فى رفق : «حسبك يا رسول الله ، وهيا الى النوم فقد اجهدت نفسك» .

فيجيبها فى رهبة الواعى لمسئولياته الأمين عليها : «انتهى عهد النوم يا خديجة» !! ..

اجل انتهى عهد النوم يا خديجة .. تلك هى القضية !! قضية رجل لم يعد يملك نفسه ولا راحته .. لم يعد يرى لنفسه حقا حتى فى الراحة !!

إنها الأمانة على مسئولياته ، ومسئوليات دوره الجديد والفريد الذى اصطفاه الله له ، والذى اعد نفسه له بعظائم الخصال ، ومكارم الأخلاق .

اجل . تلك هى القضية ..

قضية رجل تراكمت الأموال بين يديه بعد نصر الله له ، فلم يتغير ، ولم يأخذ منها لنفسه ولا لأهله مطمعاً ، ومات ودرعه مرهونة !!

قضية رجل دانت الجزيرة لدعوته ، ووقف كثيرون من ملوك الأرض وحكامها أمام رسائله التى دعاهم بها الى الاسلام ضارعين وجلين . فما استطاعت ذرة من زهو او كبر أن تقترب من نفسه ، ولو على بعد فراسخ !! ..

قضية رجل القى كل اعداء دينه السلاح ، ومدوا اليه أعناقهم صاغرين ليحكم فيهم بما يرى . بينما عشرة الاف سيف تتوهج تحت حرارة وضياء شمس الفتح ، فما زاد على أن ناداهم : «اذهبوا فانتم الطلقاء» !!

قضية رجل تملأ راياته الافق عزيزة ظافرة ، بينما هو فى مسجده المتواضع يخطب المسلمين ويناديهم : «من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتد منه ، ومن كنت اخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه» !! ..

قضية رجل يساله عمه العباس رضى الله عنه أن يستعمله على احدى الولايات فيصرفه فى رفق وهو يقول : «إنا والله يا عم ، لا نعطى هذا الأمر احدا يساله ، أو احدا يحرص عليه» !! ..

قضية رجل لا يشارك الناس ما ينزل بهم من خصاصة وحسب . بل يضع لنفسه ولأهل بيته مبدأ لا يحيدون عنه هو : «أن يكونوا اول من يجوع اذا جاع الناس ، وآخر من يشبع إذا شبع الناس» !! ..

قضية رجل يقول بحق وصدق : «والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» !! ..

قضية رجل تلم ظاهرة الكسوف بالشمس يوم وفاة ولده الحبيب «ابراهيم» فيتحدث المسلمون بأنها كسفت حزنا على «إبراهيم» فيسارع الرسول الأمين الى تفنيد هذا الزعم ودحض هذا الهاجس ، قبل أن يتحول الى أسطورة ، ويقف فى المسلمين خطيبا ويقول : «إن الشمس والقمر ايتان من ايات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» !! ..

ماذا عليه لو سكت ، واضيف هذا الهاجس لأمجاده ؟!..

ولكن لا ، فهو الأمين على عقول الناس وتفكيرهم .. وقيامه بحق هذه الأمانة خير عنده وآثر لديه من ملء الأرض مجداً أو حمداً ..

قضية رجل يعلم أن الله قد اختاره

ليختتم به المرسلين ، ويعلم أنه ليس رسولا الى قريش وحدها ، ولا الى شبه جزيرة العرب وحدها . بل هو رسول الله الى الناس كافة .. وقد فتح الله بصيرته على المدى البعيد الذى ستبلغه دعوته ، وتخفق عنده رايته .. ورأى رأى اليقين مستقبل الدين الذى بشر به ، والخلود الحى الذى سيكون له الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ورغم ذلك كله ، لم ير فى نفسه ، ولا فى دينه ، ولا فى نجاحه المذهل أكثر من «لبنة» فى بناء كبير !!

ووقف الانسان العظيم والرسول الكريم يعلن ذلك ويقول : «مثلى ومثل الانبياء قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فانا تلك اللبنة ، وانا خاتم النبيين» !! ..

اقول : تلك هى القضية .. قضية رسول عظيم ميزت شخصيته امانته على مسئولياته ، وبهرت هذه الأمانة فيه افئدة أعدائه قبل أصدقائه .. ولم يكن فى حياته مطمح يحث نحوه الخطى ، ويتبتل لبلوغه تبتل الأبرار سوى الوفاء بما عليه من حق تجاه هذه المسئوليات .

وهذه القضية تشكل جوهر اخلاقه ، وجوهر مبادئه ودعوته .. فاذا كان الدين – أى دين – يتطلب رجالا من اولي العزم ليشقوا الصخر فى طريقه ، ويهيئوا الأرض لتقبل غراسه واحتضان بذوره ، فان هؤلاء الرجال لن يكونوا رجالا إلا بقدر ما يكون ولاؤهم لمسئولياتهم عظيما .

من اجل ذلك راح سيدنا محمد يعطى القدوة ، وينشىء الرجال ويصنع الاحرار .

وإن عيد مولده فى هذا العام وفى كل عام لينادى المسلمين ،لاسيما الحكام منهم والأمراء ، أن يكونوا امناء على مسئولياتهم تجاه الدين ، وتجاه الامة .

وان يذكروا انهم لن يمكن لهم فى الأرض إلا بقدر ما يمكنون لدين الله وكلماته ، وإلا بقدر ما يمكنون شعوبهم من تحمل مسئولياتهم بالمشاركة الكاملة فى توظيف حياتها وتقرير مصيرها .

ومن يتقاصر به الجهد عن بلوغ هذه الغاية ، فقد ظلم نفسه ، وظلم امته معه .

لقد كان الرسول يدرك ان المسئولية جسيمة ، وانه لن يستطيع وحده ان يقوم بها .. من اجل ذلك راح يذيب فى اصحابه ارادة التهيب ويضع مكانها رجولة الرجال وتقحم الأحرار .

وهكذا نحن اليوم ، لن يستطيع حاكم مهما اشتد باسه أن يتحمل وحده المسئوليات الشداد ..

وكلما كثر الاحرار حوله توزعت عليهم المسئوليات .

فلننم رصيدنا من الرجال ، ورصيدنا من الاحرار .

حـــــول إخـــــوان الصفـــــا

طالعت فى العدد ٧٢ من مجلة الدوحة ما كتبه الحاج عبد الأمير علوش مناقشا ما ورد عنهم في مقالى « انا افكر ، إذن انا مسلم » ..

وإنى أولا ، لاشكر السيد على اهتماماته العلمية والثقافية ، ومناقشته الواعية لما يعرض الفكر من قضايا وآراء .

ثم اذكر السيد والقراء معه اننى لم اكن بصدد عرض فلسفة إخوان الصفا ولا بصدد مناقشتهم فيما ذهبوا إليه من اقتناع ورأى .

إنما ضربتهم مثلا لا غير لما يفيئه الاسلام ، او لما يفيئه الفكر الاسلامى على ذويه من حرية سابغة ومتراحبة .

اما مناقشة فلسفتهم ، فيمكن ان يكون لها مجال اخر .

ولم يكن من الصواب ان استبعدهم من دائرة الاستشهاد على حرية الفكر فى الاسلام لمجرد ان البعض حكم عليهم بالكفر .

فالذى يقرأ تاريخ الفقه الاسلامى فى عصره الاول يرى كيف كانت تهمة التكفير تلاحق الكثيرين من الاعلام الأفاضل ، بل وتطارد بعض الائمة الكبار . ويرى كيف كان انصار بعض المذاهب يحكمون ببطلان صلاة الذين على غير مذهبهم ، ويحرمون مناكحتهم ومعايشتهم بينما يرون ذلك مباحا مع اليهود والنصارى أهل الكتاب .. !!

ولقد حكم بالكفر على رجال عظام من أمثال « ابن رشد » واضطهدوا ، لانهم انسوا من الاسلام حرية تفكير وتعبير ، فراحوا يهتفون باقتناعهم فى غير وجل ولا زيف .

إن دينا سماويا ، او وضعيا ، لم يمنح الانسان حقه فى استخدام العقل مثلما منح الاسلام – فلماذا نغمط الاسلام هذا الشرف .. ؟

واين تكون حرية الفكر إذا كان كل مخالف لنا كافرا وزنديقا .. ؟ !

ومرة اخرى ، لست بصدد مناقشة ولا بصدد تقييم او تقويم فلسفة إخوان الصفا ، إنما اعرضهم كمفكرين إسلاميين استثمروا حرية الفكر فى الاسلام اوسع استثمار .

خالد محمد خالد



الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

بقلم
الدكتور عبد القادر ياسين

فى العاشر من كانون الاول ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة اول تعريف دولى لحقوق الانسان هو « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » .

وقد ادرجت الحقوق الواردة فى هذا الاعلان فى اتفاقيتين دوليتين هما اتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية واتفاقية الحقوق المدنية والسياسية ، وكانت الجمعية العامة قد وافقت عليها بالاجماع عام ١٩٦٦ . وتلتزم جميع الحكومات التى تصدق على الاتفاقيتين التزاما قانونيا بتطبيق كافة حقوق الانسان المدرجة فى الوثيقتين .

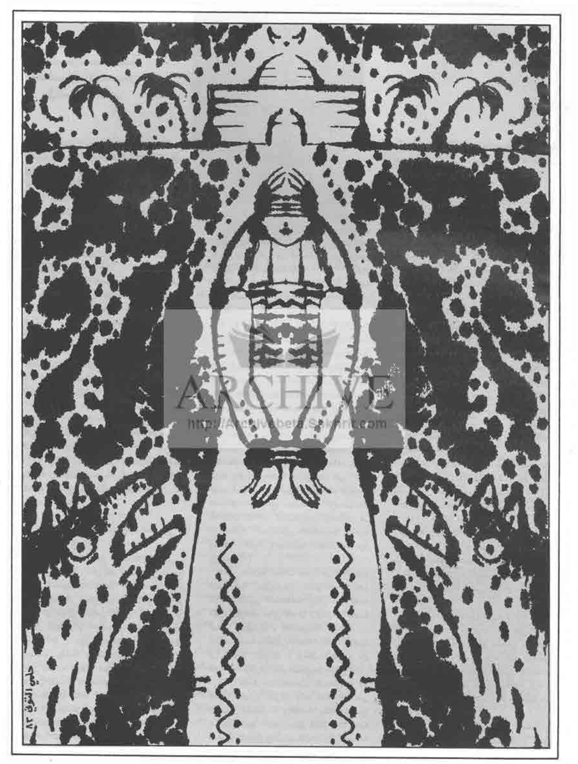
ومنذ ذلك الحين اهتمت الأسرة الدولية بشكل لم يسبق له مثيل بحماية حقوق الانسان الفردية والجماعية . ونتيجة لهذا الاهتمام تم وضع قائمة بحقوق الانسان المعترف بها دوليا وقد ادرجت هذه الحقوق فى مواثيق ومعاهدات واتفاقيات وبروتوكولات . ومع ذلك لازالت هذه المواثيق دون تنفيذ . وعلى الرغم من انه جاء فى اعلان قيام الكيان الصهيوني فى الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ ان « الدولة ستعمل لخير كل سكانها وعلى اساس الحرية والعدالة والسلام ، وستعمل على المساواة الكاملة فى الحقوق السياسية والاجتماعية لكافة المواطنين دون تمييز على اساس العقيدة او العرق او الجنس » وقد شكلت الممارسات الصهيونية ، منذ البداية ، خرقا صارخا لابسط قواعد حقوق الانسان ابتداء باحتلال الارض والارهاب الذى تشهد عليه مذبحة دير ياسين الجماعية فى التاسع من نيسان ١٩٤٨ والذى قتل فيها نحو ٢٥٠ شخصا (١) وطرد السكان المدنيين اثر موجة الارهاب التى ساهمت فى تفريغ قرى بكاملها مثل : صفد وقالونية وبيت اكا (٢) .

وما زالت « اسرائيل » مستمرة فى انتهاك حقوق الانسان ضاربة عرض الحائط العديد من قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة التى اعترفت بان للشعب الفلسطيني الحق فى « حقوق متساوية فى تقرير المصير (٣) طبقا لميثاق الأمم المتحدة » . وقد طالبت المنظمة الدولية فى العشرات من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة بضرورة السماح للشعب الفلسطينى بالعودة الى وطنه وممارسة حقوقه الوطنية .

وتؤكد التقارير الصادرة عن الهيئات القانونية التابعة للأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ استمرار العدو الصهيونى فى انتهاكه لحقوق الانسان فى الوطن المحتل منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا . ومن ابرز الدلائل على ذلك :

أولا : ما ذكرته صحيفة « الواشنطن بوست » الامريكية مؤخرا نقلا عن برقيات واردة من القنصلية الامريكية فى القدس أن المعتقلين السياسيين العرب فى « اسرائيل » يتعرضون لعمليات تعذيب منتظمة خلال استجوابهم . وتقول الصحيفة « ان اعمال التعذيب هذه تشمل التبريد لدرجة التجمد واستخدام اشكال التعذيب وعدم توفير الغذاء » (٤) .

ثانيا أصدرت الرابطة الاسرائيلية لحقوق


حلمي التوني ٨٢

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

الانسان بيانا ، فى أيلول الماضى نددت فيه بتعريض العديد من الطلبة العرب الى قيود وتفتيش ليلي وتقديم تقارير للشرطة بسبب اصدارهم بيانا يعبر عن ارائهم . وجاء فى البيان ايضا ان هذا يعتبر طردا للطلاب من الجامعة . وهو عبارة عن خطوة غير ديموقراطية ضد حقوق الانسان فى «اسرائيل» اذ انها تعطى الشرطة حق الملاحقة والتنفيذ دون السماح للمتهم بالكلام او الدفاع عن النفس (٥) .

ولقد قام العدو الصهيونى بوضع العديد من التشريعات التى تهدف الى الغاء الصفة الفلسطينية وتقييد حرية الحركة ، وقامت الحكومة العسكرية بتشريع وممارسة ما من شانه إبعاد الأهالى ومنع عودتهم . ومن القوانين التى ساعدت فى تحقيق انتهاك حقوق الفلسطينيين قوانين الدفاع والطوارىء لعام ١٩٤٥ ، وقوانين الدفاع (المناطق الأمنية) لعام ١٩٤٩ ، وقانون املاك الغائبين لعام ١٩٥٠ ووضع املاك الفلسطينيين تحت الحراسة ، وقانون استغلال الاراضى غير المزروعة ، وقانون العودة لعام ١٩٥٠ ، وقانون الجنسية لعام ١٩٥٢ (٦) .

ولا يتسع المجال الا لاستعراض بعض الامثلة الماخوذة من مصادر عديدة والتى تؤكد انتهاك « العدو » لحقوق الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة»:

الاضطهاد السياسى :

تنص المادة الثانية من « الاعلان العالمي » « لحقوق الانسان » ان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان بصرف النظر عن الجنس واللغة او الدين او الراى السياسي او اى راى اخر ، او الأصل الوطنى أو الاجتماعى او الميلاد او اى وضع اخر ، دون اية تفرقة بين الرجال والنساء . وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك اى تمييز اساسه الوضع السياسي او القانوني او الدولى للبلد او البقعة التى ينتمى اليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا او تحت الوصاية او غير متمتع بالحكم الذاتى او كانت سيادته خاضعة لاى قيد من القيود . كما جاء فى المادة التاسعة عشرة ان لكل شخص الحق فى حرية اعتناق الآراء دون اى تدخل واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها باية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

لكن حرية التعبير والتنظيم التى وردت فى الاعلان ليس معترفا بها للفلسطينيين . فقد جاء فى صحيفة « هارتس » الصهيونية الصادرة فى ١٩٧٣/٥/٧ ان الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله الغى تصاريح تجار رام الله والبيرة باستيراد المواشى فى الضفة الشرقية واعلن انه لن يسمح بتسليم مبلغ ١٠٠٫٠٠٠ دولار تبرع بها المهاجرون الفلسطينيون من رام الله وذلك بسبب اضراب سلمى قام به سكان المدينة (٧) .

لا تسمح سلطات الاحتلال « لرؤساء البلديات فى الضفة الغربية وغزة الا بالقليل من النفوذ ، وتحتفظ للحاكم العسكرى بحق البت فى كل القرارات الهامة » . ويقول بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس ان «اسرائيل» تحاول التقليل من سلطة رؤساء البلديات بجعل ارتباط الناس وتعاملهم المباشر مع الحكام العسكريين فى كل منطقة (٧) وبالاضافة إلى ذلك فان رؤساء البلديات ليسوا محصنين ضد الاهانات التى تصيب باقى الفلسطينيين ، وقد وصف كريم خلف رئيس بلدية رام الله حادثا حصل معه فى ١٩٧٦ عندما استقال هو وغيره من رؤساء البلديات احتجاجا على قمع سلطات الاحتلال لمظاهرات الطلاب الفلسطينيين ويتلخص فى ان الجنود الاسرائيليين اقتحموا منزله وجمعوا اقاربه واطلقوا النيران فوق رؤوسهم (٨) .

قامت « لجنة الطلاب العرب فى الجامعات الاسرائيلية » بتوزيع بيان اعلنوا فيه تاييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية . وفى اليوم نفسه اعلن الحاخام مائير كاهان رئيس « عصبة الدفاع اليهودية » الصهيونية المتطرفة أن الطلاب العرب يعتبرون بمثابة « قنبلة موقوتة فى الدولة اليهودية » وطالب بطردهم من الجامعات وانزال اقصى العقوبات بحقهم (٩) .

أعلن العمال والمستخدمون الفلسطينيون فى بلدية الناصرة اضرابا وذلك احتجاجا على المعاملة السيئة ، والمطالبة بالمساواة مع زملائهم اليهود . فعلى سبيل المثال تلقت بلدية الناصرة العربية والتى يسكنها ٤٥٫٠٠٠ نسمة ٤٫م مليون دولار بينما حصلت الناصرة العليا حيث يسكن ١٨٫٠٠٠ يهودى على ٨ ملايين دولار (١٠) .

العقوبات الجماعية

نصت المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف على انه « لا يجوز معاقبة شخص لمخالفة لم يرتكبها شخصيا » . ونصت المادة ٢٢ من الاعلان العالمى لحقوق الانسان انه (لا يتعرض احد لتدخل تعسفى فى حياته الخاصة او اسرته او مسكنه او مراسلاته او لحملات على شرفه وسمعته . ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل هذا التدخل او تلك الحملات) . بيد ان سلطات الاحتلال الصهيونى لا تقيم وزنا للأعراف والمواثيق الدولية . وهى لا تتردد فى فرض حظر التجول . وفرض الحصار هلى المناطق والقرى والمخيمات الفلسطينية واطلاق الرصاص دون سابق انذار على كل من يخالف ، وفرض القيود على بيع المنتوجات وحتى تدمير المنازل وتدمير قرى باكملها . وسنكتفى هنا بعرض بعض الامثلة التى تتحدث عن نفسها :

● دمرت سلطات الاحتلال بلدة قلقيلية عام ١٩٦٧ بالديناميت ونهبتها . كذلك تم تدمير وطمس قرى عمواس وبيت نوبا ويالو (١١) .

● ذكرت صحيفة « تسوهاديريخ » الصادرة فى ١٩٦٩/٥/١٤ ان منزل السيدة عايدة عيسى سعد فى غزة نسف فى ١٩٦٩/٣/٢٠ م رغم انه ليس ملكها او ملك والديها . وعندما سئل وزير الدفاع الصهيوني موشيه دايان عما اذا كان هذا العمل من قبيل المسؤولية الجماعية للعائلة عن افرادها اجاب « نعم » (١٢) .

● يفرض منع التجول على قرى باكملها انتقاما لاضراب او تظاهرة . فى عام ١٩٧٦ على سبيل المثال فرض منع التجول غير مرة على مدن الخليل وجنين ورام الله ونابلس والبيرة وحلحول وطولكرم وعلى المخيمات الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وكل هذه الاجراءات كانت تتبع تظاهرات معادية للاحتلال (١٣) .

● دمرت بيوت لأشخاص من المعتقد ان لهم علاقة بالارهاب وفى حالات اخرى اغلق

المنزل وطرد سكانه مع عائلاتهم . وفي السنة الماضية دمر منزلان على الأقل واغلقت ستة منازل اخرى (١٤) .

طرد الأهالي وترحيلهم

تنص اتفاقية جنيف الرابعة على انه لايجوز «نقل الأفراد او الجماعات بالقوة وترحيل الاشخاص المحميين من اراضي محتلة الى اراضي القوة المحتلة او الى اى بلد آخر محتل او غير محتل مهما كانت الدوافع » . ونصت المادة التاسعة من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على انه « لا يجوز القبض على اى انسان او حجزه او نفيه تعسفا » . ونصت المادة الثالثة عشرة من الاعلان على ان « يحق لكل فرد ان يغادر اية بلاد بما فى ذلك بلده كما يحق له العودة اليه » ونورد فى ما يلى بعض الأمثلة التى تشير الى انتهاك العدو لهذه المواثيق :

● « جاء فى صحيفة « معاريف » الصهيونية الصادرة فى ١٩٦٨/١٠/٣٠ ان عشرة فلسطينيين معروفين طردوا الى الاردن ومن بينهم رئيس جمعية المعلمين فى الضفة الغربية ورئيس جمعية الهلال الأحمر وثلاثة معلمين ومفتش فى التعليم » (١٥) .

● ذكرت صحيفة هارتس (٢٨/١٠/٧٩) ان امرأتين هما امينة سر الجمعية النسائية فى نابلس وابنتها طردتا الى الضفة الشرقية لنهر الاردن (١٦) .

● وجاء فى هارتس ١٩٦٩/٥/٢١ ان قبيلة بدو بأكملها طردت من وادى الاردن (١٧) .

● « فى الساعة ١١٫٣٠ مساء فى ١٩٧٤/١١/٢٠ تلقي الدكتور حنا ناصر رئيس جامعة بيرزيت مكالمة هاتفية من الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله تدعوه فورا إلى مكتب الحاكم العسكرى . وايقظ الدكتور ناصر عددا من اعضاء الهيئة التدريسية فى جامعة بيرزيت واخذهم معه . وفي مكتب الحاكم العسكرى فصل الدكتور ناصر عن باقى اعضاء الهيئة التدريسية وبعد ساعة اخذت اوراقه الثبوتية واحاط به مجموعة من الجنود وعصبت عيناه ووضعت السلاسل فى يديه ووضع فى سيارة كان فيها ثلاثة فلسطينيين ـ مهندس ومدرس وطبيب أسنان . واخذ الاربعة الى الحدود اللبنانية واجبروا على الدخول الى الاراضي



اللبنانية عبر تضاريس جبلية وحقول الغام . ولم توجه اى تهمة لأى منهم لكنهم اتهموا بعد طردهم بالانتماء إلى منظمة التحرير الفلسطينية . ويقول الدكتور ناصر ان لا احد منهم كان له علاقة بالمنظمة » (١٨) .

● نشرت جمعية الأمريكيين للسلام في الشرق الاوسط تقريرا في كانون الاول ١٩٧٧ جاء فيه ان ١٥٠٠ فلسطيني من الضفة الغربية وغزة طردوا منذ عام ١٩٦٧ من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية ... ويحتوي التقرير على اسماء الذين طردوا وتواريخ الطرد والاعمار والمهنة ومكان السكن ومصدر المعلومات . (١٩)

الاعتقال الادارى واوضاع السجون

● تنص المادة الخامسة من «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» على ان «لا يعرض اي انسان للتعذيب ولا للعقوبات القاسية او الوحشية او الحاطة بالكرامة» وتنص المادة الحادية عشرة ان «كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا حتى تثبت إدانته قانونيا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه» . الا ان عددا لايحصى من التقارير الرسمية تؤكد استخفاف العدو بالاعتراف بالمواثيق الدولية :

● فى عام ١٩٧٥ اعترفت سلطات الاحتلال الصهيوني بوجود ١٨٠٠ معتقل اداري في المناطق المحتلة . ويمضي الكثيرون من هؤلاء فترة طويلة دون محاكمة ، واحيانا يطلق سراحهم قبل تقديمهم للمحاكمة ، ويوافق الكثير منهم على الهجرة أو كما يطلق على الموضوع رسميا «يوافقون على طردهم» . (٢٠)

● ذكرت صحيفة «تسوهادبريخ» الصادرة في ٦٨/٩/٤ ان المعتقلة عبلة طه قالت في مقابلة مع المحامية فيليسيا لانغر انها تركت عارية بعد اعتقالها لمدة ثمانية ايام في زنزانة ، وضربت بوحشية حتى بدات تنزف . ذلك انها كانت حاملا ورفض طلبها للعلاج . كما روت لطيفة الحوراني للمحامية قصة مماثلة . (٢١)

● اعتقل الطالب عبد الرحمن الجاسم في تشرين الاول ١٩٦٨ وهو طالب ثانوي من غزة وبقي ١٠ اشهر ينتظر المحاكمة واحتج على التعذيب ثم الغيت تهمته ولكن لم يطلق سراحه وبقي في المعتقل . (٢٢)

● اعتقل الطالب حسن عيسى الباطات وعمره ١٥ عاما وذلك في عام ١٩٦٨ بتهمة عدم وجود بطاقة «هوية» معه ، ورغم انه فسر للسلطات انه لا يعطى بطاقة هوية لان عمره ١٥ عاما فقط الا انه اخذ الى سجن الخليل وضرب على راسه وتوفى بعد ساعات من الافراج عنه وقال طبيب محلي ان سبب الموت إصابة في الدماغ . (٢٣)

● ذكرت جمعية الصليب الاحمر الدولي في تقريرها لعام ١٩٦٨ ان عددا من المعتقلين يتعرض للتعذيب اثناء الاستجواب من قبل الشرطة العسكرية ويأخذ التعذيب الاشكال التالية :

- التعليق من الايدي لساعات حتى يفقد المعتقل وعيه .
- الحرق باعقاب السجاير
- الضرب على الأعضاء التناسلية
- الربط وعصب الاعين لايام طويلة
- عض الكلاب
- استخدام الكهرباء على الراس والفم والصدر والاعضاء التناسلية . (٢٤)

● وجاء في تقرير جاء عن لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة «ان الصور التي تكونت لديها تشير الى ان المعتقلين في الأراضي المحتلة يتعرضون لمعاملة لا يمكن وصفها بشيء غير انها تعذيب» . (٢٥)

● هناك دلائل تشير الى ان التعذيب يحصل في السجون الاسرائيلية بشكل منتظم وليس عملا يقوم به بعض المحققين بشكل فردي لكن الواضح ان المسؤولين الاسرائيليين الكبار على علم تام بكل ما يجري حيث ان هناك معسكرا مخصصا لهذا الغرض وقد

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

تاكدت صحيفة «صنداي تايمز» اللندنية من ان هذا الموقع هو على الاغلب سجن الصرفند وتقول الصحيفة ان هناك زنازين صغيرة بدون نوافذ يوضع فيها المعتقلون في الفترات ما بين التعذيب . (٢٦)

● ويحدث ان يختفي سجناء ولا تعرف اسرهم عنهم شيئا ومن هذه الحالات : وجدي قمحاوي (٢٧ عاما) محمد زايد (٤٤ عاما) ـ بسام هندي (٢١ عاما) ـ بسام امير (٢١ عاما) وجميعهم من نابلس واعتقلوا في ٧٤/١/١٥ ولا يزال مصيرهم مجهولا . (٢٧)

استغلال الأيدى العاملة وسلب الأراضى الزراعية

تنص المـــــادة الســـــابعة عشرة من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» أنه «لا يجوز تجريد احد من ملكه تعسفا» اما المادة الثالثة والعشرون فتؤكد ان «لكل شخص الحرية في العمل وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما ان له حق الحماية من البطالة» وان «لكل فرد دون اي تمييز الحق في اجر مساو للعمل» وان «لكل شخص الحق في ان ينشيء وينضم الى نقابات حامية لمصلحته» .

لكن التفرقة واضحة بين العامل الفلسطيني والعامل الاسرائيلي .فالعمال العرب يتركزون في قطاع الخدمات والاعمال التي يانف العامل الاسرائيلي من القيام بها ويتعرض العامل العربي الى الطرد بحجة «امن الدولة» وليس هناك من يدافع عن مصلحته بينما يعطى العمال الاسرائيليون كافة حقوقهم التي يرعاها «الهستدروت» بينما لا يسمح للفلسطينيين بتشكيل نقابات . ويواجه الفلسطينيون صعوبات كثيرة في الحصول على تصاريح التجارة والعمل ، بينما تجرى كل التسهيلات للعمال اليهود . وتفرض سلطات الاحتلال ضرائب باهظة على المصانع الفلسطينية مما ادى الى تنـــاقص الانتـــاج في هـــذه المصانع . (٢٨)

وفي كثير من الاحيان يوضع العمال الفلسطينيون في مساكن في المصانع الاسرائيلية هي اقرب الى الاسطبلات منها الى المنازل وتغلق عليهم الابواب كل مساء وذات مرة حصل حريق نتج عنه احتراق ثلاثة منهم (٢٩) في غرفتهم لان الباب كان مقفولا من الخارج .

ومن صور الاستغلال للعمال الفلسطينيين ايضا ان سلطات الاحتلال الصهيوني تخصم ٤٠٪ من اجر العامل الفلسطيني للتامين رغم انه لا يتمتع باي من الضمانات التي يتمتع بها العامل اليهودي مثل العطل المدفوعة ، والتامين الصحي ، والتامين ضد البطالة ، وتعويض التقاعد . وقدرت المبالغ التي اخذت للخزينة الاسرائيلية من الخصومات بمبلغ ٣٦٠ مليون دولار في الفترة ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ .

وفيما يتعلق بالاراضي الزراعية فقد كان هناك تفرقة دائما بالنسبة للري واسعار المحاصيل الزراعية بين الاراضي الفلسطينية وبين تلك التي يمتلكها اليهود ومن الامثلة على هذه التفرقة :

● كانت نسبة الري حسب احصاءات عام ٦٢ ـ ٦٣ للاراضي اليهودية ٥ر٤٥٪ وللاراضي الفلسطينية ٨ر٣٪ وفي عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ كانت النسبة ٩ر٤٣٪ للاراضي اليهـــودية و ٦ر٣٪ للاراضي الزراعيـــة الفلسطينية (٣١) .

● كان سعر طن زيت الزيتون الاسرائيلي في عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ يبلغ ٨ر٩١ ليرة اسرائيلية وسعر طن الزيت الفلســـــطيني ٠ر٧٠ ليرة اسرائيلية (٣٢) .

هذا بالاضافة الى مصادرة الاراضي «لاسباب عسكرية وامنية»

● قدر الدكتور ا . باركجيان مبعوث الامم المتحدة ان سلطات الاحتلال الصهيوني سلبت ٢٥٪ من اراضي الضفة الغربية بين ١٩٦٧ ـ ٧٧ وقد وضعت هذه السلطات تشريعات وقوانين لتحقيق هذه الغاية ومنها املاك الغائب والاراضي غير المستصلحة وغيرها (٣٣).

● وجدت بعثة المحلفين الدولية في عام ١٩٧٧ ان اغلبية الاراضي التي اقيمت عليها المستوطنات الاسرائيلية هي اراضي مصادرة او مسلوبة . (٣٤)

تنص المـــــادة الثامنـــــة عشر من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» ان «لكل شخص الحق في حرية التفكير والدين . ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته او عقيدته وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك سرا ام مع جماعة » الا ان سلطات الاحتلال الصهيونية لا تراعي هذا النص وتمضي في انتهاك المقدسات والحرمات دون مراعاة المشاعر الدينية للفلسطينيين .

● فقد نهبت المساجد والكنائس والمتاحف وكان من بين المسروقات تاج اثري من الذهب الخالص كان يجلل راس السيدة العذراء في كنيسة القيامة عام ١٩٦٧ . (٣٥)

● كما طبقت السلطات الصهيونية عام ١٩٦٧ قانون الاحوال الشخصية في اسرائيل على المسلمين ودمرت مسجدين صغيرين في الحي العربي من القدس . (٣٦) كما قامت باحراق المسجد الاقصى في اب عام ١٩٦٨ .

● ذكرت صحيفة الجيروزالم بوســـت الصهيونية الصادرة في ١٩٧٣/٢/١٦ ان عبد الحميد شرف مندوب الأردن الدائم لدى الأمم المتحدة اتهم السلطات الصهيونية بهدم سور داخل المسجد الاقصى فى المدينة القديمة نتيجة الحفريات (٣٧) .

● وذكرت صحيفة (الــــديلى ســـتار) اللبنانية فى ١٩٧٣/٩/١٢ ان وجهاء الضفة الغربية وقطاع غزة طلبوا من موشى دايان والحاكم العسكرى لغزة وقف العمل فى موقع يعتبر مقبرة اسلامية بعد ان رفعت الجرافة الاسرائيلية جماجم ٢١ طفلا (٣٨) .

● وجاء فى صحيفة دافار (٧٣/٢/٨) ان الهيئة الاسلامية العليا احتجت على تدمير مساكن عربية فى باب السلسلة واعتبرتها تغييرا لمعالم المدينة المقدسة (٣٩) .

● واشارت صحيفة الديلى تلغراف اللندنية فى ٧٣/٢/١٣ الى ان اربعـــــة من « عصبة الدفاع اليهودية » المتطرفة قاموا باشعال النار فى مركز البعثة الانجيلية فى جبل الزيتون وان عشرات النسخ من الكتاب المقدس قد اتلفت نتيجة للحريق (٤٠) .

التفرقة العنصرية

نصت المادة الثانية والعشرون من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على ان « لكل شخص بصفته عضوا فى المجتمع الحق فى الضمانة الاجتماعية ... والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التى لا غنى عنهـــا لكرامته للنمو الحر لشخصيته » ونصـــت المادة الخامسة والعشرون على ان « لكل إنسان الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته ويتضمن

تلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة . وله الحق فى تامين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته » ونصت المادة السادسة والعشرون على ان « لكل شخص الحق فى التعليم . ويجب أن يكون التعليم فى مراحله الأولى والاساسية على الأقل بالمجان » .. « وان للآباء الحق الاول فى اختيار نوع تربية اولادهم » وان « لكل فرد الحق فى حماية المصالح الادبية والمادية والمترتبة على انتاجـــه العــلمي والاستفادة من نتائجه » .

ويلاحظ المرء ان السياسة الصــحية والاجتماعية والتعليمية التى ينتهجها العدو هى امتداد للسياسة العسكرية والسياسة فى الأراضى المحتلة .

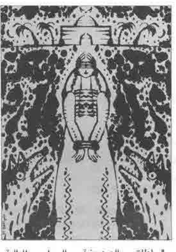
يسعى العدو « الى تشجيع الفلسطينيين على الاعتماد على خدماته الصحية وذلك باتباع أساليب تمنع تطور المؤسسات الطبية الفلسطينية وتحسين الخدمات الطبيـــة الموجودة لدى العرب الفلسطينيين (٤١) .

● فقد منعت السلطات الصهيونية جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني من جمع التبرعات ومن المعروف أن الجمعية تعتمد على التمويل الخاص وتقدم خدماتها مجانا . كذلك لا يسمح لها بتلقى الادوية من الخارج أو شرائها بأسعار مخفضة مثلها مثل المؤسسات الصحية الرسمية الأمر الذى حـــال دون تطـــور الجمعية (٤٢) .

● وعلى الرغم من ان الحاجات تزايدت فى النواحى الصحية الا ان السلطات الاسرائيلية تعطي موارد تكفى فقط لابقاء المؤسسات الصحية على حالها الذى وجدت عليه عام ١٩٦٧ . فعلى سبيل المثال كان عدد الاسرة فى المستشفيات الحكومية فى الضفة الغربية : (فيما عدا مستشفى الأمراض العقلية فى بيت لحم) فى ١٩٦٨ حوالى ٦٢٣ وفى عام ١٩٧٧ اصبح ٦٢١ سريرا وهذا يعنى تدهورا كبيرا لو اخذنا فى الاعتبار الزيادة السكانية (٤٣) .

● استولت سلطات الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٨ على ثلاثة مستشفيات فى رام الله والقدس ونابلس وحولتهـــا الى مـــراكز للشرطة (٤٤) .

● أكد ان الدكتور سمير كاتبه ان هناك نقصا فى الاخصائيين وهذا راجع لرفض



السلطات الصهيونية السماح للطلبة الفلسطينيين الذين درسوا الطب فى الدول العربية والأجنبية بالعودة الى وطنهم واضاف أن هناك ٨٠٠ طبيب فلسطينى فى المانيا الغربية قدم الكثير منهم طلبات للعودة ورفضت طلباتهم (٤٥) .

● وقال الدكتور عبد الرحمن نزال ان الميزانية الصحية السنوية للضفة الغربية كلها لا تزيد على ٦ ملايين دولار بينما تبلغ الميزانية السنوية لمستشفى شعار زيديك الاسرائيلى فى القدس الغربية ١٠ مليون دولار (٤٦) .

اما بالنسبة للاوضاع التعليمية فانها لا تقل سوءا عن الأوضاع الصحية فقد فرضت سلطات الاحتلال الصهيونية تدريس العربيـــة العامية فى كل المدارس الابتدائية فى اسرائيل على اعتبار ان العربية الفصحى لغة اجنبية ومجرد درس ثانوى فى المدارس الثـــانوية فقط (٤٧) .

● يعاني الطلبة الفلسطينيون فى الجامعات العبرية من تفرقة عنصرية . فقد حدث أثناء انتخابات مجلس الطلبة فى جامعة حيفا في آذار ١٩٧٣ ان اهان مرشح القائمـــة الصهيونية الموحدة « امنون انجل » مجموعة من الطلبة الفلسطينيين المشاركين فى الانتخابات بأن قال لأحدهم علنا « لماذا يعطى كل عربي قذر هنا ورقة للانتخاب ؟ لقد قتلت الكثير من الفلسطينيين امثالك لدرجة انني اتمنى ان يكون في جيبي نقود بعدد الذين قتلتهم » (٤٨) .

● أوضح الدكتور غابي برامكى عميد جامعة بيرزيت ان الضرائب التى تفرضها الحكومة الاسرائيلية على اللوازم والكتب التى تشتريها الجامعة تعيق عمل الجامعة واضاف ان الجامعات العبرية معفاة من مثل هذه الضرائب والرسوم . واحيانا تضطر جامعة بير زيت الى الاستغناء عن كثير من لوازم المختبرات والابحاث لغلاء ثمنها . ومما يعيق عمل الجامعة أيضا منع استلامها دوريات باللغة العربية من الدول العربية وطرد افراد من الهيئة التدريسية او عدم منح اذن اقامة لاساتذة آخرين (٤٩) .

● اتهمت منظمة اليونسكو فى عام ١٩٧٤ سلطات الاحتلال الصهيونى بانها تتبع سياسة تهدف الى « احداث شـــلل فى الثقـــافة الفلسطينية » وقالت اليونسكو ان المناهج التعليمية غيرت واجريت تعديلات فى الكتب المقررة وحظر اســـتخدام كثير من الكتب المدرسية (٥٠) .

● قالت السيدة سميحة سلامة خليـــل رئيسة جمعية رعاية الأسرة فى البيرة ان الجمعية التى تعمل كمركز ثقـــافى ومـــركز للتدريب المهنى للفتيات الفلسطينيـــات افتتحت عام ١٩٧٥ بعد انتظار اربع سنوات للحصول على تصريح من الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله . واضافت ان الجمعية تتعرض لمضايقات السلطات العسكرية ومن الدلائل على هذه المضايقات مصادرة السلطات العسكرية الاسرائيلية بأمر من الحاكم العسكرى ماكينات الخياطة التى تستعمل فى التدريب . ولقد منعت الرقابة الاسرائيلية نشر وصفات لاطباق فلسطينية او صور للازياء الفلسطينية فى الكتاب السنوى الذى تصدره الجمعية فى محاولة لمنع الجهود المبذولة للمحافظة على التراث الفلسطينى (٥١) .

يشير كل ما تقدم الى ان العدو الصهيونى ما زال ماضيا فى انتهاك حقوق الانسان والحريات الأساسية فى الأراضى العربية المحتلة رغم البيانات والقرارات الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن والهيئات والمنظمات واللجان التى حققت فى ممارسات السلطات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة والتى اجمعت على ادانة كافة الممارسات من ضم الأراضى واجلاء السكان ومصادرة الممتلكات العربية وتدمير المنازل والتعذيب والتعرض للحريات الدينية والحقوق والعادات العائلية والاستغلال غير المشروع للثروة الطبيعية والسكان . وحتى التقرير السنوى لوزارة الخارجية الامريكية عن حقوق الانسان « انتقد اسرائيل بشدة لسوء معاملتها لفلسطينيي الأرض المحتلة » .

د. عبد القادر ياسين

هوامش

(١) يعقوب خوري ، حقوق الانسان فى فلسطين ، (مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨) ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣) الذكرى الثلاثون ــ الامم المتحدة وحقوق الانسان (الامم المتحدة ١٩٧٨) .

4. T. R. Reid & Edward Cody. "Reports Indicate Israeli Abuse of Palestinians" **The Washington Post** (February 7, 1979).
5. "Israeli Civil Rights" **Middle East International** No. 92, P. 16.
6. M. Cherif Bassiouni, **The Palestinians' Rights of Self-Determination,** (Association of Arab-American University Graduates, December : 1978).

(٧) صحيفة « تسوفاديريخ ٧/٩/١٩٧٧ .

8. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** Report of the National Lawyers Guild (New York : 1978) P. 44-47.
9. "A Time for Israel", **Time** (February 19, 1979) P. 19.
10. **Ibid**, P. 19.

(١١) د. يعقوب خوري ، حقوق الانسان فى فلسطين المتحدة مركز الابحاث الفلسطيني بيروت : ١٩٦٨ ، ص ٥٦ .

12. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 15.
13. **Ibid**, P. 70.
14. "Israel & Human Rights" **Middle East International** (February 16, 1979) No. 93, P. 15.
15. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 19-20.
16. **Ibid**, P. 20.
17. **Ibid**, P. 20.
18. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 75.
19. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 74.
20. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 18.
21. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 23, 24.
22. **Ibid**, P. 24.
23. **Ibid**, P. 24.
24. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 103.
25. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 102.
26. **Ibid**, P. 114-115.
27. Adnan Amad, **Documents & Reports on the Israeli Violations of Human and Civil Rights,** (Beirut, 1975) P. 27.
28. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 35-40.
29. **Ibid**, P. 38.
30. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 38-39.

(٣١) صبرى جريس ، العرب فى اسرائيل (مؤسسة (٣٢) الدراسات الفلسطينية بيروت ، ١٩٦٨) ص ١٦٢ .

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

33. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 4.
34. **Ibid**, P. 6.

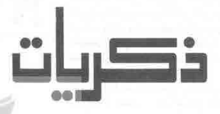
(٣٥) صحيفة السفير ٣/٨/٦٧ .

(٣٦) د . يعقوب خوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦٠ .

37. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** (The Institute for Palestine Studies) P. 3.
38. **Ibid**, P. 3.
39. **Ibid**, P. 6.
40. **Ibid**, P. 2.
41. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 47.
42. **Ibid**, P. 48.
43. **Ibid**,
44. **Ibid**, P. 50.
45. **Ibid**, P. 50.
46. **Ibid**, P. 50.
47. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** Chapter P. 10.
48. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 161.
49. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 51.
50. **Ibid**, P. 51.
51. **Ibid**, P. 52.

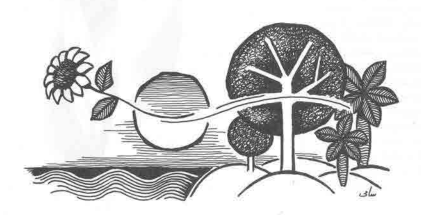


شعر :
محمد
الفهد
العيسى



ذكريات

اثملتنى ذكرياتُ الأسي
(فى وادى مسَرَّه)
وشجانى بلبل الدوح ..
بشدوِ ألِفتهُ الروح ..
كم تغنيناه معاً الفَ مرَّه !!
كم تفيئنا غُيَيْمات هنا
ورعينا احرف الوجد – كَبُهْمٍ –
وسقينا واستقينا
من ينابيع المجرَّه
كم (سحبتُ) (القوسَ) لحناً
فوق اوتارِ (كمانى) ؟
كم تغنيتُ بشــعرى ؟
(إيه يا وادى مسرَّه)
الأمسيات (القمريَّه) ..
كم ملأنا الكأسَ من شلالِ ضوءِ البدرِ ..
ونهلناه معاً
وغرسْنا كل حفا فى الدرب فيه
لهفةً
شوقً
شجونً
الف غِمرٍ من ورودِ الحب ..
اضحى شوك (سدره)



عبدالله جفري



الآن..

ماهو الثابت؟!

«الآن» ...

كلمة كان يبحث عنها في الشروق وفي الغروب . ينبش الساعات ويفتت الثواني ليخرجها ـ زمناً ـ يوحد فيه بين البشر وعزلتهم .. بين عزلتهم ومحسوساتهم ودهشاتهم ونطاق عناصر الانسانية !!

كان يغوص في اعماقه ليمنح كل مافيها ، ويتحدث عن الحياة ونماذجها المدهشة ، ويردد : «الحياة على الأرض غيرمشروطة بالخلود» ! .. لكنه كان يعشق خلوداً معينا .. تشرق في تضاعيفه افكار تحارب التحليلات الاجرامية التي يتعقبها الناس ليتورطوا فيها ، وكان يحب «خلوداً» له وجهه الفلسفى المضيء باللمسات الانسانية .. تلك التي تتكشف احياناً في نفس. درجة الارهاق ، والغيبية !!

وابتدأ «فرانسوا مورياك» رحلة طويلة في غابات البشر .. كان قد فتح نافذة كبيرة هي الرؤية الدقيقة ، وعاش سنوات يكتب الرواية الطويلة ، ويصوغ أشعاره المرهفة ، ويكتب تحليلاته ، وانطباعاته الصحفية . ويقف في داخل نفسه حائراً .. صارخاً .. يتواجد مرة ، ويتشرد مرات في دروب شائكة ، ومرعبة وسئل عما في داخله ، فاجاب :

ـ «أنا غيبي ـ ميتافيزيقي .. يشتغل المحسوس» !!

واهتم «مورياك» باشياء الانسان الداخلية التي تشكل جوهره ويحاول اخفاءها .. وفجرها الانسان ليس احتفالا معلناً تتردد في جنباته الاصوات العالمية . ان الانسان منعزل ، ومجرد .. غير ان احتكاكاته ، واصطداماته تجعل منه طغياناً جباراً من الماديات على اصائل النفس ، وجوهرها . ومورياك يقول : «ان البشر كثافة انسانية ، وهذه الكثافة تتطور ، وتعتمل من تلقاء نفسها ، لكنها في تطورها ، واعتمالها تتوازعها أدوار البطولة الشريرة في التعامل البشري ، وتعتسفها «ماسي الوصول الى المستحيل» .. بينما هي تعسف كل محصولها من العلم .. ان الانسان في غمرة هذا يعاني من عزلة النفس ، وتواجد الروح !!

● ●

لقد مات «فرانسو موریاك» قبل سنوات وكان قبل موته بايام قليلة يترقب الموت .. الذي فلسفه في كلمته الأخيرة : «الآن» !

.. فكل امرىء يجري على طرقات الحياة ليموت .. انه يعمل ، ويشقى ، ويحب ، ويتعذب ، ويفرح لانه سيموت .. والموت هو نتيجة تلك الكثافة ، وذلك الاعتمال .

وفي حياته الطويلة الحافلة .. قدم «موریاك» اعمالا ادبية ضخمة ، وكتب الرواية الفرنسية المعاصرة التي صور فيها اضطراب الانسان وهو يتساءل : كيف يقدم تمييزاً للاشياء المنتصبة ، والاشياء المنعدمة ؟!

ان الانسان مطحون باختلاط الانتصاب ، والانعدام .. ومن خلال رؤية «موریاك» لهذا العالم المتفجع ، والمتكفىء .. مارس حضوره ، وغيبته ، واستبقى في ذاته القلق الصاهر الذي انطلق كما جواد اصيل يرتاد به نفوس الآدميين ، ويقتحمها ، وقد قيل :

● «ان عالم موریاك كعالم بروست .. موجود فيما وراء وخارج روابطه .. مع عالم واقعي ، انه التراب الذي تنبت فيه وترتفع مخلوقات لا تتوقف عليه فقط» !!

وكان «موریاك» خلف ، وفي غمار تلك المخلوقات لا يتوقف فوق التراب ، ولا يرحل عنه .. انه يستبدل الانسان احيانا بالوردة المتفتحة ، واحيانا يستبدله بالمستنقع الآسن المولد للجراثيم ، والامراض الفتاكة .. ذلك ان المخلوقات تقتل نفسها بحدودها ، وبخيالاتها ، وبواقعيتها ، وبرغباتها .

ان الانعدام لا يبدو جزئيا كلما كان صوت الانسان أعلى من مطالبه .. كذلك فان المطالب الدنوية تقسرك أن تصنع عملة توصلك الى الخسارة !!

وفيما قرأت .. عبارة قالها ــ جاك روبيشون ــ الفرنسي عن أدب موریاك .. تقول :

● «موریاك دجن الانسان الأبد ، وباربعين سنة من التمرين . فان الرواية المورياكية ــ نسبة الى موریاك ــ هي الوحيدة في عصره التي تستطيع ان تحملك على القول : هذا من موریاك ، كما كان يقال في السابق : هذا من بلزاك . وعالم موریاك مغلق .. بل الأكثر اغلاقا والأكثر خصوصية بين جميع الاكوان المختلفة» !!

لقد أعطى «موریاك» في الرواية تعبيراً عن واقع وحالة ونفسية الانسان .. ما بين الانغلاق ، والخصوبة . وهو قد تسنم مكانة شامخة في الأدب العالمي المعاصر .. حتى منحوه عطاء بلزاك لحضارته وفكره .

ان أعماله الروائية اهتمت ــ كما قال هنري سيمون ــ : «بجعل عالم الجسد محسوسا وواقعيا في كل مكان ، ومتخلصا من كل مقصد يشير الى تصوير الوجود» ...

كان يعني «موریاك» بما قدمه ان الأشياء المترابطة ، والدالة على الحياة ، والمؤثرة فيها لا يمكن تجزئتها ، وفصلها .

ان ما نستطيع ان نقرر انه عيب هو اصل في نوازع البشر ، وان الجدل احيانا «يدوكر» العيوب حتى يستسيغها الانسان كتعامل ، وكاستعارة مسلكية في واقـــع مضـــخم بالتطـــورات ، وبالانبجاسات !! ولقد تاملت عبارات متعاقبة تنفس بها «موریاك» قبل ان يعلن عن قدوم موته .. فرايته فيها زوابع عصفت زمنا ثم انكسرت وتلاشت بفعل السنين ، ورايته فيها احساسا غنيا أفرط في الاضافات الانسانية نحو بشر استحقوا حماقة تكتفهم ، ولكنه تشبث بالحب ، والتزم بالمحاولات التي تبدا بها الانثى الداخلة حياة الذكر كانما للمرة الاولى ، ولا تعترف ولا يهمه فيها سوى الوقفة الفريدة التي تستمر طالما تواجد احساس الرجل بعيداً عن انعداميته ، وغيبيته !!

رأيت «موریاك» الذي عاش طفولة حزينة ومنعزلة ، وتربى تحت وقع الصرامة .. وهو يتطلع من حوله ، وكأنه يتساءل : هل كل الناس مثلي ؟!

واذا لم يكن كل الناس مثله .. فلان المرء وحده لا يرى في غيره الا نفسه ، وبالصورة المعاشة ، وبالصورة المأمولة ، والتي يحلم بها . والآن «موریاك» هو ذلك الفنان الأصيل والمأساوي والضلج بالاحتجاج والرفض فقد تناول ما حوله لحظة بحث مضن عن الحب والفرح ، لذلك فقد تحدث «ناقد» عن هذا الجانب الصميمي في معاناة ، وتفكير «موریاك» فقال يصفه :

● «يستطيع ــ موریاك ــ ان يفتخر بانه وصف عشرين مرة ــ دون تطاول غيبي ــ مأساة الوصول المستحيل للنفوس خلال الاجسام ، وبانه وضع في قلب مبتدعاته العطش الذي لا يرتوي لقفر الحب» !!

● ●

وعبرهذه الرحلة الطويلة من الحياة ، والتامل ، والتفكير ، والاقتناع .. أعطى «موریاك» أدباً حياً ، وأديباً مسعداً .. من تضاعيف التعاسة فيه ، وأبدع في استنطاق مضامين الانسان ، واستشرافاته ، وارتطاماته .. وفي النهاية ، وقبل أن يتوقف نبض هذا الانسان قال :

«كل شيء مركما لو ان الباب قد أقفل الى الأبد في داخلي . الآن .. في الساعة الأخيرة لا أحد يستطيع أن يتكهن . حتى التظاهر بالاستسلام للموت لا يثبت شيئاً» !!

«الآن» .. هذه الكلمة المتفاعلة ، والمتحركة ماذا تعني .. ماذا تثبت ؟!

ان الانسان لا يقدر ان يمتلك «الآن» ..

ان كل شيء في «الآن» هو محكوم لما يأتي بعده .

إن «الآن» وقفة دهشة ، وانشغال مؤقت .. ثم لا يبقى بعد ذلك شيء !!



د. عبدالسلام العجيلي

بائعو الأوهام

هى امراة بسيطة مصابة بداء فى الصدر . فى كل مرة كانت تراجعنى فيما كانت تحمل معها صورتها الشعاعية لأرى مدى سيرها نحو الشفاء . وكانت طبيعة دائها تتطلب أمدا طويلا من المعالجة والمراجعة . وفى ذات مرة جاءت من دون الصورة ، ولما سألتها عنها قالت انها احرقتها . لماذا ؟ تلعثمت فى البدء وغمغمت الكلام ، ثم اعترفت بأن تلك الصورة تمثل فى نظرها المرض الخبيث المعند على المداواة ، وانها اعتقدت ، أو انها أملت ، انها حين تحرق الصورة تحرق ذلك المرض معها !

حنقت فى البدء لفعلة الامراة التى حرمتنى من أداة ذات قيمة استعين بها فى مراقبة حالتها . ثم تملكتنى السخرية ولحقها الاشفاق لجهل هذه المسكينة وخضوعها لاوهام طبقتها المترشحة اليها من قصص السحر والسحرة .

كانت الساحرة ، فى الحكايات التى قرأناها فى صغرنا ، تفصل من الجلد او الورق صورة من تريد أن تسحره ، ثم تغرس فى مكان القلب إبرة فيصاب ذلك المنكود على بعد آلاف الأميال بداء فى قلبه .. وهذه مثل تلك . لقد كنت واثقا بأن مريضتى لم تحرق صورتها من عندها ، بل من وحي أحد اولئك الدجالين الذين يعيشون على ضعف عامتنا وجهلهم : كتب لها حجابا واعطاها بخورا ثم نصحها بأن تحرق الصورة ، ففعلت بعد ان دفعت له ما فيه النصيب ثمنا للحجاب والبخور والنصيحة ..

من ؟ وكيف ؟

حنقت على مريضتي وسخرت منها ثم اشفقت عليها . ولكنى بعد ان امعنت فى التفكير وجدتنى التمس لها فى فعلتها الاعذار . ترى من يسلم المرضى الى الدجالين وباعة الأوهام غيرنا ، نحن الذى ندعى العلم ، فى ضعفنا وجهلنا ؟ كل هم هذه المريضة كان ان تشفى من دائها ، فلما وجدت ان الطب الرسمى لم يحمل إليها الشفاء الكامل والسريع قالت لنفسها : فلنجرب الآخرين ... إنهم ، مثل الأطباء ، رجال لهم عيون وآذان ، ولهم ألسنة أقدر على الاقناع وأساليب أكثر اجتلابا للثقة ..

وحكاية الدجل ، أو بيع الأوهام فى الطب مثلها فى الفن مثلها فى السياسة ، قديمة قدم العالم . ومن الخطأ الظن بأن اللجوء إلى من يتاجرون بالوهم مقصور على العامة فى البلاد المتخلفة . إنه أمر شائع بين المتعلمين شيوعه بين الجهلة ، ومتفش فى الغرب تفشيه فى الشرق ، تقول آخر الاحصاءات مثلا ان فى فرنسا سبعين الف طبيب مجاز ، وفيها الى جانبهم أربعون الف متطبب ممن يبيعون قيلا من العلم مجبولا فى كثير من الوهم . وهؤلاء يجدون صيدهم فى مختلف طبقات المجتمع ، ويثرون من تجارتهم أكثر مما يثرى من علمهم وتجربتهم فطاحل الطب واساتيذه .

فكيف تروج فى هذا العصر الذى تستند مدنيته على العقل ومعطياته بضاعة بائعى الأوهام ، رواجا يقارب رواجها فى عصور الجهل والاظلام ؟

حين يتحول الحنظل عسلا

ربما كان أهم الأسباب فى رواج تلك البضاعة ان المجاهيل فى الحياة ، سواء فى جسم الانسان أو فى تقلب الأحوال الجوية أو فى سياسة الدول ، لا تزال أكثر من العناصر المعلومة فيها . لذا يظل العقل عاجزا عن أن يسيطر السيطرة التامة على مصير الانسان او ان يجد كل الحلول لمشاكله . فتتدخل النفس عندها لتبحث عن حلول للقضايا المعقدة بطريقتها الخاصة .



النفس لا تستسلم إلى اليأس بسهولة وتبحث عن الأمل ولو فى الوهم . فالمريض الذى لا يجد من يحمل إليه الشفاء بين الأطباء الحقيقيين ، مثل صاحب المشكلة الذى لا يجد فى طرق المعقول حلا لقضيته المستعصية ومثل الشعب الذى لا يجد من يخرجه من مازقه بين رجال الدولة الاكفاء ، لا ييأس .. بل يبحث عن من يقوده إلى السلامة فى عالم اخر غير عالم المعقولات . اعني فى عالم الغيبيات التى تعجز عن التغلغل فى كنهها العقول .

وهنا يسيطر من يحوز قوة الاقناع والقدرة على الايهام إلى درجة يسقى بها العلقم موهماً من يسقيه بأنه الشهد ، ويلقى على النكبات الأضواء من زوايا بارعة تبدو فيها كأنها اشباح انتصارات ، ويرسم العضو المريض على ورقة يحرقها مدعياً أنه احرق المرض واستجلب الشفاء ..

بغير هذا لا يمكن ان نفسر كيف يؤمن كثير من المتعلمين تعليماً عقلانياً بخرافات التنجيم والطوالع الفلكية ، وكيف تغص اوكار المتطببين بطالبى الشفاء من كل الطبقات ، وكيف تلتف الأمم احيانا حول قادة لم تجلب سياساتهم على اممهم غير الخسائر والنكبات .

الحاجـــة إلى سـيد

من يتصور مثلاً ان امة كالمانيا ، فى قرن كالقرن العشرين ، كانت ترضى لنفسها ان تسير وراء دهان محدود الثقافة هستيرى التصرفات ، يحطم فيها أولا حرية الأفراد والجماعات ، ثم يقودها بذلاقة لسانه وحدة نبراته إلى الخسائر المتلاحقة الى دمار شبه كامل ؟ ثم أن يظل الشعب الالمانى ، برغم كل تلك النكبات وخلال سنين كثيرة ، متعلقاً بذلك الدهان وهو هتلر ، حتى ليكاد يؤلهه ؟

ولكن بعد هزيمة الحرب العالمية

ولكن ذلك جرى حقاً فى المانيا ، مثلما جرى فى غيرها من امم الغرب والشرق ، لأن المانيا كانت بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى فى حاجة الى من ينهضها من كبوتها ويعيد اليها اعتبارها . ولما عجز المؤهلون للقيادة عن القيام بواجبهم ، عجزوا أو تلهوا بالصغائر او تخاذلوا ، تصدى لها الواغل الجرىء . كمريض نفض الأطباء ايديهم منه فصادته حبالة متطبب شاطر . ولقد سحر هتلر قومه بانتصاراته الأولى ، وكان كلما رفع عقيرته صارخاً دغدغ الكبرياء واثار الحماس ، ولكن النتيجة الأخيرة كانت خسارة الأرواح وانتقاص الأرض والهزيمة المذلة .

وقد تعارف الناس على ان تلك الحقبة الهتلرية من تاريخ المانيا قد تركت ظلاً كئيباً على وجدان شعبها وشكا كبيرا فى حسن تقديره للامور والتمييز بين خيرها وشرها . ولكن المفكر قد يعود إلى الحقيقة المرة التى عدت إليها بعد أن سخرت من مريضتى البسيطة التى تحدثت عنها فى أول هذا الكلام . اترى المريض البائس أو الشعب الباحث عن حقه المغتصب وعن عزته المفقودة ملومين ، حين لا يتوفر الطبيب الكفء او القائد الكفء ، اذا تعلقا بمن يسوقه إليهما القدر المفروض أو القدر المصنوع ؟

يروون ان شاعرا عربيا وقف ذات مرة على رأس أحد السادة غير الاكفيـــاء وقال :

وان بقـــوم سودوك لحاجة
الى سيد لو يظفـرون بسيد

سيد أو طبيب أو مفكر مرشد الى الطريق القويم .. لابد للافراد والجماعات من هؤلاء . فاذا لم يتهيأ القائد الكفء والطبيب الحاذق والمرشد المخلص ، فحذار من الواغلين الذين ستلقى إليهم مقاليد الأمور والأجساد والنفوس ... حذار من بائعي الأوهام .





بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

معظم النتاج القصصي فى ادب الجزيرة والخليج يتجه لتصوير شخصيات من ماضى البادية والبحر والقرية باسلوب رومانسى فى الأغلب ، وواقعى فى بعض الأحيان ..

ولكن ما يزال نادراً أن تجد أدباً قصصياً يعالج شخصيات ونماذج اجتماعية من الحاضر المعاش ومن واقع مجتمعنا الراهن وحياتنا نحن فى هذا الجيل ، فى هذه المرحلة ، فى لحظة الصيرورة الجارية حيث ما زال الكائن الاجتماعى الانسانى فى طور التكوين والتفاعل لم ياخذ صورته النهائية بعد ..

وهذا ما يفسر قلة او ندرة هذا النوع من الأدب القصصي ذلك ان شخصيات الماضى قد تحددت واتضحت ملامحها وامكن تسجيل صورتها الثابتة ، والقاص فى تصويره لهذه الشخصيات كانما يقوم بعمل المصور الفوتوغرافي الذى يلتقط بالته وجوها ثابتة ، مسلط عليها ضوء كاشف .. اما شخصيات الحاضر ، خاصة هذا الحاضر العربى المتارجح المتقلب كصفحة البحر الهائج ، فان ملامحها المتقلبة وسحناتها تمثل تحديا للأديب الذى يحاول سبر اغوارها واستجلاء غوامضها واخراجها بالتالى كائنا حيا متحركا امام وقائع محددة وفى اوضاع مقررة لأن هذه الشخصيات المعاصرة تابى التحديد ، بل لا تقدر عليه ، لأن قدرها كما يبدو ان تظل قلقة حائرة تجمع بين الضعف والقوة ، والأمل واليأس ، والشك واليقين كواقعها العربى الراهن هذا .. من هنا فان من يحاول رصدها وتسجيلها فى مراة الأدب لن تجديه الة التصوير الفوتوغرافية (الكاميرا) لأن هذه الألة ليس فى مقدورها تسجيل الملامح المتقلبة المتغيرة بين لحظة واخرى فى صيرورة كالدوامة ـ ومن هنا عجز الكومبيوتر الغربى عن فهم الشخصية العربية ! ـ هذه

الشخصية التى يتطلب تصويرها شيئا من خيال الرسام وخفة حركة ريشته فى متابعة الملامح المتغيرة المتقلبة و « ضبطها » فى حالة تقلبها « متلبسة » بفعلها الحقيقي : فعل التقلب والتغير ورفض تحديد الهوية ، بل العجز عن تحديدها .. !

وكم تمنيت لو ان مجتمع الجزيرة والخليج قد أتيح لأدبه القصصي رسام روائى مبدع كنجيب محفوظ فى ثلاثيته ورواياته الاخرى ليتناول نماذجنا الاجتماعية وانماطنا النفسية فيعمل فى ملامحها بريشته سبرا لاغوارها وكشفاً لأستارها حتى نراها كما هى عارية ، عرى الحقيقة المجردة ، فندرك من نحن ومن نعايش والى اين نسير والى اى مصير .

ولكن ذلك ما يزال يتطلب نموا اكثر ونضجا أعمق فى بنية المجتمع وتطور الافراد ونمو الأدب .

قيمة اخلاقية

غير ان طلائع هذا الاتجـــاه القصصي الواقعى ، بوعيه الاجتماعى المتقدم ، اخذت تبدو فى افق النتاج الادبي تشق طريقها الصعب غير الممهد وغير المطروق من قبل فى هذه المنطقة حاملة تباشير البـــداية ومصاعبها فى الوقت ذاته .

وتأتى رواية « لحظة ضعف » للاديب السعودى فؤاد صادق مفتي نموذجا لمثل هذا الاتجاه فى المعالجة القصصية الاجتماعيـــة – وهى بمعالجتها هذه لنموذج من الجيل الحاضر تكتسب ما تستحقه من تقييم نقدى ، لانها تحملت عبء المغامرة الجديدة فى هذا الصدد ، وبوعى من كاتبها الذى نراه شديد الوضوح وشديد التواضع – ايضاً – فى تقديم محاولته الجديدة للقارىء ، وهو تواضع اعتقد ان كثيرين من ادبائنا الشباب – بالذات – يحتاجون إليه فى طريقة تقديم نتاجهم الى القارىء وفى طريقة رؤيتهم لانفسهم وللناس وللادب ولمعايير النقد .

لذلك فاننى أرى فى هذه التقدمة التى يقدم بها فؤاد مفتي قصته قيمة اخلاقية بالاضافة الى محتواها الفني فلاتركه يقدم عمله لقارئه :

« ترددت كثيرا عند كتابة هذه المقدمة لقصة « لحظة ضعف » ، فهذه اولى محاولاتى فى اقتحام ميدان القصة الطويلة ، وهو ميدان – فى رأيي – شائك ووعر ، ! ولهذا لابد لمن يتصدى له ، لاول مرة ، من الوقوع فى بعض العثرات .. واعترف – عزيزى القارىء – بأنى لم انج من ذلك تماما .. إنها محاولة اتاحتها لي الظروف ، خلال اغترابي خارج ارض الوطن بسبب عملى الدبلوماسى ، وتكونت لدى فكرة



فؤاد صادق مفتى

القصة كجزء من معايشتي لأحـــداث الوطن والتغيرات الاجتماعية التى تلاحقت الى حد اثار تساؤلات قلقة لدى المهتمين بدراسة هذه الأزمة الطفيلية على مجتمع عرف منذ الازل بتشبثه العفوى بجذور التراث والتقاليد .. ولهذا لم تكن هذه القصة كمصنف أدبى ذى قالب محكم الصناعة بالمعايير المتعارف عليها للقصة الطويلة بقدر ما هى مساهمة متواضعة فى تسليط الضوء على بعض من جوانب الحياة لمجتمع جـــديد يتعرض كغيره من المجتمعات التى سبق لها ان مرت فى نفس الظروف لموجة من الحيرة والقلق والمعاناة .. تلك التى قد تؤدى فى لحظة من لحظات الضعف الى فقد التوازن ، وربما الانســـياق اللاإرادى وراء التيار الجارف ، حيث محاذير الوقوع فى تلك الدوامة التى تبتلع فى طريقها كل شيء » .

وبعد تقدمة المؤلف هذه ، علينا ان نقوم بواجبنا النقدي فى تقدمة القصة .

وليس اصعب من اختصار عمـــل ادبى وتجريده من تفاصيله وجزئياته ، وتقديمه افكارا أو احداثا مجردة الى القارىء ، ولكن تلك من المحاذير التى لا مفر منها فى النقـــد حيث لابد من الاختصار والتجريد ، بسبب قيود الزمان والمكان اللذين ينحصر فيهما العمل النقدي ، وان كنا سنحاول التقليل من اثر هذا الاجتزاء بالاستشهاد قدر الامكان بمقاطع من القصة ذاتها حيثما كان ذلك ممكنا ودالا على روحها ..

يسافر الشاب « طارق » لاكمال دراسته فى الولايات المتحدة وينتقل من جدة على ساحل البحر الاحمر الى لوس انجلوس على ساحل المحيط الهادى . هذه النقلة الجغرافية تمثل انقلابا فى النفس والفكر والروح يتجاوز ابعاد الجغرافيا .

ولو كان الامر يتمثل فى مشكلات الدراسة والتحصيل واكتساب العلم الجديد ولغته الاجنبية لهان الامر ، هنا لم تنشأ مشكلة ، فالشاب العربى بذكائه وحساسيته ورغبته فى اجتياز الفارق الحضارى بين امته والعالم سريع الاستيعاب والهضم .. ولكن المشكلة تتمثل فى استحالة التوفيق بين قيم الذات وبين مسلك العالم الجـــديد حيث التناقض حدي فى تقاطعه وتقطيعه بين نوعين من النظم والقيم لا علاقة بينهما غير علاقة التضاد المطلق !

هذه اول تجربة يمر بها طارق فى ميدان البيكاديلي بلندن وهو فى طريقه الى لوس انجلوس ، أول تجربة فى علاقة التضاد بين الماء والنار :

« دلف الى منعطف قريب جذبته إليـــه أضواء صارخة لاحدى دور اللهو الليلى ، كانت واجهة المحل الزجاجية مليئة بالصور العارية لكلا الجنسين .. كان المنظر مدغدغاً لحواسه البهيمية استغرق فى النظر على غير وعى منه وقطع عليه استغراقه صوت احد الواقفين على باب الملهى يدعوه للدخول .. وبلا شعور منه وضع يده فى جيبه يتحسس ما معه من نقود بالعملة الانجليزية وهو يفكر فى اقتحام هذه المغامرة المثيرة .. واصطدمت يده بشيء صلب داخل جيب سترته واقشعرت يداه وانتفض انتفاضة كمن مسه تيار كهربائى صاعق ، واخذ يتمتم بصوت مرتفع مبحوح : استغفر الله .. اخرج يده من جيب سترته وهو يحمل المصحف الصغير الذى اهداه له والده لحظة الوداع وقبله بحنو وخشوع والدموع تترقرق من عينيه .. كأنما تغسل آثام نزوته العابرة .. وعاد الى فندقه مطأطىء الراس خشية ان تقع عيناه من جديد على مشهد آخر يفسد عليه تلاوة فعل الندم » .

الى اين نتجه ؟

هذا النمط من التجربة .. تجربة الغواية ثم الندم ثم الغواية مرة اخرى ثم التراجع عنها للوقوع فى غواية اكبر وهلم جرا ، إن هذا النمط من التجربة يصبح فى حياة « طارق » نوعا من اللازمة الموسيقية التى تتكرر فى سيمفونية القصة كلها بين مقطع واخر وبين مرحلة جديدة واخرى ، دون ان تحسم إرادته هذا التذبذب ودون ان يستطيع ان يقـــرر بوضوح ماذا يريد ومن هو : هل هو مع ضميره وقيمه الموروثة أم مع غرائزه واغراءات عالمه الجديد . يتزوج « طارق » وهو فى امريكا من فتاة اجنبية اسمها « ليزا » تعرف اليها فى

"لحظة ضعف"

ليالي الشباب العابث بعد ان اجتاز «تجارب» عديدة حولته من شاب خجول متدين الى رجل خبير بملذات الدنيا ومتعها .. ولكن « ليزا » تتركه هو وطفلها منه ليتولى مسئولية الطفل بينما تذهب هى بعيدا فى تيار الحياة الصاخبة التى لا تبالى بالصلة حتى بين الأم وطفلها ..

ويعود طارق الى الوطن وقد اعياه المسير المتذبذب فى حياة الحضارة الحديثـــــة او ما يعرف بهذا الاسم .. ويتذكر ان له قريبة كانت تنتظره منذ عهد الصبا البكر ، فيتزوجها وينجب منها ليكتشف انه من المحال العودة الى الحياة العائلية البريئة الملتزمة بعد تلك التجارب وصخبها ولذاتها الحارقة . .

وماذا تكون النتيجة ؟

تكون هذا الاعتراف فى لحظة الحقيقة أمام زوجته الثانية سهام ـ « اعرف يا سهام انى تعس مثلك ، بل ربما كنت اكثر تعاسة . انني ادرك مدى خطئي، تجاهك ولكن المصيبة هى انني لا أدرك سر خطئي مع نفسي أنا .. نعم انا مخطىء فى حق نفسي ايضا ، وقد اخطات معك يا سهام ، اخطات معك مرتين ، بل ثلاث مرات . اخطات عندما تجاهلت عواطفك ، بل عواطفنا البكر ، وتزوجت من لــيزا ، رغــم ما يربطنا منذ الصبا ، واخطات مرة ثانية عندما سمحت لنفسي بالتسرع فى اتخاذ القرار قرار الزواج منك !! فى الوقت الذى لم اكن فيه قد افلحت بعد فى استعادة ثقتي بنفسي ، وكانت النتيجة ماذا ؟ خطأ ثالث يتمثل فى هذا الواقع المؤلم الذى نعيشه انا وانت » .

وتزداد الهوة ليس فقط بين الزوجين ، وانما بين الزوج وبين نفسه ، وبين مكونات تلك النفس ذاتها حيث يستمر التباعد ويزداد بين جذورها القديمة وبين هذه الاهواء الجديدة التى لا تكف عن التلون وزيادة الاغراء والضغط والجذب الى حيث لا يدري احد ..

وينتقل طارق من عمله الذى وهب له عمره وعلمه الى عمل تجاري حر يغري فقط بالمزيد من المال ، كما يفعل معظم ابناء جيله ، ويفتح له عمله الجديد مجال الأسفار المتتالية الى عواصم العالم حيث تجارب الغواية القديمة المتجددة بينما تذوي امراته وتذبل وهى تغالب وحدتها الباردة فى بيت الزوجية .

ويكون آخر درس يلقيه طارق على زوجته سهام هو هذه الكلمات التى تنبئنا جميعا باي نوع من المجتمع نعيش والى اين نتجه :

« افهميني ياسهام .. الدنيا تغيرت ، لم تعد السعادة تقاس بعدد ابيات الشعر التى يستطيع العاشق ان يتغزل بها فى حبيبته ، او عقود الياسمين التى يحلى بها جيدها عند كل لقاء . المراة الآن استبدلت عقد الياسمين بعقد الالماس واللؤلؤ . لم يعد الشاعر بقادر على ابتياع قوته ببيت من الشعر قد يرفعه الى مصاف الآلهة وجهابذة الفن ، ولم تعـــد الحسناوات يتاوهن تحرقا لنيل نظرة اعجاب من اديب ناجح .. كلمة واحدة فقط ، كلمة واحدة غير واضحة المعـــالم تغـــري احلى حسناوات الدنيا بالركوع تحت قدمي صاحب تلك الكلمة غير واضحة المعالم فى ذيل وريقة خضراء اسمها شيك !! » .

ومن منطلق هذه « القناعة » التى تبـــدأ وتنتهي بالمادة لا يجد طارق من معنى لحياته غير البحث ايضا عن لذة المادة التى ذاقها بكثير من الندم فى مطلع حياته ويقبل عليها الآن بكثير من اللامبالاة ..

وتنتهى القصة حيث تبدأ ، فى ميــــدان البيكاديلي بلندن ، حيث يتجه طارق الى دار اللهو الليلى ، كما فعل اول مرة ، ولكن جيبه هذه المرة يحوي فقط حافظة نقوده الضخمة .. اما ذلك المصحف الصغير الذى وقاه فى البداية من الزلل فلم يعد موجودا فى اى جيب من جيوبه ..

انها لحظة قوة

ـ « امتدت يده الى جيب سترته قبل ان يهم بالدخول الى ذلك النادى الليلى ، فاصطدمت بشيء صلب افاقه من ذهوله قبل ان ينزلق فى ذلك المحظور .. واغتصب ابتسامة شوهاء وهو يحتضن حافظة نقوده كي لا ترتد به الذكرى الى تلك الليلة (الاولى) .. ودلف الى الصالة كطفل افلت من بين يدى حارســـــه الأمين وابتلعته الدوامة .. كعادته .. فى كل لحظة ضعف » ..

وتنتهى القصة لتبدأ الحقيقة : هى أن العمر كله بالنسبة لجيل طارق ، هذا الجيل العربى الحاضر ، ما هو الا سلسلة متواصلة من لحظات الضعف . العمر كله لحظة ضعف طويلة متصلة الحلقات ، وليس كما قد نتصور لأول وهلة بان القصد تصوير لحظة ضعف عابرة يعقبها تماسك وتجاوز للضعف وانتصار للارادة وعودة الى طريق الصواب .. او طريق الايمان والتصالح مع الجذور والقيم الاصيلة

من هنا الاختلاف ، رغم التشابه فى الملامح الأولية ، بين قصة « لحظة ضعف » لفؤاد مفتي وقصة « قنديل ام هاشم » ليحيى حقي ، فيحيى حقي استمد ايضا من تجربته الدبلوماسية خارج وطنه نموذجا للشـــــاب المصرى الذى يذهب للدراسة فى الغــــرب فتصطدم جذوره بالتيار الجديد ، وتؤرق روحه ويقترن بفتاة انجليزية تقلب كيانه ، ثم يعود الى موطنه ليتذكر قريبته الفتاة الساذجة التى تنتظره وقد ذهب نور عينيها من تاثير زيت القنديل العتيق الذى كانت تعالج به ، ولأنه قد تخصص فى الطب فقد سارع الى علاجها بكل وسائله الحديثة دون جدوى ، ثم اكتشف بعد لأي من واقع التجربة المرة إنه لابد من الجمع بين زيت القنديل ، رمز التراث والايمان ، وبين الدواء الحديث ، رمز الحداثة والعلم . بهذا الجمع السعيد يشفي عينى فتاته ويعيد لهما النور ، وعلى هذا النهج تستقر حياته هو وتهدأ وتشع من عينيه سعادة العارف بالله المتيقن من غفرانه .

هذه النهاية لو وضعها فؤاد مفتى لبطل قصته « طارق » فى أيامنا هذه ، التى تختلف عن زمان قصة يحيى حقي ، لجاءت نهاية غير واقعية تصطنع التفاؤل امام واقع ليس فيه من التفاؤل الشيء الكثير بالنسبة لمسار الجيل الحاضر ..

فجيل يحيى حقي ، تجاوز بالفعل محنته ، وعاد الى بر الأمان وتصالح مع نفسه وجذوره .. اما جيلنا نحن فى هذه المرحلة فمازال حائرا مترددا لا يملك ارادة العودة الى الجذور ولا يأخذ من الحداثة غير قشورها وملذاتهـــــا الحسية ..

هذه الحقيقة المرة عن جيلنا ومجتمعنا الحاضر تختفي فى احيان كثيرة تحت غلالة الرخاء والوفرة والتقدم الاستهلاكي المتلالىء باضواء النيون . وفضيلة هذا العمل القصصي لفؤاد مفتي انه يتجاوز بنا هذه القشرة البراقة ليرينا ما تحتها بصراحة ، دون وعظ ومثالية ، ودون مبالغة فى الادانة .. وانما بعرض الواقعة كما هى من خلال فرد واحد فقط يترك لنا نحن ان نبصر من خلاله واقع الكثيرين من ابناء هذا الجيل .. الذى ربما انتصر على لحظات ضعفه فى قصة تالية .. اعني فى مرحلة مقبلة .. إذا شاءت له ارادته ان ينتصر .

ولكن حتى اشعار آخر فحياته لحظة ضعف طويلة .. متصلة الحلقات واذا كان ذلك امرا مؤسفا من الناحية الاجتماعية ، فان الاقرار به فى ادبنا الجديد علامة قوة وعافية لأن الصدق فى الفكر والفن والكشف عن عيوب المجتمع ، هو بداية الطريق للمعالجة الصحيحة .

من هنا فان « لحظة ضعف » هى لحظة قوة فى سير الرواية السعودية رغم هنات الاداء الفني .

د . محمد جابر الانصاري



شعر: حسن طلب

فى زمانِ التبرجْ
والسكوتِ الذليلْ
يستطيعُ البنفسجْ
أن يكونَ البديلْ

يستطيعُ البنفسَج أن يستهلَّ
ويصنعَ خبزَ الوفاقْ
يستطيعُ – إذا شـاءَ
– أن يستدلَّ
ويجمعَ كلَّ الملايينِ فى غمضةٍ وَوَمْضةٍ
فالبنفسج ضـد الشقاقْ
كيف لا يسـتطيعُ ؟
وتلك جماهيرُهُ :
فى الجـزيرةِ .. أو فى الجزائرِ
كيفَ ؟ وفى كفِّهِ :
قمحُ مصْرَ
ونفطُ الخليجِ
وتمرُ العراقْ

« كانتِ الأرضُ صومعةً
والسماواتُ من فوقها سـبْعةً
والبنفسجُ يطلعُ فى أُفقِها
مرةً كلَّ عـــامْ

آهِ كانَ البنفسجُ مملكةً
والمدى مُلْكَهُ

من نخيل الحجاز إلى برتقالِ الشآمْ
يشهدُ النهرُ أنَّ البنفسجَ كانَ الغمامَ
ومــاءَ الوئامْ »

وأمسِ رأيتُ البنفسجَ يبكى الطُّلولْ
البنفسجُ كان مُكِبًّا على ذاتِهِ
كانَ يبكى دماً .. ويقولْ :

إنها أمةٌ غُمَّةٌ .. ونداءٌ ثُغاءٌ
وقولٌ كثيرٌ وفعلٌ قليلْ
إنها مدنٌ فِتَنٌ
يتألفُ من دُودِها وطنٌ عطِرٌ
وذبولُ البنفسجِ أقوى دليلْ
وطنٌ مرِنٌ .. يتثلّثُ
أو يتربعُ
أو يستطيلْ

ولذلكَ لا يستطيعُ البنفسجُ أن يستقلّ
ولا أن يستهلّ

ويركبَ دبّابةً
ليحرِّرَ سيناءَ والقدسَ
يصعَدَ صوبَ الجليلْ
البنفسجُ لا يدّعِى ذلكَ الشرفَ الممكنَ / المستحيلْ
ما بوسعِ البنفسجِ
أن يكونَ البـديلْ
فى زمـانِ التبرّجِ
والسكوتِ الذليلْ



أطفالنا ومجلاتهم

إلى متى هذا الغزو الثقافي لعقول الصِّغار؟

حصّة العوضي

نسعى جاهدين عبر قنوات الاتصال المختلفة إلى تنمية ادراك الطفل ، وتنقية مداركه ، ومده بالعديد من الثقـــافات الهادفة التى يجب أن يعيها باساليب مبسطة .

فالطفل فى مجتمعنا ـ المحلى والعربى ـ لا ياخذ حقه كاملا من الرعاية والعناية بالرغم من الامكانيات البشرية والمادية المتوفرة . ففى الفترة الأخيرة .. بدأ سيل من الثقافات الغربية ، يغزو افكار الطفل عن طريق المجلات المختلفة ومسلسلات الكبار المتنوعة ، وأفلام الرعب بما تحمله من اثارة ، وعنف وبدأت بعض دور النشر تنشط فى توزيع ما تحمله تلك الافلام والمسلسلات فى اشكال قرطاسيات وملصقات تثير اهتمام الطفل . كما أنتجت مصانع النسيج والأقمشة ملابس للأطفال والكبار تحمل رسوم أبطال تلك الأفلام والبرامج التليفزيونية بغرض الترويج للسلعة ، والربح .

ولكن .. ما الذى فعلناه نحن لصد هذا الهجوم الثقافى على أطفالنا .. ؟؟

حتى الآن .. لم نجد من يتصدى لهذا الغزو على عقول أطفالنا !

وحتى الآن .. ما تزال عقول الأطفال تهفو للمزيد من ذلك الصخب وذلك الضجيج المثار حول تلك البرامج !!

وعليه نحن فى مواجهة سؤال هام وملح :

ماذا عن مجلات الأطفال العربية .. ؟؟

وما دورها إزاء التصدى لهذه الهجمة الضارية على عقول أطفالنا ؟ سؤال احاول البحث عن اجابة شافية له ، وها أنذا أتصفح مجموعة من مجلات الأطفال المتنوعة التى تصدرها دور النشر العربية ، والتى يطالعها الاطفال العرب . ساحاول قدر الامكان ان اتصفحها جميعا مع القارىء العربى .. ليعرف ماذا يقرأ طفله .

المجلات المترجمة عن مجلات اجنبيــــة

للاسف ان هذه النوعية من المجلات كثيرة ـ بالنسبة لعدد مجلات الأطفال العربية ـ ومعظمها يصدر عن دار واحدة للنشر ، والباقى عن دور متفرقة . وهذه المجلات تحمل جميعها اسماء خارقة ، لابطال خوارق . وكل بطل من هؤلاء الأبطال يحيا فى عوالم أخرى ، وأزمنة اخرى ، لا يملك الطفل الا أن يصدق وجودها بغض النظر عن ادراكها وذلك لأن تلك الشخصية الخارقة ، تعيش مع القارىء الصغير منذ الغلاف الأول وحتى الصفحة الأخيرة عبر القصص المغرقة فى الخيال بعيداً عن عالمنا وواقعنا .. والتى تحمل من الأسماء والمعلومات ما يفوق تصور ذلك الكائن الصغير .. الطفل .

لكنها بما تحمل من إثارة ومغامرات مصورة تحلق بذلك المخلوق الصغير عبر آلاف السنين ، وعبر متاهات خيالية لا يلبث إلا ان ينقاد لها ويسير معها طوعا وشوقا لمعرفة المزيد ، والمزيد من تلك الخوارق ..

وعلى الرغم من ذلك .. فان الهدف النهائى من كل قصة خارقة يظهر واضحاً .. ألا وهو .. الخير .. والشر .. وانتصار الخير دائماً ..

« لكن أليس بامكاننا غرس هذا المبدأ وتنميته ضمن قصص اقرب إلى مدارك الطفل سواء فى نماذجها .. أو فى طريقة عرض القصة ومعالجتها ؟! » .

أما النوع الثانى : فتلك المجلات ذات الموضوعات المترجمة عن الشخصيات الكرتونية (الرسوم المتحركة) المشهورة لدى الطفل والتى هى عبارة عن رسوم لحيوانات أو طيور .. او بشر .. ولكن باشكال جذابة والوان جميلة ممتعة ..

وهذه القصص تترجم عن القصص الأجنبية .. حاملة معها كل ما فى للمجتمعات الأجنبية من عادات ، وتقاليد وقيم .. تعكس أثارها السيئة على النشء العربى ..

الكثير منا يعتقد ان الطفل مخلوق لا يدرك جيداً ما يتلقاه من المعرفة لكننا نجهل ان هذا الطفل تترسب فى ذاكرته كل المعطيات التى يحصل عليها فيما بعد . ماذا لو قمنا بنقل تلك المجلات للطفل ، ولكن بعد التعديل المناسب على كل جزء فيها حتى لا نعطى اطفالنا ما يتناقض مع مجتمعاتهم وتراثهم ؟

المجلات العربية

تعددت مجلات الأطفال العربيـــــة .. وتنوعت من بلد لآخر .. ومن دار نشر الى أخرى . كما تنوعت الغايات والأهداف من وراء تلك المجلات .

فهناك مجلة تصدر للشباب .. إلا ان أغلب قرائها من الأطفال .. وذلك لما تحويه تلك المجلة من ملصقات اعلانيـــة ذات رسومات وألوان جميلة .. سواء على

الغلاف الخارجي .. أو في داخل العدد ..

ولا تحمل هذه المجلة من مضامين ثقافية جيدة .. سوى ما تقدمه من طرائف وبعض النوادر والمقالات القصيرة جداً .. والتي ترعاها وتشرف عليها الشركات التجارية .

وبالطبع فان هدف هذه المجلة هو الربح أولا والربح ثانيا .. ولا شيء آخر ..

ومن الأنواع الساعية للربح أيضا ظهرت مجلات أخرى .. لكن ذلك الهدف لا يظهر للقارىء مباشرة ، وانما بعد تصفحه لصفحات المجلة ، اذ هي تشترط اقتناءها والاحتفاظ بجزء صغير من احدى الصفحات لتقديمه الى مسابقة كبرى مؤجلة رصدت لها جوائز قيمة جداً

كما تحوى المجلة جزءاً كبيراً من الصفحات المخصصة للمسابقات الفكرية والثقافية التي تفوق مستوى وادراك الطفل . كذلك تحوى عدة صفحات لرسائل الأطفال .. وهواة التعارف .. وصور الفائزين في المسابقات السابقة ..

ومن بين القصص التي تقدمها المجلة قصص مترجمة .. بالاضافة للقصص المحلية .. حيث يظهر الفرق واضحاً بين هذه وتلك من حيث الفكرة والرسوم والعادات المستهدف غرسها في الطفل ..

المهم هو أن هذه النوعية من المجلات تسعى لاجتذاب أكبر عدد من القراء بطرح أغلى أنواع الجوائز من آن لآخر ..

وهناك مجلات أخرى ، ظهرت مؤخراً .. وازدادت نسبة مبيعاتها سريعاً .. وذلك لأنها اعتمدت على بعض المسلسلات التليفزيونية التي عرضت ولاقت نجاحاً من قبل الجماهير المختلفة (الأطفال والكبار) والتي قدمت في معظمها قصصاً أسطورية بعيدة جداً عن الواقع .. مما شجع بعض المجلات الأخرى لافراد عدد من صفحاتها لمثل هذه القصص المستمدة من أساطير الجان والعفاريت ، والقوى الغامضة ، وغيرها من الخرافات دون مراعاة لمدى استفادة الطفل من هذه القصص . والقصد هو أن تحقق المجلة أكبر قدر من الربح !!

ومع وجود تلك النوعيات التجارية تطالعنا نوعيات أخرى ..

إحداها .. مجلة ظهرت مؤخراً للطفل الذي يقل عمره عن الست سنوات ..وهي مجلة ثقافية علمية .. مصورة ، ذات رسوم زاهية .. ومزايا تربوية متعددة .. نالت اعجاب الطفل واستحسانه .. الا أن الكثير من الصغار كانوا ينظرون الى المجلة في واجهة المكتبات .. وتملأ أنفسهم الحسرة لعدم قدرتهم على اقتنائها نتيجة لارتفاع سعرها ، الذي يعادل أربع نسخ من مجلات الأطفال الأخرى .. ترى .. أتهدف تلك المجلة للثراء السريع من وراء الطفل .. أم ماذا .. ؟

نوعية أخرى نالت اعجاب الطفل واستحسانه لاحتوائها الرسم الملون .. والصور الجميلة .. والأنشودة العذبة .. والقصة الهادفة .. لكنها مع ذلك تسعى لتطبيع ذلك الطفل بمبادىء تصدر عنها المجلة ..

مجلة ثالثة ذات مستوى ثقافي جيد ومضمون هادف .. وقصص تربوية هادفة .. ومسابقات ثقافية مبسطة .. وذات سعر منخفض .. لكن الطفل لا يقبل عليها كثيرا .. ربما يكون ذلك لشكل الطباعة ، أو الشكل النهائي الذي تظهر عليه المجلة ، من ألوان باهتة .. وحروف صغيرة ..

أو ربما يكون السبب هو انحراف الطفل نحو المجلات الأخرى التي تقدم جوائز أكبر .. أو تنشر قصصا خيالية أكثر ..

ان هذا الطفل الآن لم يعد يفكر في شراء مجلة أطفال الا للاشتراك في مسابقة أو للاحتفاظ بالوريقة الصغيرة التي تحمل رقم العدد .. أو لنشر صورته واسمه ضمن ركن التعارف والمراسلة .. أو لأن طابع تلك المجلة غريب عنه .. وعن عالمه .. مليء بالرعب .. بالاثارة بالمغامرات المدهشة .. والقوى الخارقة للطبيعة .. فهل نترك أطفالنا ليجرفهم ذلك التيار .. أم نحاول انقاذهم قبل فوات الأوان .. ؟؟

ما هو المطلوب إذن ؟

● المطلوب رقابة عربية أو محلية على جميع مجلات الأطفال لتقييم ما ينشر للطفل قبل وصوله الى أيدي الأطفال .. ولتحديد صلاحية منشورات الأطفال قبل توزيعها على المنازل ..

● المطلوب اصدار دوريات ثقافية .. ترفيهية .. تتناسب مع مراحل العمر المختلفة للأطفال .. وتتناسب والظروف المرحلية للبلاد والأمة العربية والاسلامية .. بعيداً عن المصالح التجارية .. وجعلها في متناول اليد بحيث تطرح للبيع بأسعار مناسبة للطفل العربي في كل مكان ..

● المطلوب تجنيد بعض المسئولين عن ثقافة الطفل .. لصد ذلك الغزو التجاري بعيداً عن عقول أطفالنا وحمايتهم من كل ما يصل اليهم من ذلك الهجوم ..

وختاما .. ليس ذلك غير تحليل بسيط لما خرجت به من قراءاتي لعدد من مجلات الأطفال ..

فرفقاً بأطفالنا أيها الناشرون .. ورفقاً بالغد الجديد ..

حصة العوضي ـ بنت الخليج



هـــذه الدعوة الأدبيـــة الجريئة

الدكتور عبد الله الطيب ناقد عربي كبير ، وباحث ادبي يحتل مكانه الآن بين الصف الاول من النقاد والباحثين . وقد جمـــع عبد الله الطيب في شخصيته الادبية بين الاصالة ، حيث انه من كبار العارفين والدارسين والمتذوقين للتراث العربي شعرا ونثرا وفكرا ، وبين المعرفة العميقة الواسعة بالادب الاوروبي والثقافة الغربية ، كما جمع عبد الله الطيب بين شخصية الناقد الباحث وشخصية الشاعر المبدع ، وجمع ايضا بين « الاستاذية » الجامعية ، والجماهيرية الواسعة حيث انه من كبار القادرين على مخاطبة الرأي العام الادبي ، كتابة ومحاضرة .. والخلاصة أن عبد الله الطيب هو شرارة من شعلة « طه حسين » التي اضاءت الأدب العربي والثقافة العربية خلال نصف قرن من الزمان ومازالت تضيء .

ويسعد الدوحة ان تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب ، حيث يهوى بقلمه على فكرة اساسية وجهت الشعر العربي منذ الأربعينات حتى اليوم ، وهذه الفكرة هي التأثر والافتتان بالشاعر الانجليزي الأمريكي الأصل « ت . س . اليوت » ، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتي وصلاح عبد الصبور وحجازي وغيرهم من الشعراء اللامعين ، حتى لقد اصبح « اليوت » حقيقة مسلما بها في الحركة الشعرية العربية الجديدة ، من حيث تأثيره ونفوذه الادبي ، وها هو الدكتور عبد الله الطيب ، يقدم هذه الدعوة الادبية الجريئة التي نرجو ان تحظى بما تستحقه من المناقشة والاهتمام ، فالدكتور الطيب يكشف عن الجوانب السلبية في اليوت ، وعن الجوانب السلبية في التأثر العربي الواسع بهذا الشاعر .. والذين يتابعون الواقع الشعري العربي يدركون ما في هذه الدعوة من جرأة ، ويسمعون ما فيها من طرقات عنيفة على باب الشعر العربي الذي اوشك ان يكون مغلقا الآن على حدود جامدة تعتمد على التكرار ولا يبدو فيها من ملامح الجديد إلا القليل .

والدوحة تنشر اليوم الجزء الأول من هذه الدراسة الكبيرة وسوف تنشر في العدد القادم الجزء الثاني والأخير من البحث . وقـــد اضطررنا لتقسيم البحث إلى حلقتين لطوله مما يصعب معه نشره في عدد واحد .

على ان « الدوحـــة » وهي تنشر هذا البحث الهام وما يتضمنه من دعوة جريئة ، تدعو النقاد والشعراء وذوي الرأي الأدبي إلى المناقشة فيما اثاره الدكتور عبد الله الطيب من آراء ادبية جديدة وجريئة .

« رئيس التحرير »

Land « اى الارض المقفرة » خالية من الاشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه « القران مثلا والاسلام » مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو في ذلك حتى إنها لتوشك ان تشمل اكثر امم الارض ولغتها وادابها الحاضرة والغابرة .

ثانيا : لفت نظري ان إليوت قد ضمن منظومته راجع The Waste Land and = other طبعة لندن في السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و = Poems ١٩٧٥ م) في السطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ص ـ ٣ إشارة إلى شيء من شـــــعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكي الانجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شيء من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر في تعليقاته شيئا يدل على هاتين الاشارتين . وقد يبدو لاول وهلة ان سبب هذا السكوت هو شهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد ان إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر في منظومته من شعر Spencer سبنسر (راجع ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣) واخر مشهور جدا من شعر Andrew Marvel اندروهارفيل (راجع ص ٣٤ س ١٩٦) واشياء معروفة من التوراة والانجيل وغير ذلك . إذن ينبغي ان نبحث عن سبب اخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما اشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثا : لفت نظري ان ذكر العرب الذي قد اضرب عنه إليوت كل الاضراب له ورود واضح في أصل الاشارتين اللتين تضمنت معانيهما والفاظهما الأسطار التي اشرنا إليها من قبل في منظومته ـ الاشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، في الأسطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ، والاشارة الديلميرية ، نسبة إلى والتردى لامير ، في الأسطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ « ١ » الاشارة التي وردت من إليوت في س ١٠٠ ـ ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شيء من شعر وليم وردزورث هي قوله :

.... Yet there the nightingale
Filled all the desert with inviolable voice
And still she cried, and still the world pursues
'Jug jug' to dirty ears —

ترجمـــة تقريبيـــة :

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صغيره إلى الآذان القذرة

هذا والذى اشار إليه إليوت من شعر وليم

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

وردزورث هو قول هذا فى منظومته

The Solitary Reaper

اى الحاصدة المتوحدة : ـ

O listen for the vale profound
Is overflowing with the sound
No nightingale did everchant
More welcomes notes to weary bands
Of travellers in some shady haunt
Among **Arabian** sands.

وضعنا خطا تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها وترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي : ـ

الا فاسمع فان الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى ابدا بلبل
نغمات اطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

اخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال : (راجع السطر الثاني من كلامه الذى مر) :

overflowing with the sound ....

اى : يفيض مفعما بالصوت .

فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

اى ملا كل الصحراء كما مربك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بان صوته الذى ملا الصحراء لا يستطيع احد له اغتصابا وطمثا inviolable واصل هذا المعنى ماخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى افعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لا تنال لتوحدها وبداوتها الى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لا يستطاع نيلها بغصب وطمث ، لا يطمثها احد لا انس ولا جان كحور الجنة . وازعم ان إليوت لايخلو ان يكون نظر فى قوله الى هذا المعنى القرانى ـ قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين : «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» ؛ وذلك ان ترجمات القران فى اللغة الانجليزية وغيرها من لغات اوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel ....

وهو يريد بذلك ان يوقع فى وهمنا انه يشير الى خبر Philomela فيلوميلا الاسطورى وخلاصته (وقد اشار اليه فى التعليقات ص ٤٦) ان ملكا تزوج اخت فيلوميلا (او فيلوميل) ثم شغف بها هى حبا وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم احدا بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته . وتنتهى الاسطورة بمسخ الغاصب والمراتين طيرا ، وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما اشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز ان اصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من امهات الحضارة ؟ ومن خطا اليونان او غيرهم فى هذه الأسطورة نسبة الغناء الى انثى البلبل لان الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على ان اصل معنى إليوت اخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث «الرمال العربية Arabian Sands ، بقوله هو «كل الصحراء all the desert وما قوله كل الصحراء إلا كما لو قال رمال العرب او الرمال العربية او الصحراء العربية. واستبدل إليوت قول وردزورث «لجماعات مضناة to weary bands بقوله هو «للاذان او الى الاذان القذرة to dirty ears وشبه الصياغة ودليل الاخذ فى النص الانجليزى واضح جدا . ولاحظ مع هذا ان إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث «بين الرمال العربية» بقوله هو «كل الصحراء» :

وردزورث : Among Arabian sands

إليوت : : Filled all the desert

وقول إليوت :

Jug jug to dirty ears ....

اى : زقزقة صفير البلبل الى الآذان القذرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت «زق زق» ليوهم بانه يشير الى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى اشعارهم ويصرف الاذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى ان ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وان هذا الامر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» : الاشارة الديلميرية نسبة الى والتر دى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ص ٣٠ : ـ

Where fishmen lounge at noon, where the walls of magnus martyr hold
Inexplicable splendours of Ionian white and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى ما يعجز الشرح من روعة الابيض اليونانى والذهبى .

الكلمة inexplicable فى هذا النص ومعناها ما يعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى اخذه من وردزورث وهى inviolable اى لا يستطاع اغتصابه . وفكرة الابيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامه «فيلوميل» من قبل من حيث الايهام بالرجوع الى الاصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب . وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعليقه بذكر المعمارى رن Wren فى ص ٤٨ وهو السير كرستوفر رن Sir Christopher Wren يشبه إقحامة «زق زق» ليصرف النظر عن اخذه عن دى لامير ويوهم باشارة بدل ذلك الى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تاريخ الحضارة والفن والادب .




وليم شكسبير — جون ملتون — عزرا باوند

عنى إليوت بالابيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل واصلها يونانى . وقول إليوت : Magnus Martyr اى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس Saint Magnus وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن . ومعنى «مارتر Martyr التى اقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة ، (راجع A History of Architecture اى «تاريخ العمارة» لمؤلفه السير بانستر فلتشر Sir Banister Fletcher طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ ـ ٨١٥) .

السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣١ ـ ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، اعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما اعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة Saint Paul's ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفر رن فن النهضة فى سائر ما صممه ولا يستبعد ان يكون إليوت ضمن قوله (ماغنس مارتر Magnus Martyr) على شرحه المتكلف له فى ص ٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيها لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لا يخفى ان بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنس مارتر) وهذا معنى جانبى تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والاول مع الشرح هو الظاهر ولكنى احسب ان هذا هو المقصود وهو الاصل .

اضرب إليوت عن ذكر دى لامير واخفاه .

وقول والتر دى لامير الذى اشار اليه هو اول كلمته Arabia اى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان ـ (انظر ص ١٥٥ من مختارات الشعر الانجليزى المسماة Selections from modern Poets لصانعها ج . س . سكوير J. C. Squire طبع لندن ـ مارتن سكر Martin Secker سنة ١٩٢١) . قال والتر دى لامير فى اول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان اول سطرين وقد نظر الى هذين السطرين والى ما بعدهما إليوت نظرا شديدا فى الاسطار التى ذكر فيها فيلوميل والتى قبلها (راجع من اول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدا بشيء كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوباترة الى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهات ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الامراء فى نصف النهار ...

استبدل إليوت عبارة دى لامير the shades of Arabia .. (ظلال جزيرة العرب) بعبارته هو the walls/of magnus martyr ... (جدران كنيسة ماغنس الشهيد) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير . ولا يخفى ان الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والفرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادرا عن تعصب دينى او عنصرى او عقابيل شعور صليبى مما يدعو الى التماس ملجا عند الكنيسة إذ لا يخفى ان ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد .

وقد كان والتر دى لامير (١٨٧٣ م ـ ١٩٥٦ م) معاصرا لاليوت ، اسن منه شيئا .. وقد وصفه تاريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالاصالة والملكة ذات الطبع الجذاب ـ (انظر ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨ من كتاب The Concise Cambridge History of English literature دى لامير : Where the Princes ride at noon — لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م) وقد كان ذا روح رومانتيكى . وطوى اليوت ذكره طيا مع ان شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل اليوت لفظ الامراء the Princes الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen اى صائدو الحوت وقول دى لامير ride (يركب) بقوله lounge (يستريح) واحتفظ بلفظ نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرر اليوت لفظ where (حيث) الوارد فى بيت

(حيث يركب الأمراء فى نصف النهار)

يترنم به كما ترى .

لا يخفى ان ثم رابطة قوية بين طي اليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده الى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان واوروبا والسوربون وهارفارد واكسفورد والاستنكاف عن ان ينسب الى الرومانتيكية لادعائه الانتساب الى الكلاسيكية مع انه غارق الى اذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الاوان ولشاعرها والتر دى لامير المعاصر له فى الزمان ، وبعضه مرده الى شخصيته وبيئته كنشاته فى امريكا وتحوله الى الجنسية البريطانية وتقلب اهوائه فى السياسة والدين ، واكثره مرده الى طموح جامح طلب بمملكة محدودة المدة ان يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمدا فى ذلك على الكد والمكر والدهاء كالذى رايت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الاكاديمية . وككتمانه امر دينه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات . كذلك كتم امر دينه للعربية واضرب عن ذكره والاشارة اليه كل الاضراب .

الجزء الثانى فى العدد القادم

كلام عن.. سيناء

درويش مصطفى الفار

لم تبرح شبه جزيرة سيناء ، تتسنم قمة الأحداث ، طوال القرون الخمسين المنصرمة ، شاهدة جيشا مغربا أو مشرقا بمعدل مرة كل خمسين عاما ... ولا اظنها ستفقد صفتها تلك، طالما ظل الخطر اليهودي الصهيوني العنصري التوسعي قائما بغير رادع (عربي اسلامي) فعال ... وسيناء ، فيما يعلمه من عرف التاريخ ، ولست هنا للخوض فى ما قبل التاريخ ، ولست هنا للخوض في هذا الأمر ومناقشته ، ولا للحديث عن جبالها ورمالها وهضابها ، وسواحلها ، وسباخها ، وقبائلها ، وحيوانها ، ونباتها وآثارها ، ودروبها ، ومسالكها ، وغير ذلك من خصائصها ومميزاتها التي حظيت في جملتها وتفصيلها بما يزيد ، مما احصيته في ثبت،حتى الآن ، عن الف وخمسمائة كتاب بشتى لغات الأرض ، ظننا انها (سيناء) التي عناها كل من التوراة والانجيل والقران الكريم ، فيما يخص موسى عليه السلام ومناجاته والألواح ، ذلك الامر تعددت فيه الآراء والتفسيرات والظنون ، مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد بأن سيناء الكتب المقدسة ، ليست بالتاكيد ذلك المثلث من الأرض العربية المصرية الذي تبلغ مساحته زهاء واحد وستين الف كيلو متر مربع ، ويتخذ قاعدته على ساحل البحر المتوسط ، وراسه عند التقاء خليجي السويس والعقبة في دخولهما بحر القلزم او البحر الأحمر ، وانما هي مكان اخر يقع في الصحراء الواسعة الرحبة الى الشمال الشرقي من مدينة العقبة .... لست بصدد هذا الآن ... بيد أني بصدد رفع الستار عن بعض حقائق التاريخ التي حدثت فعلا. اكشفها ما وسعني الجهد لعلها تنير بصائرنا ، بعلمنا بحقيقة ما حدث ، لعلنا نعي ما يحدث اليوم .... فقد ظل الاستعمار الغربي ، وهو مشغول ببذل الود للصهيونية العالمية ، ليتخذها ـ لحاجات في أنفس يعاقيب ـ سوطا أو مقرعة على ظهور واوجه (أصدقائه) العرب ، حتى ينفس عن مكبوت من الألم وقر في القلوب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، ظل يناور ويداور ويحاور لاثبات ان (سيناء) ليست ارضا مصرية عربية ليستطيع اقتطاعها للوطن القومي اليهودي ، طالما كانت الشام بجملتها (ومنها فلسطين) تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ... ولكن ظروفا لا تحصى حالت دون تلك الهدف بعد أن اختلف اللورد كرومر (صاحب الأمر والنهي في مصر حتى سنة ١٩٠٨) مع لجنة هرتزل التي درست (ساحل العريش) سنة ١٩٠٢ ... من تلك المناورات والدسائس ، خطاب وقع في يدي ، ارسله الكولونيل (العقيد) رتشارد ماينر تزهاجن ، الى رئيس الوزراء لويد جورج بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، خطاب يجب ان يقراه كل عربي ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، يقول فيه ـ لا رحمه الله ولا طيب ثراه :

سيدي رئيس الوزراء :

لقد سالتني بالأمس ، أن اسطر لك رسالة ـ غير رسمية ـ حول موضوع (السيادة على سيناء) ،وانني اعتبر هذا السؤال ذا اهمية قصوى ، ليس اليوم (١٩١٩) ولكن في الأعوام القادمة .. فهل تسمح لي أن ازيد الأمر توضيحا ، عنى بالامس ...

لقد كنا ، في منتهى الحكمة بسماحنا لليهود أن ينشئوا لهم وطنا قوميا في فلسطين ، ونحن قد (حررنا) العرب من ربقة الأتراك !! كما اننا لن نخلد في مصر .. ولقد وضع مؤتمر السلام بيضتين هما القومية اليهودية ، والقومية العربية ، ومن هاتين البيضتين سوف تحصل على ديكين مزعجين ، الديك اليهودي ، (رجولي شجاع ،ذكي وذو عزيمة !!!) والديك العربي ، (منحط ، بليد خئون) ليس لديه ما يعطيه غير الضلالات التي منحتها اياه تلك الصحراء السرمدية الهدوء!!! واليهود ـ ياسيدي الرئيس ـ رغم شتاتهم قد استطاعوا أن يتميزوا في الفنون والعلوم والموسيقى ، وقد كان

منهم واحد من أعظم رؤساء وزراء بريطانيا!!

وفي خلال خمسين سنة من الآن (١٩١٩) فان كلا من اليهود والعرب سوف يحمل لواء (قوميته) وهذا نتيجة طبيعية لاعلان الرئيس (ولسون) عن حق تقرير المصير ... والقومية تفضل الحكم الوطني مهما كان غير كفء او غير امين ، على الحكم الأجنبي مهما كانت مميزاته والقومية تهتم بتحرير الحكم من الأجنبي ، وتتجاهل حرية الفرد ، وهي بالطبع (الطبيخ) الذي يحترفه السياسيون والمهيجون ، وقد يتأتى من ورائه ظلم شنيع للجماهير . ولسوف يتطور الوطن القومي لليهود ان عاجلا او آجلا الى (سيادة) وانا افهم ان هذا التطور الطبيعي يدركه ويسعى اليه المحيطون بجلالة الملك . كما وان القومية العربية سوف تنمو من ما بين النهرين الى مراكش . ولسوف تصطرع السيادتان ، اليهودية والعربية . فاذا ما تحقق برنامج التهجير اليهودي الى فلسطين فان الدولة اليهودية سوف تتوسع ، على حساب العرب ، الذين سوف يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون نمو (فلسطين يهودية) وهذا سوف يتطلب ، اراقة الدماء ... ووضع بريطانيا اليوم (١٩١٩) في الشرق الأوسط ، وضع متفوق ، ولسوف تجابهنا تحديات القومية ... ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للطرفين ، العرب واليهود ... واقترح أن نصادق القوم الذين سوف يكونون أصدقاء (أوفياء) لنا ، وهم اليهود بالطبع ، وهم مدينون لنا بأمور كثيرة ، ونحن نعرف أن (الوفاء) من خصائص اليهود (!!!!) اذ على الرغم من اننا قدمنا الكثير للعرب (فانهم) لا يعرفون معنى الوفاء !!!! فضلا عن انهم سوف يكونون (عبئا) علينا ، بينما اليهود سوف يكونون عونا !! وفلسطين ياسيدي الرئيس هي حجر الزاوية في الشرق الاوسط وهي محصورة بين

● رسالة غير رسمية
حول موضوع
السيادة على سيناء
عمرها ٦٣ عاما

الصحراء والبحر ، وبها افضل مرافىء شرقي البحر المتوسط ، ولقد أثبت اليهود مقدرتهم الحربية منذ احتلال الرومان لفلسطين (؟؟) والقدس ... والعربي محارب (ضعيف) لا يتقن الا السلب والنهب والقتل !!!!

والآن نأتي الى موقع فلسطين بالنسبة الى مصر ، فالمصريون على كثرة العدد وتفوقه لا يمكن مقارنتهم باليهود وجيشهم !! ولكن عندما تتطور الأسلحة ــ الدبابات والطائرات ــ فان القوة الهجومية سوف تعتمد على الشجاعة والصلابة ، ولهذا فانني اعتبر مصر العدو الكامن الدائم لفلسطين (اليهودية)... وبنمو القومية العربية والقومية اليهودية سنة ١٩٦٦ أي بعد سبعة وأربعين عاماً من الآن فلسوف نفقد وضعنا في الشرق الاوسط فاقتراحي اليك أمس هو اقتراح بأن ننظر بجدية الى تقوية وتأمين موقفنا في الشرق الأوسط .

ولقد كانت الحدود المصرية (التركية) قبل سنة ١٩٠٥ تمتد من رفح الى السويس . وهكذا كان كل شرق سيناء وجنوبها جزء من (الحجاز) وهي ولاية عثمانية ، وفي اكتوبر سنة ١٩٠٦ منحت مصر حق ادارة سيناء كلها غرب الخط الواصل من رفح الى العقبة ، وظلت تركيا محتفظة بسيادتها !!! ولقد قام الجنرال اللنبي بالقوات البريطانية (دون مساعدة من الجيش المصري) بغزو (وتحرير) سيناء (التركية) ، وبذلك فان سيناء ، بحق الفتح الحربي هي أرض بريطانية !! وهذه الحقيقة الواضحة الصلعاء يمكن لوزارة الخارجية أن تجعلها حقيقة دولية !! فاذا ما توصلنا الى الحاق سيناء بممتلكات التاج ، فاننا سوف نحقق المغانم التالية :

١ ــ انشاء منطقة تعزل ما بين مصر ، وفلسطين (اليهودية) ...

٢ ــ الحصول لبريطانيا (العظمى) على موقع ممتاز للسيطرة التامة على البحرين الأحمر والمتوسط ..

٣ ــ وكذلك على متسع لقاعدة ستراتيجية ، بموافقة اليهود لانشاء اكبر الموانىء في شرق البحر المتوسط .

٤ ــ تصبح بريطانيا في موقع تستطيع منه كبح جماح اي تحرك مصري لتعطيل الملاحة في قناة السويس فضلا عن التمكن من دراسة توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بقناة ثانية

٥ ــ ليس هنالك خوف من قيام نزعة تحررية بين سكان سيناء لأنهم فقراء قليلو العدد ومعظمهم من البدو الرحل .. ولئن كان قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) قد غير من خطوات فلسفة هذا الخطاب العجيب ، فان مضمون تلك الفلسفة قد نفذ ، ولعل أهل كاتب هذا الخطاب قد عرفوا معنى (الوفاء) ، ولعلنا قادرون على أن نرى (الأصدقاء) زلاتهم وخياناتهم للأمانة ، لعلهم يرعوون ويفيقون قبل أن يصبح استمرار (الصداقة) من المستحيلات ، وحيث لا ينفع الندم .



في الملهى

شعر: د. كمال نشأت

أيتها الصبيةُ النحيلة
كجيد مُهْرٍ عربى
من الذى أتَى بقلبك الغَرِير هاهنــــا
بين العيونِ الجشعــاتِ النَّزِقَه
والنفوسِ المُتْعَبــاتِ القَلِقَه
لا تدخلى الحلبــةَ للرقصِ .. كَفَــاكِ
هــذه الكأسُ الصغيره
أيتهــا الغَرِيرَه
يا جدولًا من بجــعٍ فى ضــوءِ فجرٍ زئبقى
أشم فيك الأرضَ قـد تشربتْ مطرْ
أشم فيك خصبَها ..
لو كنتِ لى ..
رسمتُ وجهَكِ القمحىَّ فى أجنحةِ البلابلْ
لو كنت لى ..
قضّيتُ عمرى كلَّه ... لكننــا
مبتعــدانْ ..
واحسْرَتَا .. مبتعــدانْ
فالشمسُ فى أصيلها
والبــدرُ عُنْفُوَانْ .

القدس

شعر: ناهض الريس



على جبلِ الزيتونِ كانت لنا الدنيا
فسقْيا لأرض القدس من جنَّة عُلْيا
وسقيا لعهدِ القدسِ عهداً محبَّباً
وسقيا لأهلِ القدسِ إن عزَّت اللُّقْيا
وللسُّور من حولِ المآذنِ والحمى
وللدُّور والأجراس فى ظلِّها سُقْيا
وللشفق المنثورِ فوق قُبابها
وللعبَقِ المذرور عطراً ربيعيَّاً
وفرطِ بهاءٍ فى حجارةِ أرضها
ولون ترابٍ قد تخالُ به وشْيا
فكيف بأهليها وهُمْ أسمحُ الورَى
وأعرقُهم أصلاً وأشرفُهم سَعْياً
إليها تناهى الطُّهر والبشرُ والتُّقى
وباركها فى الوحى من أنزلَ الوحْيَا
عشيةَ أُسرى بالنبيِّ وفُتِّحتْ

من القدس أبوابٌ ليرقى لها رَقْيا
وربُّك أدرى حيث يفتحُ بابه
ويعلم أيَّ الأرضِ أطهرُها أيَّا
معالم كالأحلام لم ينطبقْ على
مثيلٍ لها جَفْنٌ ولا حلَّقتْ رُؤْيا
نَعِمْتُ بها فى عمرِ عينيَّ طَرْفَةً
فكانت هى العمرَ الجميلَ لعينيَّا
أقول وقد ناحت بقلبى حمائمٌ
إذا لم أعُدْ للقدسِ لا كانت الدنيا

* * *

ولما رأيت الدَّرْبَ طَالَ ودونَنَا
معاركُ مدَّ الأفْقِ والسدَّ ناريَّاً
همزتُ حصان النار فى حُلْكةِ الدُّجى
ويَمَّمْتُ شَطْرَ القدسِ أطوى المدى طيَّا
فإن أحترقْ إنى لأهوَنُ حرقةً
من المسجد الأقصى وقد بات مسبيَّاً
وهمُّ صلاح الدين همِّى ، وخيله
ركابى ، وإن كان الزمان صليبيَّاً

قصـــــــــة

الثلاجة

بقلم : مصطفى أبو النصر

فى الطريق إليهم فكرت فيما يمكن ان اقوله لهم ، وبأية كيفية . إننى لا اخدع احداً ، ولا احب ان اكون خادعا ، ولكن من الضرورى أن اكون حازماً .

قالت لى فى آخر مرة : « إننى لا ابه بكل ما تقول ، ولا يهمنى ما تفعل ، واعلى ما فى خيلك فاركبه » . ولما كنت لا املك حتى حماراً ، فاننى لم افعل شيئاً .

سيضحك الجميع منى لو اننى رويت القصة كاملة . ما فائدة أن احكى حكاية مضت ؟ ليست العبرة فيما حدث ، بل فيما هو آت . إذا هددنى أحدهم ، أو قال لى مالا يعجبنى ، فساكيل له الصاع صاعين .

« من فضلك ابتعد عنى قليلا . الهواء مكتوم ، والجو خانق . اننى لا اكاد اطيق نفسى فكيف بالله اطيق انفاسكم الكريهة انتم ايضاً ؟ لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لست عدواً لك ، ولا انا اعرفك من قبل ، وهذه هى المرة الأولى التى يقع فيها بصرى عليك . تبتسم ، تظنني مجنوناً . اعرف كيف تفكرون كلكم عقلاء إلا من يخالفكم . الشجاعة وحرية الرأى فى رأيكم تهور ، والضعف والجبن والاستكانة ، هى المثل العليا لمن يريد أن يعيش فى هذا الزمن . من ادرانى انكم لستم إلا شرذمة من اللصوص والخونة ؟ المظهر قد أعمى بصيرتكم عن حقيقة الانسان ، فحسبتم ان كل ما يلمع ذهباً » .

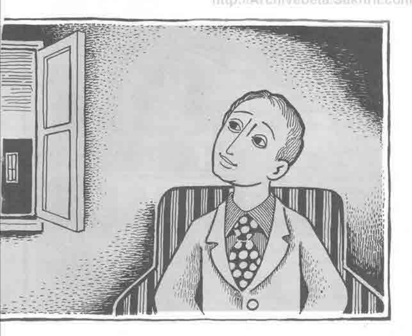
حين طرقت الباب ، فتحه صبى فى نحو الثانية عشرة . نظر إلى وكانه ينظر إلى عفريت ، وانطلق يعدو معلنا عن حضورى بصوت كالصفارة . لم اره من قبل ، ولا أعرف ما صلته باهل البيت . عاد بسرعة ، ودعانى للدخول .

الحجرة ضيقة ، والاريكة والكراسى الاربعة متقاربة ، بصعوبة يستطيع المرء ان يمر من بينها . لم اتحمل رائحة الحجرة ، فما كدت اجلس ، حتى قمت على الفور ، وفتحت باب الشرفة بعد أن أزحت عنه الستارة القديمة والتى كان مرسوماً عليها صورة طاووس يختال براسه المرفوع وذيله المنتشر . لم يجدد فتح الشرفة الهواء ، فقررت ان اتصرف وكاننى فى بيتى ، فقمت ثانية ، وفتحت باب الحجرة . تناهت إلى اصوات مبهمة ادركت من حدتها ان شجارا ما يقع فى الخارج . الحقيقة اننى استرحت لنغمة الشجار ، انه ـ بلا جدال ـ المقدمة الطبيعية لكل ما قد يحدث بعد ذلك .

طالت مدة الانتظار . كنت مشحونا بالأفكار ، وبما ساقوله لهم . ترى هل سيستقبلنى الجميع ، أم انهم سيكتفون بمندوب عنهم ؟ الوقاحة لا تنقصهم ، ولا احد منهم يمكن أن أعده رجلا بمعنى الكلمة . أما النساء فان البلاهة وضيق الأفق هى السمات الرئيسية لهن . لاشك اننى كنت مغفلا ، مغفلا حقيقيا ، وكنت ايضاً قصير النظر . من الضرورى ان اكون البادىء ، وأن اكون مباشرا ومهاجما فى آن واحد حتى لا اسمح لهم ان ياكلونى . تركتهم فى الماضى حتى اغتالونى ، ولكن لا ، لن اتكلم عن الماضى

ـ اهلا وسهلا .

قبلت لى بصوت جاف ليس به اى



ترحيب ، لماذا تقولها إذن إذا لم تكن تريد ؟ مددت يدى صامتاً ، وكان وجهى جامداً . لم احاول أن اتصنع اية عاطفة . ما كل هذا التحفظ والصمت المكتوم ؟ يجلس امامى ويصر على الا يتكلم . لماذا تخلت إذن ؟ كان الأحرى ان يدخل غيرك . هل تظنني ساقدم رجاءات وتوسلات؟ لقد مضى ذلك العهد ، ولن أعود إليه . فعلتها لكثر من مرة ، وفى كل مرة كنت اتحمل الضغط على نفسي حتى كدت أمرض ، غير انني كنت ساذجاً . الآن لا يجوز لى ان أكرر ذلك .

نظرت إلى الساعة حول معصمى . خمس دقائق فقط ، ساظل خلالها محدقاً فى وجهك ، ساجبرك على الكلام ، على النطق ، على الاعتراف بالخطأ . انت تعرف جيداً ما الذى فعلته ابنتكم . هل تظن انني جئت هذه المرة ايضا لأصفى ماحدث ؟ إذا كنت تعتقد ذلك أو تتصوره فانت ساذج وأبله ، ساذج ومغفل . فى المرات السابقة كنت اتغاضى واتجاهل ما تقولون ، حتى لا يقع الشيء البغيض . اما اليوم فالنائم قد استيقظ ، والقزم قد صار عملاقاً ، والضعيف قد صار قويا ، والبسيط قد صار معقداً ، والانسان فى داخلى قد استحال إلى وحش مفترس .

الآن تبتسم . تضع ساقا على ساق . سأتركك تفعل ما تشاء ، ولكن إلى حين . عدت فنظرت إلى الساعة . دقيقتان ونصف تقريبا . ما الذى تنوى ان تقوله ؟ إياك ان تعيد على الحكاية ، إنني اعرفها ولا حاجة بى لسماعها من جديد . مادمت تبتسم فلابد أنك قد اعددت لى مفاجأة . ربما اتفقتم على خطة معينة . من المؤكد ان خطتكم قد بنيت على أساس ما حدث فى المرات السابقة . سأقلب خططكم راسا على عقب . إذا قلت يمينا فساقول شمالا . إذا قلت فوق فساقول تحت . إذا قلت امام فساقول وراء . لن تنجح فى شيء معى هذه المرة . لقد انتهى كل ما بيننا ، والقرار الذى اتخذته لن تستطيع قوة ان تغيره . قل إذن ما تريد ، ولا تحاول بهذه الابتسامة أن تستفزنى . جئت إلى هنا ، وقد تسلحت بالارادة والاصرار . إذا كانوا قد أوصوك باتخاذ هذه الصورة البلهاء ، فقد خدعتم جميعا . الن تكف عن هذه الابتسامة ؟ هذا كله لن يجدى .

من الشارع تناهى إلينا صوت اصطدام سيارتين . انتفض فى جلسته وانزل ساقه . مضت لحظة تلفت فيها حوله ، وعاد ينظر إلى . كنت ابادله النظر مباشرة ، وجهى قطعة من حجر لا يقول شيئا ، يحاول ان يصمد . منذ عرفتك وانت تظن نفسك ذكيا واعيا أديبا فطنا ، تلعب بالبيضة والحجر . لقد انتفضت مأخوذاً حينما سمعت صوت الاصطدام . كيف إذن ستتحمل صدامنا ؟ لماذا لا تقول شيئا ؟ لقد غاضت الابتسامة الآن وضح كل شيء . لا توجد خطة موضوعة ، تنتظرون كلامى . انكم تستجدون ، تريدون أن تعرفوا ما فى راسى .

مضت الآن الدقائق الخمس . أن لي أن اتكلم . من المحال أن اقول ما تريدون .

ـ الجو حار .

نظر الي ، حدق في بعينين لا تفهمان شيئا .

ـ فعلا الجو حار .

وصمت موافقا على كلامي بهزة من راسه .

ـ ليس حارا فقط ، وانما حار وخانق .

رفع راسه وعاد يحدق في . لابد أن يقول شيئاً .

ـ حقا ، الحرارة شديدة ، والجو خانق .

هذا لا يكفي .

ـ حرارة الشمس في الخارج ملتهبة .

رفع حاجبيه في دهشة .

ـ تشوي الوجوه .

قطب ما بين حاجبيه .

ـ تذيب العقول .



الثلاجة

لوى شفته السفلى، وهز رأسه قائلا :

ـ هذا العام حر شديد .

ـ ليس هذا العام فقط ، هذه ظاهرة بدأت منذ حوالي عشر سنوات .

حاول ان يبتسم ، ولكنه لم ينجح ، ربما ظن ان ما اقوله مقدمة للدخول فيما يريد ، فعاد يهز رأسه :

ـ فعلا .

ـ هناك حقائق علمية تفسركل ذلك .

عاد يرفع حاجبيه مندهشاً . لا يهمني لا يهمني ، لتندهش حتى يوم القيامة .

ـ ما هي ؟

ـ لا اعرفها .

طفرت الحيرة من عينيه .

ـ اذا سمحت كوب ماء .

ـ ماذا ؟

ـ كوب ماء .

بسرعة هب من مقعده ، وغادر الحجرة ، وكأنه قد اكتشف الحقيقة السافرة . سيذهب اليهم الآن ، ويخبرهم انني قد صرت مجنونا . هذا ماأردته بالضبط، ليعرفوا ما الذي يمكن ان يفعله المجانين ، ولكن مهلا ، لا يجوز ان تأخذوا كلامه كقضية مسلم بها . لماذا لا تدخلون جميعا وتتفرجون على ؟ وقع أقدام تقترب . رأس امرأة يطل من الباب . رمقتها في برود . لم اعرفها ، لم اشاهدها من قبل . الغرباء في هذا البيت كثيرون . اين الأم ؟ اين زوجتي ؟ اخواتها ؟ ربما كانت قريبة او زائرة من الجيران والصبي ابنها . لم يعد شيء خافياً ، لقد صار الموضوع مباحاً للجميع . من لم يشتر فليتفرج . ولكن صبراً سنرى من الذي سيتفرج في النهاية . اختفى الرأس .

ثمة رأي آخر سيقال الآن . الكل يستمعون اليها . ستصف نظراتي . لقد تأكد للجميع ما قاله الأب . الحيرة في العيون . الاضراب يأخذ بعقولهم . هل تعود لتعاشر مجنوناً ؟

دخل الأب حاملا كوب الماء . قدمه الي بمجرد ان لمسته ادركت أن الماء ليس بارداً ، ومع ذلك رفعته الى شفتي ، ولكني ـ على الفور ـ أبعدته قائلا :

ـ الماء ليس بارداً .

اجابني في برود وهو يجلس :

ـ ليس عندنا ماء بارد .

ـ لديكم ثلاجة ، أم انكم بعتوها ؟

ـ ما هذا الكلام لقد تلف المحرك .

ـ كان واجباً عليكم أن تصلحوه او تغيروه .

حدق في وكأنه لا يصدق ما اقول . لم يجبني بشيء . وضعت الكوب على منضدة صغيرة امامي .

ـ هل اصنع لك فنجان قهوة ؟

ـ في هذا الجو ؟! علي بزجاجة كولا على أن تكون مثلجة .

ـ لا يوجد احد لشرائها .

ـ كيف ؟ وهذا الصبي الملعون من هو

ـ انه .. انه

قاطعته :

ـ لا اريد أن اعرف . واضح انك لا تريد ان تقدم لي شيئاً .

ـ كلا ، ولكنها الظروف .

كلام لا معنى له . اية ظروف ؟ ولكن لا بأس ، يريد أن يحرجني . يقول لي بصراحة انني غير مرغوب في . يريد أن اتكلم في الموضوع ، غير أن هذا لن يكون

ـ لا شك أن سبب تلف المحرك هو ضعف التيار الكهربائي . هذا يحدث كثيراً .

ـ ربما يكون هذا هو السبب .

ـ لماذا لا ترفع دعوى على مصلحة الكهرباء ، وتطالبها بتعويض على هذه الخسارة؟ نظر الي في بلاهة ، ثم سألني في صوت بدت فيه نبرات الضيق واضحة :

ـ وهل هذا ممكن ؟

ـ ليست العبرة فيما هو ممكن أو غير ممكن . المسألة في بساطة ان كل شيء يجب أن يقف عند حده ، والا فالفوضى ستجتاح البلاد .

ـ لم أسمع عن احد رفع قضية من هذا النوع .

ـ انت لم تسمع ، أما انا فقد سمعت .

ـ كيف ؟

ـ لا اعرف الطريقة ، ولا اريد أن أعرفها ، فمحرك ثلاجتي لم يتلف .

ـ ما العمل اذن ؟

ـ عليكم بشراء الثلج ، كما كنا نفعل في الماضي ، حتى تنتهي القضية بينكم وبين مصلحة الكهرباء .

رمقني بنظرة أدركت معناها : انه يجاريني في الكلام.

ـ لنفرض انني خسرت القضية ، ما العمل ؟

ـ كل شيء محتمل ، ولكن من المفروض ان توكل محامياً فذا للدفاع عن ثلاجتكم .

ـ ما هذا الكلام ؟

ـ الا يعجبك ؟

ـ الكلام لا يكون بهذه الطريقة .

ـ قل لي اذن ما هي الطريقة المثلى للكلام في هذه القضية الصعبة ؟

ـ لقد اعتبرتها قضية وصعبة أيضاً .

ـ بالطبع والا ما هو الحل في نظرك ؟

ـ لم افكر في هذه المسألة بهذا الشكل كل ما في الأمر انني أنتظر ...

قاطعته :

ـ طبعا تنتظر منحة او مكافأة ، ليتيسر لك شراء محرك جديد .

ـ أظنك لم تأت للكلام عن الثلاجة ومحركها .

اخيراً صرح بما في داخله . ولكن لا يكفي هذا .

ـ ما دام هذا الموضوع قد أثير ، لم لا نتكلم عنه ؟ ثم انها مشكلة يجب حلها ، وكلما كان الحل فورياً ، كان هذا ادعى الى هدوء النفس ، وراحة البال ، ففي مثل هذا الجو الخانق ـ اسمح لي أن أسأل ـ كيف تشربون ماء الصنبور ؟ انه تعذيب حقيقي . ليس أمامكم ـ كما أرى ـ الا شراء ربع لوح ثلج يومياً . أظنه يكفي . طبعاً عندكم ثلاجة من النوع القديم . كانت أياماً ظريفة ، لم يكن يوجد تلف محرك أو غيره ، ولكن هذه هي ضريبة المدنية ، ولابد ان نأخذ بقسط وافر من التمدن ، والا فما الذي يمكن ان يفعله شعب مثلنا في مثل هذا الجو ؟ اني على أتم استعداد أن ارسل لكم مهندساً كهربائياً لاصلاح الثلاجة ، وتأكد انه لن يرهقكم . انه مهندس ماهر وشريف ، ومن عائلة محترمة جداً . يعمل في الصباح

في الحكومة ، اما بعد الظهر فيمر على الذين تلفت ثلاجاتهم لاصلاحها . هو مضطر إلى ذلك ، فمرتبه لا يكفي ، غير انه ماهر وشريف ، ولم يفكر لحظة واحدة في الاختلاس . طبعاً كان يمكن أن يفعل ذلك ولكنه متمسك بمكارم الاخلاق . تسمع طبعاً عن الاختلاسات ...

ـ من فضلك ، من فضلك .

ـ نعم ؟

ادركت انه يريد ان يتكلم في الموضوع

ـ ما علاقة كل هذا بـ ...

ـ بماذا ؟

ـ بزيارتك .

اجبته ببساطة وكانني لا افهم شيئاً :

ـ ليس له أية علاقة ، ولكن الحديث هو الذي جرفنا .

ـ ليس لدي وقت لمثل هذا الكلام .

ـ ولا انا أيضاً . ـ اذن ادخل في الموضوع .

ـ أي موضوع ؟

ـ الذي جئت من اجله .

ـ لم آت من اجل موضوع معين مجرد زيارة .

ـ اسمح لي ان اقول ..

ـ قل ما تشاء .

اظن ان اصلاح ...

قاطعته :

ـ الثلاجة ؟

انتفض في جلسته ، وعلا صوته في غضب : ـ انا لا تهمني الثلاجة في شيء

تأملته في برود شديد وانا اسأله :

ـ ما الذي يهمك اذن ؟

ـ اصلاح ...

ـ ايوجد شيء اخر قد تلف ؟

تململ في جلسته وبدت على وجهه علامات الغيظ :

ـ لماذا لا تصبر ؟

ـ لقد صبرت اكثر مما يجوز .

ـ فلا داعي اذن لكل ماحـــدث .

(وصحت لحظة ، وبدت الحيرة في عينيه ثم نطقها بسرعة)

انها تنتظرك بالداخل

هذا ما أردته .

ـ من هي ؟

ـ من هي!؟

ـ نعم من هي ؟

ـ ألا تعرف

ـ ليس التطفل من طبيعتي .

استند على ظهر الكرسي ، ونفخ في ضيق :

ـ لقد ارهقتني .

ـ اذن سأستأذن . هل أرسل لك مهندس الكهرباء ؟

كان يمكن ان ينفجر في هذه اللحظة .

ـ لا أريد مهندسين ولا شيء .

كان لابد ان أتحلى ببرود قاتل .

ـ ماذا تريد اذن ؟

ـ سبحان الله .

ـ اذا كنت لا تريد اصلاح الثلاجة ، فهذا شانك .



ـ لنترك الثلاجة في حالها ، تكلم في الموضوع الرئيسي .

ـ ليس لدي موضوع رئيسي ولا فرعي

ـ هكذا

ـ نعم هكذا .

هم واقفاً .

ـ أهذا كلامك الأخير ؟

ـ نعم .

ـ اذن المحاكم بيننا .

قلت وانا خارج من باب الحجرة :

ـ المحاكم حبلها طويل ، افضل ان تصلحها دون اللجوء الى رفع قضية ، فلن تاخذ من الحكومة شيئاً.

مصطفى أبو النصر

الإنسان بين التراث والآلة

قراءة في قصيدة "يوليسيس"

للشاعر الإنجليزي : الفريد تينسون

بقلم : أ د عبدالوهاب المسيري
جامعة عين شمس

الشاعر الانجليزى تينسون

تسيطر على أشعار الفريد تنيسون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) ، الشاعر الفكتورى ، مجموعة من التوترات والتناقضات ، تناقض بين الفن والواقع ، بين التامل والعمل ، بين الهروب والاقدام ، وهو تناقض عبر عن نفسه فى كل قصائده تقريبا وترجع جذوره الى كل من عصر الشاعر وحياته ذاتها . فهو قد ولد لاسرة متدينة فى عصر انتصار العلم والتكنولوجيا ، وقد ولد لاب كثيرا ما كانت تنتابه نوبات من الكابة والحزن فى زمن كان التفاؤل هو المناخ العاطفى العام فيه . وحينما التحق بكمبريدج للدراسة انضم لجماعة «الحواريون» وهى عبارة عن مجتمع طلابى ذى عقلية إصلاحية ، اهتم بالمشكلات الاجتماعية والثقافية ، وحاول للزاوجة بين العلم والدين . وقد قامت إبان هذه الفترة ، صداقة عميقة بينـــه وبين « ارثر هالام » ، وهى صداقة منحت «تنيسون» كثيرا من الثقة فى النفس والطمانينة . غير ان المنية اودت بصديقه فانقلب الشىء الى نقيضه واصبحت ذكرى « هالام » هى مصدر احزان الشاعر وكابته .

ولكن لعل مصدر التناقض الاساسى يكمن فى ان « تنيسون » كان شاعرا فى عصر انتصار الآلة والمجتمع الصناعى . ويجب ان نتذكر ان هذه الآلة التى انتصرت كانت آلة قبيحة تحدث كثيرا من الضوضاء وتسبب كثيرا من التلوث . وأن المصنع الذى تواجدت داخله كان يشبه معسكرات الجنود ، وكانت ساعات العمل تصل إلى ما يزيد عن الاثنتى عشرة احيانا ، اى انها آلة كانت تقف ضد الانسان بعنف وضراوة . كما ان هذه الآلة كان يساندها تصورات علمية تؤمن بالحتمية المطلقة وبالسببية الواضحة ، فالعلم فى القرن التاسع عشر كان لا يزال بكرا فجا يتصور ان القوانين التى تحكم العالم قوانين رياضية واننا ان كنا لا نعرف هذه القوانين ، فاننا ولاشك سنعرفها عما قريب ـ والمسالة هى مسالة وقت وحسب . وقد ظهر ايضا مع الآلة والعلم الفلسفات النفعية التى حاولت ان تحكم علم الوجود الانسانى من منظور عملى كمى وحسب ، فقيل ان السعادة هى اكبر قدر من اللذة لاكبر عدد من الناس ، كما ان فائدة شىء ما عرفت بشكل نفعى مباشر ، ولذا اصبح لكل شىء ثمن ولم يعد لاى شىء قيمة ، والجمال ، لانه قيمة لا ثمن لها ، فانه لا جدوى ولا طائل من ورائه ، خاصة اذا كان هذا الجمال تعبيراً عن حقيقة نفسية لا يمكن لحواس النفعيين الغليظة إدراكها .

ولعل الفلسفة النفعية لم تجد حليفا لها اكثر اخلاصا من « تشارلز داروين » صاحب نظرية النشوء والارتقاء المعروفة والتى ترى الانسان لا فى علاقته بالسماء او بالملائكة ، كما تراه الاديان السماوية ، وانما فى علاقته بالحيوانات والطبيعة . فالانسان حسب الرؤية الداروينية ليس فيه ما يميزه عن سائر الكائنات وانما هو مثلها يخضع لنفس القوانين « ويتطور » حسب نفس النسق .

وجوهر عملية التطور هذه هو مبدأ الانتقاء الطبيعي حيث يكون البقاء للأصلح (وليس للاجمل او للاتقى او للاروع) .

وظيفة الشاعر في المجتمع الصناعي

هذه هي الخلفية الفكرية الحضارية لألفريد تنيسون ولكننا قبل ان نعرض لبعض جوانب استجابة شاعرنا لعصره يجب أن نتذكر انه جنبا الى جنب مع هذه الدوامة النفعية ، العلمية المادية ، كانت الحركة الرومانتيكية ، في عالم الفكر والأدب والفن ، قد وصلت الى قمة عنفوانها تؤكد على فردية الفرد وعلى حرية الانسان ، وتنظر الى الشاعر باعتباره انقى مثال للانسان الفرد ، فيه تتجسد قيمة الحرية والخيال المتحرر ، والتمرد والتفرد واللاتحدد ، على عكس التصور الكلاسيكي الذي يرى الشاعر باعتباره لسان حال مجتمعه او امته او طبقته . وإذا كان التصور الرومانتيكي يعلى من شان الشاعر فانه يعزله باعتباره فوق البشر ، بل إنه ليتسبب للشاعر في مشكلة جوهرية وهي انه اذا كان الشاعر متساميا حقا لهذه الدرجة ، منفردا الى هذا الحد فما جدواه وما فائدته .. ما هي وظيفته خاصة في مجتمع نفعي ، مادي ، صناعي ؟ وهذا هو السؤال الذي طرح نفسه على « تنيسون » وعلى شعراء عصره وحاولوا قصارى جهدهم ان يجيبوا عليه . ففي قصيدة « قصر الفن » على سبيل المثال تغنى الروح الشاعرة لنفسها وتتمتع بشدوها ، ولكن يتملكها الاحساس بالذنب فتنزل من قصرها او برجها العاجي الى عالم البشر لتشـــاركهم حياتهم . وتقابل نفس القضية في قصيدة « سيدة جزيرة شالوت » حيث تجلس هذه السيدة الارستقراطية (رمز الفن والخلق) بمفردها في برجها في جزيرة شالوت التي تطل على مدينة كاميلوت . تقف الجزيرة في عزلتها رمزا ناصعا على اكتفاء الفنان والفن بذاتهما ، وتقف مدينة كاميلوت بصخبها وضوضائها رمزا حيا على الواقع النابض الذي يعج بالبشر وتصعد السيدة غناءها وهي تنسج ناظرة إلى مراة تنعكس عليها مناظر الطبيعة والمدينة ، ولكنه ثمة نبوءة غامضة تقول انه لو نظرت السيدة الى المدينة مباشرة وليس من خلال المراة لتكسرت المراة ولقيت هي حتفها . وتمضى السنون والسيدة تنسج وتنظر وتغنى ، والمدينة تزرع وتحصد وتبيع وتشترى ، كل يدور في دائرته . ولكن حينما يمر السيد « لانسلوت » ، هذا المحارب الفتى الشجاع ، بجوار البرج والجزيرة تراه سيدة جزيرة شالوت فيفيض بها الجوى وتلقى بالنسيج وتنظر الى الواقع مباشرة فتتحقق واأسفاه النبوءة ، وتموت السيدة في زورقها السابح . ان عالم الفن هنا جميل لكنه خال من الحياة ، وعالم الحياة هنا حي ولكنه خال من الجمال ، ويبدو ان الشاعر يقول إنه لا يمكن للفن ان يعيش بمعزل عن الواقع ولا يمكن للواقع ان يصل الى الكمال والانسانية دون الفن .

ونفس الشد والجذب بين الفن والسكون والتامل من جهة ، والواقع والحركة والفعل من جهة اخرى يسمان قصيدة تنيسون « اكلو نبات اللوتس المخدر » . فبحارة يوليسيس يلقون بالمرسى في جزيرة مسحورة « ارض تهب عليها ريح تخدر الحواس كانها انفاس شخص غارق في الاحلام » ، ثم ياتى بعض الرجال الذين يرتسم الحزن الهادىء على وجوههم ويقدمون لهم نبات اللوتس الذي يفقد الانسان الذاكرة ، فيتعاطاه البحارة ثم ينشدون نشيد الهروب من الواقع المركب ، واقع الاحزان والنضال والكفاح والعناء اليومي ، واقع الأسرة والزوجة والأولاد والحياة ثم الوعي والموت ، ويتذاكرون الماضي بكل اوجاعه والامه ويؤثرون عليه الحاضر الأملس لامواجع فيه ولا آلام ، ويفضلون البقاء في الجزيرة النائية ، وتنتهي القصيدة بالدعوة الى السكينة وعدم التجوال . إن الهروب هنا هو هروب من عالم صناعي تهيمن عليه القيم الانتاجية وتنسحب منه القيم الأخلاقية الى عالم قد يكون غير حقيقي ، ولكنه على الاقل جميل يجلس فيه البشر جنبا الى جنب فيما يشبه الجماعة والصداقة .

هذا البطل الملحمي

ونحن نقابل يوليسيس في قصيدة اخرى من قصائد تنيسون تحمل اسم هذا البطل الملحمي :

لا يفيد كثيرا أن أصبح ملكا عاطلا
يجلس الى جوار هذه المدفاة الصامته ، وبين هذه الصخور الجرداء
متخذا لنفسه زوجة عجوزا ، يصدر قوانين
نصف متحضرة لشعب من المتوحشين ،
يكتنز المال وينام وياكل ـ ولكنه لا يعرف من اكون .
لا اقدر أن اكف عن الترحال ، ولسوف أشرب
من الحياة حتى الثماله . استمتعت في كل الأوقات

ايما استمتاع ، وعانيت أشد المعاناة مع من يحبونني
وبمفردي . فوق الشاطىء وبين الأمواج المتضاربة ،
حينما يهطل المطر من النجوم مطرا غزيرا
يزعج البحر المظلم ، لقد اصبحت اسما
إذ اجول دائما بقلب جائع .
وما أكثر ما رايت وما عرفت : مدنا ماهولة ،
وعادات الشعوب ، واجواء البلاد ، ومجالس وحكومات ،
كما عرفت ايضا نفسي وهي ليست اقل شانا ،
وكلهم اكرموا وفادتي .
ولكم شربت لذة المعركة مع اندادي
بعيدا فوق السهول الصداحة لمدينة طروادة العاصفة .
انا جزء من كل ما قابلت ،
ومع هذا ، فالتجارب كلها ليست سوى بوابة
يضيء من خلالها ذلك العالم الذي لم نطرقه بعد ،
والذي تختفي حدوده دائما حينما ارتحل محاولا الوصول .
ثقيل هو التوقف عن الحركة ، مضجرة هي النهاية ،
كالمعدن حين يعلوه الصدا ، وإلا اشع بريقا في حركتي ،
كما لو كانت الحياة هي التنفس وحسب !
حياة فوق حياة
لا تكفيني لقلتها ، ومع هذا لم يبق لي
من حياتي الواحدة سوى القليل : ولكن ثمة شيء أكثر ابديه
ينقذ الساعات من ذلك الصمت الأبدي ،
حينما ياتيني بالاشياء الجديدة ، كم كان اثما عظيما
ان اختزن نفسي واحبسها لمدة ثلاثة اعوام ،

هذه الروح التى تدب فيها الشيخوخة تحترق شوقا

لان اتبع المعرفة كالنجم الذى يهوى
وراء اقصى حدود فكر الانسان .
ها هو ذا ابنى ـ ابنى تليملخوس ،
والذى سأترك له الصولجان والجزيرة ،
لقد نال محبتى ، وعنده من البصيرة
ما يؤهله لان يقوم بهذا العمل ، وان يستخدم فطانته
فى تهذيب شعب فظ ، وان يخضعهم رويداً
رويداً للقيام بما هو نافع وخير .
ان ابنى الطيب هذا ، قد استغرقه تماما
عالم الواجبات العادية ، وهو مهذب
لا يفشل قط فى الوظيفة التى تطلب الرقه ، ولا فى ان يقدم
دلائل الطاعة والاجلال لارباب المنزل ،
بعد رحيلى يؤدى هو عمله ، واؤدى انا عملى .
ها هو ذا الميناء ، وقد نشرت السفينة شراعها !
وعلى البعد تمتد البحار العابسة المظلمة .
يارفاقى الملاحين !
ايتها الارواح التى كدت وشقت وتفكرت معى
يا من كنتم ترحبون فى فرح بمقدم
الرعد والشمس ، واعترضتم طريقها
بقلوب ابيه وبحياة حرة ـ لقد نالت الشيخوخة منى ومنكم !
ولكن الشيخوخة لها شرفها وكدها .
الموت هو خاتم كل الاشياء ، ولكن قد ننجز
شيئا ما قبل النهاية ، عملا يتسم بالنبل والجلال
عمل يليق برجال تصارعوا مع الالهة .
هاهى ذى الأضواء تتالق بين الصخور
واليوم الطويل اخذ يذوى ، والقمر المتمهل يصعد بروج السماء ،
وتتردد اصداء التاوهات العديدة فى البحر:
تعالوا يا اصدقائى !
فالوقت لم يفت بعد كى نبحث عن عالم جديد .
ادفعوا السفينة ، واتخذوا اماكنكم فى نظام
ثم اضربوا
الأمواج الصارخة بقوة ، إذ انوى
ان ابحر إلى ما وراء الشمس الغاربة ، وإلى منابع
نجوم الافق الغربي كلها ، إلى ان تحين منيتى .
قد تبتلعنا الدوامات ،
وقد تلمس اقدامنا جزر الفردوس ،
ونرى اخيل العظيم الذى نعرفه جميعا .
حقاً لقد ضاع منا الكثير ، ولكن لم يزل امامنا الكثير ايضا ،
وعلى الرغم من اننا لم نعد تلك القوة التى حركت الارض والسماء
فى الماضى ، إلا ان كياننا هو هو لم يتغير
جماعة واحدة مؤلفة من عزائم بطولية ،
اوهنها الزمن والقدر ، ولكنها لم تزل قوية الارادة :
ان نكافح ونسعى ونكتشف ـ ولا نستسلم .

دون «تنيسون» فى مذكراته هذه الكلمات عن هذه القصيدة : «حينما اكتب قطعة قديمة مثل هذه ، فعادة ما اضعها داخل إطار .. اطار معاصر . إذ لا فائدة تجنى من ان تعاد رواية الأساطير القديمة وكانها طعام اعيد تسخينه» وبالرغم من ان «تنيسون» لم يكن ناقداً جيداً لا لشعره ولا لشعر الآخرين ، الا انه حالفه التوفيق هذه المرة ، ويمكننا ان نعد كلماته هذه خير مدخل لفهم القصيدة ، فهى ليست قصيدة قصصية عن «يوليسيس» او عن اليونان ، وانما هى تعالج مشكلة من مشكلات الانسان المعاصر ، ومع هذا لابد وان نتعرف على بعض الشخصيات والأماكن التى يرد ذكرها فى القصيدة فى سياقها القديم حتى نفهم مغزاها للمعاصر ، إذ ان معنى القصيدة لا ينتج عن الأسطورة مباشرة وانما عن اعادة صياغة الأسطورة .

عالم الأساطير الاغريقية

يوليسيس او اوديسيوس هو بطل ملحمة هومر الأوديسه ، رمز العقل البشرى الذى لا يهدأ ، ورمز الرغبة العارمة فى اقتحام المجهول . تقول الأسطورة ، والملحمة الهومرية انه بعد سقوط طرواده فى ايدى ابطال الاغريق قفلوا عائدين الى اوطانهم ، بما فى ذلك بطلنا ، ولكن افروديت ، حامية باريس بطل طرواده ، طلبت من «بوسايدون» اله البحر ان ينتقم لها من «يوليسيس» وكان لها ما ارادت إذ ظل يغالب الامواج والصعاب ما يقرب من عشرين عاما ، بينما كانت تنتظره زوجته بنلوبي وابنه تليماخوس . وفى النهاية يعود الى جزيرة « إيثاكا » ليصرع اعداءه وينضم الى زوجته ويعيش معها ومع ابنهما بقية عمره فى هناء وسعادة .

والقصيدة مليئة بالاشارات الى عالم الالياذه والاوديسه وعالم الاساطير الاغريقية القديمة . فيتحدث يوليسيس عن رغبته فى ان يذهب الى الجزر الفردوسية (او الجزر الاليزية) وهى المكان الذى كان يتصور الاغريق ان الاخيار سيذهبون اليه بعد الموت . وهناك يقابل « اخيل » اشهر ابطال الاغريق الذى صرعه « هكتور » بطل الطرواديين ، وثمة عبارات عديدة يستخدمها « هومر » فى ملحمته مرة بعد الاخرى مثل عبارة « طروادة العاصفة » و « اضربوا الأمواج الصارخـــة بقوة » ، وتكرار عبارات بعينها من سمات الشعر الذى كان يتناقل شفهيا بين المنشدين ، كما ان الرحلات فى شعر « هومر » عادة ما تبدأ عند المغيب مثل رحلة يوليسيس فى قصيدة تنيسون .

ولكن هومر ليس هو المصدر الوحيد لهذه القصيدة ، إذ ان شاعرنا اعتمد على قصيدة دانتى « الكوميديا الالهية » (الكتاب السادس والعشرون من الجحيم) حيث يخبر يوليسيس كلا من « دانتى » و « فرجيل » انه قام برحلته من جزيرة الساحر كيركى فى سفينة واحدة مع مجموعة من رفاقه الاوفياء ليخوض تجارب جديدة ويخبر رفاقه :

فلتفكروا فى أصولكم
ان الله لم يخلقكم على شاكلة الحيوانات
الا لكى تبحثوا عن الفضيلة والمعرفة .

المغامرة البطولية الأخيرة

يوليسيس الهومرى والدانتى هو اذن الأصل فى هذه القصيدة وهما شخصيتان مختلفتان تمام الاختلاف ، اذ ان الأول يوجد فى سياق وثنى يعلى من شان الفروسية ، عالما بدائيا بطوليا يعج بالمحاربين انصاف الآلهة الذين يصرعون ويصرعون ، والذين يتحاربون حتى مع عناصر الطبيعة مثل يوليسيس ، اما عالم دانتى فهو عالم كاثوليكية العصور الوسطى والرهبنة والتقوى والملائكة ذات الوجوه النحيفة الحزينة ، ولذلك فيوليسيس

حينما يتباهى برغبته الفاوستيه فى المعرفة لنما يدمغ نفسه ، فالبحث عن الفضيلة والمعرفة ، خارج إطار من القيم الدينية ، هو بحث عقيم يؤدى الى طريق مسدود ، إذ انه لا يمكن ان يوجد نسق اخلاقى لا يستند الى قوى ما وراء الطبيعة حسب تصور المفكرين المسيحيين والدينيين عامة .. فالسياق الهومرى يرى فى « يوليسيس » البطل الملحمى الحق ، اما فى السياق الدانتى فهو الانسان الوثنى الخير الذى ضل طريقه ولذا انتهى به الأمر الى الجحيم .

ولعل « تنيسون » لم يتنبه الى هذا التناقض او لعله تنبه له وابقى عليه ليقدم رؤية مركبة تخفى على القارىء المتعجل . ومهما كان الامر فالقصيدة مقسمة الى ثلاثة اقسام : يصف القسم الأول منها حيـــاة « يوليسيس » بعد عودته الى إيثاكا ومدى سامه من حياته الروتينية هذه ويتذكر سابق امجاده . يبدأ الجزء الثانى بالحديث عن « تليملخوس » وعن كفاءته المحدودة وكيف يمكنه القيام بالاعمال المحدودة الموكلة إليه . وإذا كان الجزء الاول يتعامل مع الماضى والجزء الثانى مع الحاضر وربما المستقبل المباشر ، فالجزء الثالث يتعامل مع المستقبل البعيد وعالم الرؤية .. المغامرة البطولية الأخيرة التى سيقوم بها يوليسيس ، ليترك عالم السكون والسكينة .

وقد فسر النقاد والقراء فى العصر الفكتورى هذه القصيدة على انها دعوة للعمل وللاقبال على عالم المنفعة والانتاج . فيوليسيس هنا هو مثال الرجل الصناعى الذى لا يرضى بالسكون وبالتامل ، وإنما يبحث دائما عن مغامرات او استثمارات جديدة حتى يزيد من تجربته او من معدل إنتاجيته وارباحه . وقد صفق النقاد لهذه القصيدة باعتبارها نقيضا لقصيدة تنيسون الهروبية التاملية « اكلو نبات اللوتس المخدر » . ولكن هذه القراءة سطحية ولاشك . فعلى الرغم من أن يوليسيس فى هذه القصيدة لا ياخذ بحارته الى جزيرة نبات اللوتس المخدر الا انه لا يقبل البقاء فى لندن او إيثاكا وانما يقرر الرحيل عنهما إلى عالم مجهول وجميل ، لا نفع مباشر من ورائه . اى ان يوليسيس يقوم بمغامرة غير محسوبة ، فى عالم هيمنت عليه الحسابات . ويذهب إلى اماكن غير معروفة ، فى عالم كان لا يذهب فيه الناس لمكان إلا لزيادة الربح . إن التناقض هنا ليس بين التامل والفعل وانما هو بين الحياة النفعية الروتينية (التى يمثلها تليماخوس وبنلوبى) ، والحياة الخلاقة البطولية (التى يمثلها تنيسون والبحارة) ، إنه عين التناقض بين الشاعر والمجتمع الصناعى وقد اخذ شكلا اخر .

وقد استخدم الشاعر مجموعة من الصور الشعرية المبهمة ، ذات الدلالة التى تتخطى والتى تناقض ما يقرره هو نفسه بشكل مباشر فى القصيدة . فحينما يصف « يوليسيس » تجربته المقبلة يقول انه سيتبع « المعرفة كالنجم الذى يهوى وراء اقصى حدود فكر الانسان » وحينما تبدأ الرحلة فهو لا يبصر سوى « البحار العاتية المظلمة » و « اليوم الطويل وهو يذوى » وهو يعتقد أن سفينته « ستبحر الى ماوراء الشمس الغاربه ، والى منابع نجوم الافق الغربى كلها » (اى نهاية الدنيا) وقد تبتلعه الدوامات وقد يقابل « اخيل » العظيم فى الجزر الفردوسية . اى انها رحلة تحيطها الظلمات وقد تؤدى الى العدم . ولذا ثمة تشويه لروح القصيدة حينما فسرها المعاصرون لتنيسون على انها دعوة للاجتهاد والتفاؤل . وحينما اتخذ المنتجون الصناعيون كلمات يوليسيس الاخيرة شعارا لهم :

« ان نكافح ونســـعى ونكتشــــف .ولا نستسلم » .

فيوليسيس يكافح الملل والروتين ويسعى الى أن يترك عالم النظام المصمت هذا ليكشف المجهول الذى قد يؤدى به الى التهلكة ، وهو بهذا لا يستسلم لمجتمعه الصناعى الذى يحسب تكاليف وارباح كل شىء .

ولعل شخصية الشاعر الرومانتيكى المختبىء وراء « يوليسيس » تظهر فى موقف هذا البطل فى القصيدة من اسرته ، فبنلوبى الصبور يشير اليها على انها زوجته العجوز ، اما تليماخوس فهو مجرد بيروقراطى يصلح لإدارة دفة الحكم واما عامة الشعب فهم شعب من المتوحشين . إن اسرة وشعب يوليسيس يعيشون فى عالم الاشياء المالوفة التى ينفر منها هذا المتمرد الرومانتيكى .

وبذا يمكننا القول ان قصيدة « يوليسيس » ليست نقيضا لقصيدة « اكلو نبات اللوتس المخدر » وانما هى طرح مغاير لنفس المشكلة فكلا القصيدتين قصيدتا رفض للمجتمع الصناعى . وان كان الرفض فى القصيدة الثانية ياخذ شكل «الهروب» الى عالم الخدر والتامل . فانه فى القصيدة الأولى ياخذ شكل هروب الى عوالم مجهولة مليئة بالمغامرات .

والقصيدة مونولوج درامى . اى انها قصيدة تحتوى شخصية واحدة عادة ما تكون البطل ، يقوم هو بسرد الأحداث ومن خلال سرده هذا ندرك بقية الشخصيات والخلفية والحبكة ، اى أن كل العناصر الدرامية متضمنة فى كلمات الشخصية الوحيدة .

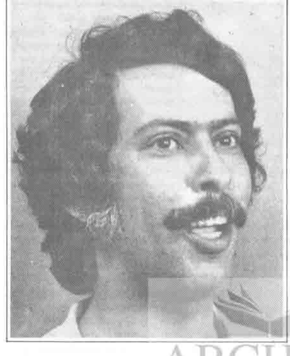
وقد لجا بعض شعراء العصر الفكتورى لهذا النوع الشعرى كمحاولة للهروب من الغنائية الرومانتيكية التى كانت قد استهلكت نفسها مع منتصف القرن التاسع عشر . وقد نجح فى هذا المضمار الشاعر روبرت براوننج . اما تنيسون فتغلب عليه النزعة الغنائية ولم يتمكن من الانتقال من المصطلح الدرامى ، ولذا « فيوليسيس » ، مثل « اكلو نبات اللوتس المخدر » ، قصيدة تبدأ بداية ملحمية ودرامية ولكنها سرعان ما تغرق فى الغنائية والتاملات الذاتية .

إن عالم « تنيسون » ، على الرغم من بعده عنا ما يزيد عن قرن ، قريب كل القرب منا ، فهو لا يزال عالمنا الذى نعيش فيه ولازلنا نجابه نفس مشاكله ، بل اننا نحن العرب نجابهها بحدة اكثر اذ اننا نود ان ندخل العصر الحديث ونود ان ننشىء قاعدة صناعية ضخمة ونود ان ندير مجتمعنا على اسس علمية عقلانية ولكننا نود ـ عن حق ـ الاحتفاظ بالقيم الاخلاقية الانسانية المتمثلة فى تراثنا الدينى والحضارى . وهذه هى مشـــكلة « تنيسون » ايضا الذى تيقن من حتمية العلم والآلة والذى كان يعرف تمام المعرفة انه لا سبيل للهروب الى قصر الفن او إلى برج جزيرة شالوت ، او إلى جزيرة اكلو اللوتس ، او الى جزر يوليسيس البعيدة . ولكنه كان يعرف ايضا ان هذه الاماكن تجسد الجمال والقيم الاخلاقية والانسانية ، وان المجتمع الصناعى ان لم ينجح فى التزاوج مع هذه القيم فانه سيؤدى بالانسان الى التهلكة وسيعطى الانسان بيتا وسيارة وثلاجة وسيسلبه ضميره وروحه ، وذاته !

أ. د. عبد الوهاب محمد المسيرى

بقلم : د. أحمد عثمان

ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي



فى لقاء صحفى نشر بمجلة الهدف فى ٢١/١٠/١٩٦٤ قال فنان الكويت الرائد الراحل (فى ١٩٧٨/١٢/٢٤) صقر الرشود : «إننا لا نستطيع ان نطلق كلمة مسرح على المسرح إلا اذا كان له تاريخ» . ولم يكن صقر الرشود حين أدلى بهذا الحديث يدرى انه هو نفسه من صانعى تاريخ الحركة المسرحية الكويتية وأنه اول من خطا بها الخطوة التى وضعتها فى المسار السليم والاتجاه الصحيح . ولا ندرى ماذا كان سيقول صقر الرشود لو انه عاش ليرى كتاباً باكمله يؤلف من اجله ويتصدى لهذه المهمة واحد من خيرة الباحثين بل مؤرخ الأدب الكويتى المعروف الدكتور محمد حسن عبد الله . ويحمل الكتاب عنوان «صقر الرشود مبدع الرؤية الثانية» (منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية جامعة الكويت ١٩٨٠) . ويقول المؤلف (ص ١٩) «إن التاريخ الفنى لصقر الرشود هو بذاته تاريخ الحركة المسرحية بالكويت تقريباً» . وبالطبع يعنى الفترة التى عاشها الفنان الراحل مبدعاً .

وسنتخذ من تصفح هذا الكتاب معاً وسيلة لتحقيق غايتين : الأولى هى تحديد ملامح ظاهرة صقر الرشود فى المسرح الكويتى . أما الغاية الثانية فهى محاولة متواضعة لتقييم هذا الكتاب سعياً منا للافادة منه مستقبلا كتجربة مثمرة ينبغى ان تتلوها تجارب اخرى عديدة فى سبيل تاريخ الأدب والفن فى منطقة الخليج العربى التى وضعت قدمها مؤخراً على طريق النهضة الطويل. ولكننا لن نتمكن من تقييم هذا الكتاب قبل ان نحدد الهدف من وضعه أصلا . ومن الجلى الذى لا يحتاج الى تبيان أن للكتاب ثلاثة اهداف رئيسية : أولها هو تمجيد وتخليد اسم صقر الرشود ، ولا ادل على ذلك من صدور الكتاب بعد ما لا يزيد عن عام ونصف عام تقريباً من وفاته . فهو إذن كتاب تكريمى وضع بمناسبة معينة . أما الهدف الثانى فهو تسجيل السيرة الشخصية والفنية لهذا الفنان الراحل خوفا عليها من الضياع . والهدف الثالث هو تقييم دوره فى النهوض بالحركة المسرحية الكويتية .

عبارة مبهمة

ومن البديهى ان يكون عنوان اى كتاب تكثيفاً دقيقاً لكل محتوياته ، وهذا ما لم يتحقق فى العنوان الذى وضعه الكاتب لكتابه «صقر الرشود ، مبدع الرؤية الثانية» . فمن النظرة الأولى على هذا العنوان نصطدم بحقيقة انه لا يضم كلمة «مسرح» من قريب أو من بعيد . ومع أن «الرشود» كان قد جرب حظه وقلمه فى فنون ادبية اخرى ـ كالمقالة والقصة القصيرة مثلاً ـ إلا انه اولا وأخيرا رجل مسرح كما نفهم من معطيات الكتاب نفسه . ثم نأتى الى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فنجدها عبارة مبهمة حتى على القارىء المثقف لدرجة أن المؤلف نفسه يضطر الى تفسير هذا العنوان داخل الكتاب (ص ١٨) . ونفهم من الشرح المطروح ان كل فنان مبدع هو صاحب

رؤية اخرى (ثانية) تختلف عن الرؤية العادية (الأولى) من قبل عامة الناس للأشياء والأحياء . ومن الملاحظ إذن ان معنى «الرؤية الثانية» ــ برأى المؤلف نفسه ــ متضمن فى كلمة «مبدع» . فما معنى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فى هذه الحالة ؟ . يستعين المؤلف لكى يقنعنا بالمعنى الذى أراده لهذه العبارة ــ العنوان بمقولة أن «لا شىء ينشأ من لا شىء» بمعنى أن الفنان المبدع يأخذ جزئيات من هنا وهناك سبقه اليها الكثيرون ولكنه يصنع منها وبها شيئاً جديداً . وينسب المؤلف هذه العبارة الى «ناقد غربى» لا يذكر اسمه وهى فى واقع الامر مقولة فلسفية إغريقية قديمة . واغرب من ذلك أن المؤلف يذهب الى القول (ص ١٩) بأن الرؤية الثانية قد تكون ثالثة ورابعة !! وهذا امر لم يشرح لنا المؤلف معناه ولا يعنينا هذا المعنى كثيرا مادام صاحب الكتاب قد وقف بنا عند الرؤية الثانية فقط !!

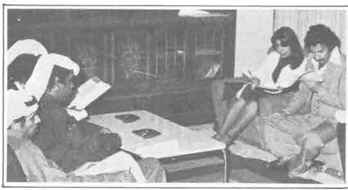
مقارنة لا داعي لها

لقد توزع اهتمام المؤلف بين اهتمامات ثلاثة هى : حياة صقر الرشود ، مؤلفاته الدرامية ، الرشود مخرجا مسرحيا . ولكن يلاحظ ان عدد الصفحات المخصصة للجانب الثالث أى الاخراج لا يتعدى ٥٨ صفحة وهو عدد ضئيل جداً إذا قيس بعدد صفحات الكتاب التى تربو على ٢٧٠ صفحة . هذا مع أن المؤلف نفسه يعترف بان الاخراج هو أهم جوانب هذا الفنان المسرحى الراحل ، إذ يقول (ص ٤٤) «ينبغى أن نذكر هنا بشكل واضح تماماً أن الرشود هو أول مخرج مسرحى عرفته الكويت» . كان من الواجب إذن أن يكون الاخراج المسرحى هو المنطلق والركيزة التى تقوم عليها دراسة ظاهرة صقر الرشود ، وهذا ما لم يحدث فى الكتاب . فى حين لم يفت الكاتب أن يفيد من هذه الحقيقة نفسها ــ أى أن الرشود مخرج مسرحى بالأساس ــ ليؤيد زعم عبد العزيز السريع (ص ١٨٤ ــ ص ١٨٥) أن الفنان الراحل هو الذى كان يحشر نفسه حشراً فى تأليف مسرحيات مشتركة معه لأن الرشود ــ على حد قول السريع «يعتبر قد توقف عملياً عن التاليف بعد كتابتى «ضاع الديك» التى حققت نجاحاً ملحوظا وبلغ صقر فيها قمة فنه فى الاخراج المسرحى» . ويؤيد صاحب الكتاب هذا الراى بصريح العبارة (ص ٢١٤) فيقع فى تناقض ملحوظ بسبب تحيزه الواضح . فهو نفسه الذى قال بعد ذلك فى كتابه (ص ٢٥٩) ان اخراج مسرحية «على جناح التبريزى هى التى جعلت الرشود يتخطى حدود الكويت ليصبح مخرجا عربيا مرموقا» .

وعدم التركيز على الاخراج المسرحى فى فن صقر الرشود هو الذى أوقع صاحب الكتاب فى مزلق اخر . وذلك عندما يعقد مقارنة بين صقر الرشود المؤلف الدرامى وتوفيق الحكيم كاتب المسرحيات الذهنية . لقد قيل ذلك عن الحكيم لانه مؤلف واسع الاطلاع عريض الثقافة ، قبع فى برجه العاجى بين الكتب الصفراء يكتب للمسرح فجاءت بعض مسرحياته ــ وليست كلها ــ غارقة فى التفكير الذهنى مما جعلها أصلح للقراءة منها للعرض المسرحى . هذا ما نفهمه من عبارة «المسرحيات الذهنية» واستخدامها بالنسبة لتوفيق الحكيم . اما صقر الرشود فمن المحال أن يكون مؤلفا ذهنيا . وإذا كان ولا بد من مقارنته بتوفيق الحكيم فهو محدود الثقافة وهذا ما يؤكده صاحب الكتاب نفسه (ص ١٣٠) حين يقول «سيدل هذا كله ليس على عمق الثقافة المسرحية ، فلا تظن أن هذا كان قد تحقق ، بل يدل على سلامة الحس الفنى وبصيرة التعبير» . فصقر الرشود إذن فنان موهوب كانت تنقصه الثقافة المتعمقة ومن ثم فلم يكن مؤلفاً ذهنيا كما انه لا داعى لمقارنته بتوفيق الحكيم .

أهمية الجانب التسجيلي

والحقيقة التى قد تغيب عن اذهان الكثيرين هى أن التاريخ للكتاب والفنانين المعاصرين يعد من اشق المباحث واكثرها عرضة للمزالق . واسباب ذلك عديدة نذكر منها الحرج فى نشر بعض الوثائق والمعلومات . وكذا عدم توفر الموضوعية الكاملة لأن العوامل الشخصية شئنا أو لم نشأ تلعب دورا فيما نكتب عن معاصرينا . وفضلا عن ذلك لا تتوفر الرؤية الشمولية فى الكتابة عن المعاصرين لانه بطبيعة الحال لا يتاح لنا ان نضع الكاتب أو الفنان الذى نؤرخ له فى خريطة عامة تشمل ما قبله وما بعده . ومن ثم فان عملية تقييم الفنان او الكاتب لا تكتمل فى عصره وتترك أشياء كثيرة ليقولها ابناء الاجيال القادمة . ولا يعنى قولنا هذا باية حال من الاحوال اننا ندعو للتقاعس او لعدم الاهتمام بتدارس الأدباء والفنانين المعاصرين لنا ، وإنما نرى أن الجانب الاهم فى مثل هذه



خلال بروفات القراءة لآخر اعماله فى الكويت « عريس لبنت السلطان »

ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي

الدراسات هو الجانب التسجيلي . ومن هنا جاء الدكتور محمد حسن عبد الله وبذل اقصى ما فى وسعه لحشد أكبر قدر ممكن من المعلومات المباشرة وغير المباشرة عن حياة صقر الرشود منذ ولادته وحتى مماته . وعاد كذلك الى لقاءاته الصحفية ، واستند الى شهادة الفنانين المعاصرين له والمتعاونين معه . بيد اننا نصطدم بقلة الوثائق المنشورة فى نهاية الكتاب ، فهى ثلاثة فقط ، إثنتان منها متعلقتان بوفاة صقر الرشود وتكريمه بعد الوفاة من قبل مؤسسة التقدم العلمى الكويتية . كنا ننتظر وثائق اكثر ، وكنا نتوقع قوائم مصنفة وفهرساً منظماً بكل الوثائق والمقالات وكذا المعلومات وكل ما كتب ليس فقط بقلم صقر الرشود وإنما أيضاً ما كتب عنه . فمثل هذه القوائم والفهارس هى التى ستشد انتباه الباحثين والنقاد مستقبلا إذ ستسهل عليهم عملية دراسة وتقييم صقر الرشود فى إطار الحركة المسرحية الكويتية .

بين النشمى والرشود

ويعيب د. محمد حسن عبد الله على زميله الباحث د. علي الراعي انه يتحمس لمحمد النشمى الذى أوجد للمسرح الكويتى ـ برأى الأخير ـ ولادة شرعية شعبية . ومن الملاحظ أن د. محمد حسن عبد الله فى رده على هذا الرأى قد عانى هو أيضاً من شدة التحمس لمسرح الخليج حتى أنه يصدر حكماً قاسياً على النشمى فيقول إنه كان يدور فى حلقة مفرغة (ص ٩٦ ـ ٩٩) . ويستند د. محمد حسن عبد الله فى حكمه هذا على حقيقة ان النشمى كان يدعو لمسرح شعبى إقليمى ضيق . ونود التنويه هنا الى أن الشعبية او الاقليمية فى المسرح والادب لها دور لا يلغى ولا يتعارض مع التوجه القومى والعالمى . والنشمى كما يقول د. محمد حسن عبد الله نفسه هو الذى سبق الرشود بنقد القضايا الاساسية فى المجتمع الكويتى ولا سيما فى مسرحية «قرعة وصليوخ» التى الغيت بعد ليلة واحدة من عرضها لان ما بها من نقد كان اكبر واخطر من ان تسكت عليه الرقابة (ص ٨٧) . وفي هذا الصدد تلزمنا الاشارة الى الاطروحة التى تقدم بها سليمان الخليفى لنيل درجة البكالوريوس من المعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت والتى طبعها فى كتيب بعنوان «صقر الرشود والمسرح فى الكويت» (مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ١٩٨٠) . فى هذه الأطروحة ـ الكتيب ـ (ص ١٤ ـ ١٨) أشار الخليفى الى أن النشمى ومسرحه الشعبى المرتجل يذكرنا بكوميديا دى لارتى (أى كوميديا الحرفة كما افضل تسميتها) وهو الفن المسرحى الشعبى الذى أعطى الحياة والدفء لمسرح ايطاليا بخاصة وأوروبا بعامة فى بدايات عصر النهضة (وهذا موضوع قد نعود اليه فى مجال آخر) . وأهم من ذلك ان الخليفى يلفت انتباهنا الى حقيقة مفادها أن أول نص مكتوب قدمه الرشود وهو مسرحية «تقاليد» التى عرضت فى ٣/١٢/١٩٦٠ «قد كتب له أن يرى النور فى احضان المسرح الشعبى ومن بين يدى رائد المسرح فى الكويت الأستاذ محمد النشمى» (ص ١٨) .

ويقرر د. محمد حسن عبد الله «أن الرشود لم يكن أولا بل كان مسبوقاً دائماً» (ص ٩٥) وإن كان ذلك لا يقلل من عبقريته التى جعلت من مسالة السبق الزمنى غير ذات اهمية . فالرشود لم يكن أول من جعل للمسرح الكويتى نصاً مسرحياً مكتوباً و «المخلب الكبير» ليست هى أول مسرحية كويتية فصيحة ، إذ سبق فى ذلك كل من الشاعر أحمد العدوانى والأستاذ حمد الرجيب . ويتحلى د. محمد حسن عبد الله بالموضوعية فى أغلب صفحات كتابه فهو مثلا يعالج الاخطاء اللغوية فى مؤلفات صقر الرشود (ص ١٢٠ وما يليها) ، ويذكر فى أكثر من موضع أنه لا يهدف الى تفخيم او تضخيم صورة صقر الرشود . ولكن الحماس يعاوده بين الحين والآخر إذ يصف مسرحية «المخلب الكبير» على أنها «على مستوى اللغة الرسمية وطبقاً لمواصفات المسرح العالمى ايضاً !» (ص ١١٤) .

الحاجز .. والمخلب الكبير

ولقد حرص صاحب الكتاب على أن يربط صقر الرشود بالكاتب والمخرج الألمانى الشهير برتولد بريخت (ص ١٣٠ ص ٢٠٢ ، ص ٢٣٩ وما يليها) . ولكنه يتحدث عن أسلوب صقر الرشود البريختى فى الاخراج دون التاليف ولا ينوه مجرد التنويه الى انه من العسير الفصل بينهما كما يقول بريخت نفسه . ويقول الباحث (ص ٢٤٥) ان هدف بريخت كان «رفض النظرية الأرسطية تماماً ، تلك النظرية التى قامت على المحاكاة» . فهذا يعنى ان فن بريخت ـ كتابة واخراجاً ـ لا يقوم على المحاكاة.

ونرى من ذلك قصوراً فى فهم المسرح الملحمى البريختى الذى يستمد اصوله ـ رغم ما يزعمه بريخت نفسه ـ من المسرح الاغريقى ومن بعض القواعد الأرسطية ولاسيما المحاكاة . ولكن هذا موضوع آخر يحتاج الى تفصيل لا مجال له هنا .

وعن مسرحية «الحاجز» لصقر الرشود (عرضت عام ١٩٦٦) يقول .. د. محمد حسن عبد الله انها اقرب الى الدراما التلفزيونية لانها «تهتم بالتفاصيل ، وتكتفى بالاشارة الرامزة دون الدخول فى صراع حاد صارخ» (ص ١٨١) . وهذه العبارة التى تعرف الدراما التلفزيونية غير دقيقة وبها شىء من التناقض والغموض . واكثر من ذلك انها لم تشرح مسرحية «الحاجز»وإنما زادتها التباساً . ومع ذلك فكنا نود أن يوجه الباحث مزيداً من الاهتمام الى جهود صقر الرشود فى الاذاعة والتلفزيون ولا يكتفى بالاشارات المتفرقة هنا وهناك إن كان حقاً يعتقد ـ مثلنا ـ أن الاذاعة والتلفزيون قد أثرا فى نشاطه المسرحى تاثيراً كبيراً .

وهناك سؤالان هامان لم يجب عنهما الكتاب لأنه أصلاً لم يطرحهما . الأول خاص بحقيقة أن ظاهرة صقر الرشود فى المسرح الكويتى وقعت فى الستينات وعاصرت الانتعاشة المسرحية فى مصر وبعض البلدان العربية الأخرى . ما تعليل ذلك ؟ اما السؤال الثانى فهو بشأن تقسيم صقر الرشود لمسرحية «المخلب الكبير» الى مسرحيتين احداهما تحمل نفس العنوان الأصلى والأخرى بعنوان «الطين صار اسمنت» الا يدل ذلك على انه كمؤلف قد بدا يكرر نفسه مما يوحى بالنضوب ؟ ام ان انشغاله بالاخراج ـ وهو أسلس موهبته ومجال تفوقه ـ والعمل فى الاذاعة والتلفزيون وجمع المال كان وراء عدم التزود بالثقافة والتجدد بالتجارب والتفرغ للتاليف المسرحى ؟

ومما يؤسف له أن الكتاب لا يضم قائمة بالمراجع ولذلك لا نعرف مثلاً فى أية جريدة او مجلة تم اللقاء الصحفى مع الرشود والمشار اليه فى صفحة ١٥ وصفحة ٦٧ . ويشير المؤلف الى مقالات «بصراحة» الاسبوعية فى جريدة الأهرام دون ذكر اسم صاحبها محمد حسنين هيكل ولا حتى اسم الجريدة نفسها (ص ٣٨ ـ ٣٩) وينسى ان هذا الكاتب قد توقف عن كتابة هذه المقالات منذ أكثر من عشر سنوات وان هناك شباناً يعيشون معنا ولم يقراوا هذه المقالات بل ربما لم يسمعوا بها . وبعد عشر سنوات أخرى مثلا ستكون هذه المقالات مجهولة إلا لخاصـــة المثقفين المهتمين بقراءة التاريخ .

بقى ان نشير الى أن صقر الرشود كان يسمع هذه المقالات من الراديو ويعتبرها صاحب الكتاب مصدراً من مصادر ثقافته . ولا يذكر الباحث قط تاريخ ولا مكان نشر اى من الكتب والمراجع التى عاد اليها ، فنحن مثلا لا نعرف ما إذا كان قد عاد الى كتاب الكسندر دين «أسس الاخراج المسرحى» بلغته الأصيلة اى الانجليزية أم مترجماً . كان على الباحث أن يعرفنا بأن هذا الكتاب ترجمة سعدية غنيم وراجعه محمد فتحى وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ .

وبعد فان الكتاب الذى بين أيدينا حافل بالمعلومات القيمة ليس فقط عن صقر الرشود ، بل عن الحركة المسرحية والادبية بالكويت . وهى معلومات جمعها واحد من ابرز المهتمين بالأدب الكويتى واكثرهم له متابعة بالقراءة والبحث ، ومشاركة بالتاليف ، ونتوقع لهذا الكتاب أن يحتل مكاناً هاماً فى مراجع الدراسات النقدية عن المسرح الكويتى . فلن يستغنى عنه أى باحث يريد دراسة مسرح الكويت فى الستينات والسبعينات . ويا حبذا لو تتلو هذا الكتاب كتب أخرى تؤرخ للكتاب والفنانين المعاصرين بالكويت ومنطقة الخليج العربى .

د. أحمد عتمان

من كلمـــات نابليـــون

- الحيـــاة التى لا فائدة فيها حمـــل ثقيل .
- ليس بين النصر والهزيمة إلا خطـــوة واحـــدة .
- يجب أن تنظر إلى الأمور كما هى لا كما تشتهى أن تكون .
- أسرع الناس مشياً من سار وحـــده .
- الكذب زائل والصدق دائم .
- الليل ناصح أمين .
- لا يظـــفر المقامر بأى ثقة منى ، وإن تقتى بأى إنسان عند أول علمى بأنه مولع بالقمار .
- كنت أيام سعادتى أحسبنى أعرف الرجال ولكن لم أكن أدرى أن عرفانى بهم على حقيقتهم إنما كان فى أيام محنتى .
- ليس فى قدرتى خلق الرجال فلابد لى إذن أن أستفيد ممن أجـــد .
- عدو مبين خير من حليف مريب .
- كيف تقوم الفضيلة ؟ .. ألا إنه لاسبيل إلى ذلك إلا بنشر الدين .

انتظار الأهل لذويهم العائدين من رحلة الغوص

دانة القطرية

مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

تونس : خاص بالدوحة

موسيقى وصوت الفنان الخليجى احمد الجميرى تنساب فى شجن ورقة .. حاملة كلمات الشاعر علي عبد الله خليفة .. على خلفية من عدد من اللوحات الرقيقة .. التى تشبه رسوم الأطفال .. تصور بيوت قرية قطرية عتيقة تواجه البحر .. ويواجهها طفل وطفلة وقنديل صغير ، ثم اسم التمثيلية التليفزيونية (دانه) التى شاركت بها قطر فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس .. ثم تتالى بعد ذلك اسماء الفريق الفنى المتجانس الذى انجز هذا العمل ـ جاسم صقر ، وعبد الرحمن محسن « القصة والسيناريو والحوار » .. وداد عبد اللطيف .. سعد بورشيد،عبد الله غيفان ، ومجموعة كبيرة من الممثلين القطريين الهواة .. واخيرا ياتى اسم المخرج .. او مايسترو هذا العمل الذى كان بحق مفاجأة مهرجان التمثيلية التليفزيونية « ابراهيم الصباغ » فرغم ان قطر كانت الدولة الوحيدة من الدول المشاركة التى تقدمت بعمل واحد .. إلا ان هذا العمل قد فاز بجدارة باهم ثلاثة جوائز من الجوائز التى منحتها لجنة تحكيم المهرجان .

ففى المدة من ٢٣ إلى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨١ نظمت الامانة العامة لاتحاد الاذاعات العربية التابع لجامعة الدول العربية المهرجان الاول للتمثيلية التليفزيونية الذى عقد فى دار ابن خلدون للثقافة بتونس . وقد اشترك فى هذا المهرجان سبعة عشر عملا تمثل ثمانية دول هى : الأردن ، سوريا ، العراق ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقطر ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر . وتشكلت لجنة التحكيم من الفنان العراقى يوسف العانى رئيسا والطيب الصديق من المغرب وعلاء كوكش من سوريا . ومحمد محفوظ وعلى منصور من تونس كاعضاء .. وقد حددت لائحة المهرجان الجوائز التى سيتم التنافس عليها كالاتى :


جاسم صقر ـ احد مؤلفي العمل

عبد الرحمن محسن ـ كاتب السيناريو

(١) جائزة لاحسن عمل مشارك .
(٢) جائزة لاحسن إخراج .
(٣) جائزة لاحسن سيناريو .
(٤) جائزة لاحسن اداء لدى الممثلين .
(٥) جائزة لاحسن اداء لدى الممثلات .

فكانت مفاجأة المهرجان الكبرى بحق .

منذ اللقطة الأولى تأكد الجميع انهم امام عمل لا يمكن ان ينتمى لأى مكان إلا المكان الذى انتج فيه ويحمل اسمه - إلى قطر - وإلى ذلك الزمن القريب البعيد حين كانت الحياة فى هذه البقعة من الخليج العربى تعتمد أساساً على الصراع بين الانسان والبحر يعطيه عمره .. ليحصل منه على لآلئه التى تكفل استمرار الحياة .

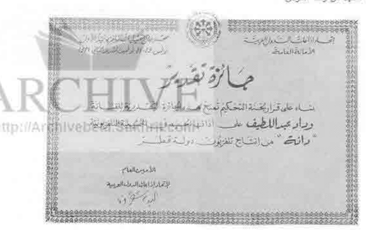
الفجر يوشك ان يشرق على قرية قطرية عتيقة ، ببيوتها المتساندة التى تواجه البحر ، ويواجهها .. وخبز الصباح يوشك ان ينضج فى الأفران .. وقهوة الصباح المرة تدور فى الاكواب .. البعض بكر فى السعى والبعض يوشك .. وسعد « مطوع » القرية الشاب يردد حروف الأبجدية العربية فيرددها خلفه أطفال القرية « كتابها » الوحيد الصغير ..

هكذا يبدأ أول مشهد فى « دانه » . ولم تكن القرية التى صورها المخرج مصنوعة من الخشب او النسيج المطلى . ولم تكن الأفران أو المواقد مصنعة فى أركان استديو تليفزيون قطر بل كان كل شىء فى هذا المشهد حقيقيا حيا . قرية حقيقية .. وأدوات حقيقية وأصيلة ، ولغة تنتمى إلى ذلك العصر .

تتقدم احداث القصة لتثبت مع الوقت انها تنتمى أيضا الى نفس المكان .. لتعبر عن طبيعة تلك الحياة التى صنعها الصراع مع البحر وتلك العادات التى رسختها الصحراء والأمل القادم فى الخروج من هذه الدائرة - إلى أفق أوسع وأرحب - وتتجسد كل هذه الحيوات فى شخصيات من لحم ودم. « النو خذا » ربان سفينة الغوص ، والمتحكم فيها وفى « دانه » ابنة اخيه مالكة السفينة الحقيقية وسعد الشاب المتطلع للغد والذى يدفعه الأب الى التعلم أملا فى ان يجنبه المصير المؤلم لكل غواص فقير . وأخيراً « دانه » صاحبة « المحمل » ومحط الطمع والحب . ويتوقد الصراع حين تواجه بالعم يرفع سيف التقاليد .. « الذى يقضى بأن تكون « دانه » من نصيب ابن العم فهو أولى بها من الغريب » .. ولكن التقاليد أيضا تقضى باحترام رغبة الأب الذى مات بعد ان وعد ابنته بالزواج من سعد . وهنا يحاول الحب أن يواجه الشر والطمع بنفس سلاحه .

على السطح تطفو قصة حب رومانسية رقيقة وعادية يجسدها المخرج فى لغة سينمائية شاعرية تجيد استخدام امكانيات الطبيعة .. البحر .. والشاطىء .. والنوارس .. والسفن المهجورة . ويقود مجموعة الممثلين الهواة الى حرفية جديدة تماما تختلف كل الاختلاف عن الاسلوب المسرحى الاذاعى السائد فى الاداء التليفزيونى . التلقائية ..

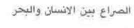

مشهد من رحلة الغوص


اتحاد اذاعات الدول العربية
الأمانة العامة

جائزة تقدير

بناء على قرار لجنة التحكيم تمنح هذه الجائزة التقديرية للفنانة
وداد عبد اللطيف على أدائها الجيد فى التمثيلية التلفزيونية
« دانة » من انتاج تلفزيون دولة قطر

الأمين العام
لاتحاد اذاعات الدول العربية


الصراع بين الانسان والبحر

الأيام الأولى للمهرجان مضت دون مفاجآت .. وكما يقول بيان لجنة التحكيم : « إن اللجنة لاحظت ان مضامين بعض التمثيليات لا ترتبط بأرضية او تربة البلد المنتج ، ولا تمت بصلة إلى واقعه او مشاكله أو تاريخه بل كانت محلقة تبحث عن هوية وتستجدى الاصالة والصدق فى التعبير » ..

وكان من الممكن ان تحجب لجنة التحكيم الجائزة - الأولى لأحسن عمل مشارك - وظل هذا هو الاحتمال الغالب .. الى ان عرضت على اللجنة والجمهور المتواجد فى دار ابن خلدون التمثيلية التليفزيونية القطرية «دانه»


الفنانة وداد عبد اللطيف وجائزة تقديرية عن التمثيل

دانه القطرية

مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

والعضوية التى تقترب من الطفولة التى تتفق مع وعى وسن دانة وسعد .. وتأتى كلمات الحوار البسيطة الرقيقة القليلة ، فى مكانها للحدد ، لا ثرثرة ولا احاديث معادة عن الحب

ولأن المخرج قرر منذ اللحظة الأولى ان يركب المركب الصعب وان يصور كل لقطاته خارج الاستديو .. فقد امتلك ثروة لا تنتهى من القدرة على استخدام حركة الكاميرا وحركة للمثلين والمجاميع بحرية شديدة . فنحن لا نواجه كما تعودنا بلقطه للبطل يتحدث ثم لقطة للبطلة . بل تدور الكاميرا حول تفاصيل للشهد لتبرز جمال الحركة التلقائية ولتعطى لكل استخدام لاحجام اللقطات معناه الحقيقى .. فحين يطبق اليأس تبتعد الكاميرا وتتحول صورة دانه وسعد إلى شىء ضئيل صغير فى مواجهة البحر وهذا الفراغ الهائل ولا تقترب الكاميرا من الوجوه إلا فى لحظات الانفعال الحارة لتبرز ما يريد أن يقوله المخرج بالخلجات وارتعاشات الشفاه والعيون . على السطح تبدو قصة الحب الرقيقة هذه .. وفى الباطن نواجه بالحياة القاسية بالواقع وتفاصيله المرة .. البحر .. والسفن الصغيرة البدائية التى يتكدس فيها عشرات الغواصين فى رحلة الغوص الشرسة التى تستغرق فصل الصيف كله .. يعيش الغواصون خلالها على التمر والقهوة المرة فقط . يغوصون ويغوصون يجلبون اللآلىء والثروة « للنوخذا » مقابل السلفة الصغيرة التى قبضوها مسبقا ليكفلوا بها قوت بيوتهم هناك على الشاطىء .

ومع ذلك فمن ابناء هؤلاء الغواصين من يطمع فى دانه ـ ابنة شقيق النواخذا ـ والمالكة الحقيقية « للمحمل » يطمع فيها وفى ما تملك . هكذا يعتقد النوخذا . ولكن القلوب الصغيرة تحلم بالحب وتفكر فى التخلى عن المحمل .. وما يجلبه من احزان ـ ولكن من يصدق ـ لابد لدانه أن تظل فى منزل العم وصيا عليها ، ثم زوجة لابنه الذى تربى معها

وعلى عكس الصورة التقليدية لابن العم الذى ينفذ مخططات الأب أو الذى يعيش قصة حب اخرى بعيدة يبدو ابن العم هنا شخصية انسانية حية ـ يحب ابنة العم ويتمناها لنفسه ولكنه يرفض ان يحصل عليها غصبا .

ويموت ابو سعد الغواص الفقير على سطح « المحمل » كما مات عشرات غيره ـ من الغواصين المرضى لأن السفينة لابد ان تكمل رحلتها ـ ولكن بعد ان يجبر النوخذا على الاعتراف بالوعد الذى قطعه والد دانه بتزويجها من سعد فهو لا ينكر الوعد ولكن هناك الف طريق للخلاص منه . فدانه صاحبة للحمل لابد لها من مهر كبير . والظـــروف لا تتيح لسعد حتى سداد الديون التى مات الأب وخلفها وراءه . ويترك سعد حلمه فى حياة افضل ويركب البحر .. مادام هذا هو الطريق الوحيد الى دانه ويتكفل الشر بالبقية ـ ففى أول رحلة له على سطح المحمل يتهم بالسرقة .. وهذا كاف حتى يبرر النوخذا رفضه لتزويجه من دانه . وعلى الشاطىء يعلن النوخذا عن موعد زفاف ابنه على دانه

ويجمع سعد ما يملك ـ ويقرر الرحيل ـ الى المجهول ـ وتحلم دانه بأن تحرق « المحمل » سبب المأساة ومحط الطمع ـ لكنها لا تملك القدرة على الفعل ـ لا تملك إلا ان تعدو خلف القارب الصغير الذى يقل سعدا الى البعيد تعدو وتصرخ وتغوص فى الماء فى مشهد يصل استخدام المخرج فيه لادواته الى ذروة تذكرنا بالأفلام الرومانسية العالمية الجديدة . تتقاطع لقطات العدو والصراخ فى الماء مع عودات سريعة قصيرة لذكريات ايام الهناء .. وتزداد سرعة اللقطات الى ان تصل إلى ذروتها .. فتسكن وتصمت لتجول بنا الكاميرا على سطح البحر حيث يختفى القارب الصغير الذى يقل سعدا . وترحل النوارس بعيدا عن الشاطىء ثم ترجف الكاميرا الى دانه ، مبتله ونديه .. وقد رقدت هامدة إلى الأبد على الشاطىء .

ولم يكن نجاح المخرج مجرد نجاح تقنى فى استخدام ادوات التصوير التليفزيونى بشكل بارع ـ بل كان نجاحه الاساسى فى توظيف هذا الاستخدام فى خلق عمل محلى عربى يرتبط بواقع قطر ويستغل جماليات هذا الواقع ـ فقد استطاع المخرج ان يغلف عمله الذى يدور فى عالم البحر والغوص بالفنون الشعبية وبالموسيقى التى تعبر عن هذا الواقع وذلك العصر .. استخدم فى مشاهد الغوص والبحر سفينة غوص حقيقية قديمة كما استخدم فريقا من الغواصين القدامى ـ ولم يكن استخدام المخرج لكل هذه الادوات مجرد محاولة لاضفاء المحلية على العمل ـ بل استطاع بحق ان يوظف كل هذه الادوات التوظيف الدرامى الصحيح الشعبى التقليدى البطىء فى كل مشاهد القرية والبحر والغوص ـ فى حين استخدم ايقاعا أكثر سرعة وحداثة

قرار لجنة التحكيم

يقول قرار لجنة التحكيم فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية حول فوز التمثيلية القطرية (دانه) .

لقد تميزت التمثيلية بمستواها الفنى العالى وبالاخراج المتقن والتمثيل العفوى الذى بدا ظاهراً لدى كل الشخصيات المشاركة ، الامر الذى جعلنا نقتنع بواقع الأحداث والأجواء وبصدق التعبير ورهافته والذى أولاه المخرج عناية فائقة ، إضافة الى استغلال الاماكن الحقيقية والفن الشعبى بصيغة جمالية ومؤثرة » .

لقد كانت تجربة المخرج ابراهيم الصباغ فى اخراج هذا العمل بالكامل خارج الاستديو ، وبعربات الفيديو رداً بليغاً على أسلوب الانتاج التجارى السائد ، الذى يتحجج دائماً بارتفاع تكاليف التصوير خارج الاستوديوهات والذى يتم عـــادة بإســـتخدام ادوات التصـــوير السينمائى وخاماته ـ التى تضـــاعف التكاليف ـ فقد استطاع هذا المخرج ان يقدم عملا تليفزيونيا عربيا يرقى الى مستوى تلك الأعمال العالمية التى نشاهدها دوما ـ ونتساءل عن السبب فى قدرتها على اقناعنا

واخيراً فقد استطاع هذا العمل والفريق الذى انجزه أن يعيد الى التمثيلية التليفزيونية بعضاً من سمعتها كفن تليفزيونى خالص .. كفن مرئى .

تونس : خاص بالدوحة

« دانه »

فازت التمثيلية التليفزيونيـــة القطرية « دانه » بثلاث جوائز فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس . والتمثيلية من انتاج تليفزيون قطـــر ..

قصة وسيناريو وحوار ـ جاسم صفر ، عبد الرحمن محسن .

إخراج ابراهيم الصباغ .

بطولة : وداد عبـــد اللطيف . سعد بورشيد ، عبد الله غيـــفان . عبد العزيز جاسم ، وصلاح درويش . مبارك الخميس . محمد البلم .

المخرج المساعد خليفه المناعى .

تصوير : عبد الرؤوف داود . محمد القريطى ، محمد عبد المنعم .

الديكور واللوحات .. الفنان فؤاد الشبيبى .

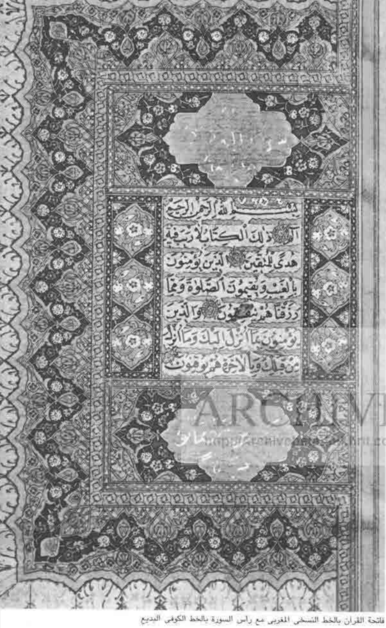
الغناء والألحان : احمد الجميرى .

كلمات الأغانى : الشـــاعر على عبد الله خليفة . وقد فازت دانه باهم ثلاث جوائز فى المهرجان وهى جائزة احسن عمل مشارك ، وجائزة احسن اخراج مشارك ، وجائزة تقديرية لأحسن اداء لدى الممثلات .

* الدانة : اللؤلؤة الكبيرة .

بقلم : فوزي تادرس

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



فاتحة القران بالخط النسخى المغربى مع رأس السورة بالخط الكوفى البديع

لقد كان استعمال اللغة العربية كواحدة من المقومات الاساسية التى وحدت بين المسلمين ، وهى فى نفس الوقت التى ميزتهم عن غيرهم كاحدى اساسيات الثقافة الإسلامية باشكال وصفات ابجديتها حتى اصبحت على مر العصور هى المحور المركزى للفنون الاسلامية (١) .

وبينما كانت الكلمة المكتوبة فى اول انتشار الاسلام لاغراض مقدسة لكتابة القران الكريم ، استخدمت الكتابة ايضا للمعاملات الدنيوية . ولقد اتخذت فى كل مرحلة طابعا وشكلا معينا طبقا للفترة الزمنية التى تغطيها وتبعا للبيئة المحلية التى ينتشر فيها ، ثم إلى مواد الكتابة التى يستعملها الخطاط (٢) .

ولقد بقى الخط العربى مدينا بتطوره التاريخى لذكاء الفنان العربى المسلم ولقدرته على الابداع الانسانى ، والتى تدين لتطورها عندما اختارها الله لتكون اداة لنشر الرؤية الدينية التى نزلت بالقران الكريم على الرسول محمد سيد المرسلين (٣) .

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



روعة الخط الثلث مكتوبة باللون الأسود والأزرق

رسالة الكتابة العربية

لقد أخذ العرب المسلمون معهم لغتهم وكتاباتهم وعقيدتهم إلى كل البلاد التى فتحوها ، وبينما قبلت معظم هذه الشعوب اللغة العربية بخطها والديانة الجديدة بعقيدتها الاسلامية ، قبل الايرانيون والأتراك الديانة الاسلامية والحروف العربية ولم يقبلوا اللغة . وبقيت اللغة العربية هى التعبير الرسمى لعالمية الاسلام وطموحه .

فى مثل هذا الموقف المركزى للحضارة الاسلامية احتلت الكتابة العربية الصدارة وبدأت تظهر شخصيتها كاداة ثقافية واحدى الدعائم الأساسية للاشعاع الروحى الذى أتى به الاسلام (٤) فقد كانت الكتابة العربية الجميلة تشكل طريقا اخلاقيا ممتازا يقصد منها ابتغاء الغفران من الخطايا ، وعملا دينيا محبوبا بما فيها من كتابة اسماء الله الحسنى (٥) ، وأيضا اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا إلى جانب ان القراءة والكتابة كانتا هما حجر الزاوية والدعاية الأساسية التى قام

عليها الاسلام (٦) . وغنى عن البيان ، فكلنا يعرف ان اول آيات القرآن (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) (٧) .

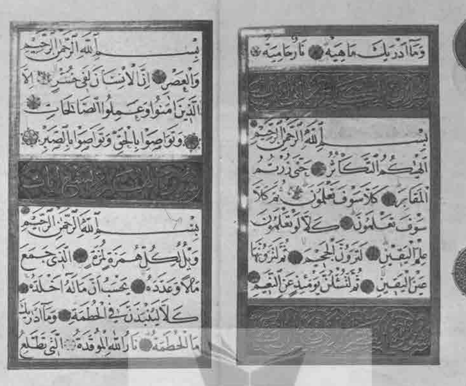
لم يكن الخطاطون المهنيون وحدهم هم الذين انشغلوا بذلك بل شاركهم فى هذه الأمور كل المسلمين والأدباء . وكما اصبحت الكتابة مظهراً دينياً رائعاً ، اصبحت مركزاً حيوياً للعقيدة الاسلامية فحملت الكتابة العربية معها تأكيداً ضمنياً للسلطة ، فكان يكتب بها الرسائل والعهود والمصالحات (٨) التى بعث بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للاسلام ، وساهمت الكتابة العربية ، فى حفظ أحاديث الرسول وشروح رجال الفقه الاسلامى إلى العالم أجمع . واستخدمت ايضاً للمعاملات الدنيوية مثل كتابة الرسائل لمخاطبة العمال ورجال الخراج والجند والشرطة والقضاة . ثم اشتغل العرب بعد ذلك فى تدوين التاريخ وخصوصاً كتب المغازى ، وكتب التراجم ونتيجة لازدياد حركة القراءة والكتابة وانتشار التعليم ، بدأت تظهر حرفه الوراقه ، وظهرت طبقة الوراقين وبدأوا ينسخون عشرات النسخ من الرسائل وشرح كتب الوحى ، وساهم الوراقون فى حفظ التراث الاسلامى بأبعاده الروحية والخلقية . وبدأت حركة الترجمة وظهور المكتبات سواء أيام الخلافة العباسية أو الأموية (٩) .

بصمات فى الفن

وتحدثنا المراجع العربية وعلى رأسها صبح الأعشى فى صناعة الانشاء (١٠) . للقلقشندى (٥٨٢ هـ) وعشرات غيره من كتب التراث العربى ، عن الكتابة وفضائلها وأنواع أقلامها وخطوطها وأشكال الحروف وطولها وعرضها وتناسقها وتناغمها . فمنها من يذكر انها هبة الله للانسان ، وانها توقيف ، ومنها من قال انها ظهرت على يد ملوك جبابرة مثل ابجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ، ومنها من يقول بأشياء غريبة . أما العلماء المحدثون فقد استعانوا فى دراساتهم بالنقوش العربية القديمة التى اكتشفوها مثل نقش النمارة وتاريخه ٣٢٨ م ، ونقش زبد وتاريخه ٥١٢ م ، ونقش حران وتاريخه ٥٦٨ م وغيرها من النقوش العربية القديمة (١١) .

ولقد شهدت القرون الهجرية الأولى وخاصة فى الفترة العباسية ٧٥٠ — ١٢٥٨ م انتشار الدعوة المحمدية الى الشرق والغرب لتغطى مساحة كبيرة إلى أواسط آسيا ، ازبكستان ، ايران ، أرض الفرات ، شرق تركيا ، سوريا ، شمال افريقيا ، صقلية ، جنوب ايطاليا وأسبانيا . ولقد سارت الكتابة العربية جنباً إلى جنب مع ما قدمه الاسلام إلى تلك الربوع من ذلك الاشراق الالهى الذى حملته الرسالة المحمدية من نور وايمان . فالى جانب ما تركه العرب الفاتحون فى هذه البلاد من فلسفة ودين مقدس ، فقد ترك الاسلام بصماته أيضاً فى الفن .

هكذا ربط الفنان المسلم بين الوحدات الخطية والزخرفية



سورة اخرى مكتوبة بالخط النسخ وعنوانها بالخط الثلث الذى ابدع الفنان فى اتقانه

والكوفى المضفر ، وتتداخل فيه حروف الكلمة الواحدة فيما بينها او تتداخل حروف الكلمتين المختلفتين وخاصة المتباعدتين لتكون منها اطارا جميلا . وحروف هذا النوع من الخط صغيرة ، ويوجد هذا النوع من الخط بكثرة فى جامع القيروان بالقاهرة ، وفى ضريح الخلفاء العباسيين وفى مدخل مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة .

واذا كان لابد ان نفرق بين الكتابة العربية والرسم كفن ، فان الخط الكوفى بانواعه يمكن ان يعتبر اقرب إلى الرسم من آية نوع آخر من انواع الكتابة العربية فهذا النوع من الخط الهندسى مليء بالسحر الخلاب .

كتابة النصوص القرآنية

لقد شهد القرن التاسع تطور الخط الكوفى او اليابس سواء فى الشرق او فى شمال افريقيا . وكان كل منهم يختلف عن الاخر فى شكله، ومن هنا اتخذت التسميات المختلفة فهناك الكوفى الفارسى ، والبغدادى ، والمغربى ، والأخيران اكثر حيوية واكثر زخرفة من الكوفى الأصلى (٢٠) .

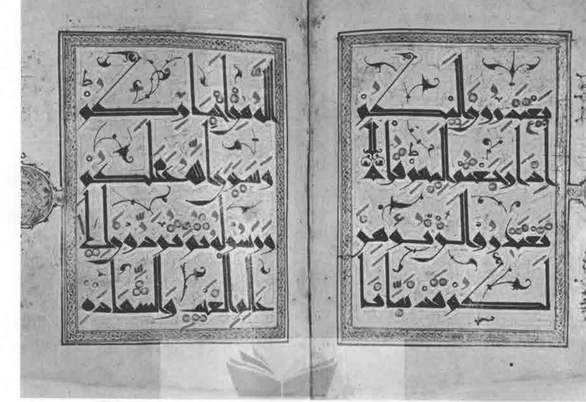
ثم حل الخط النسخى محل الخط الكوفى فى كتابة المخطوطات . والكتابة فى الخط النسخى مدورة وأقل عمودية تتماشى مع حركة اليد الطبيعية .

ولقد كثر استعمال الخط النسخى فى الفترة بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر واستعمل بصفة اكثر لكتابة نصوص القرآن الكريم ، واحتفظ بالخط الكوفى لكتابة عناوين الصور .

وهناك أنواع مختلفة من الخط النسخى انشقت منه أهمها خط الثلث وكان يستعمل أساساً فى كتابة النصوص القرآنية ، إلى جانب استعماله فى الدواوين « وفيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين : وهما التقوير والبسط . فالمقور هو المعبر عنه الآن باللين وهو الذى تكون عرقاته وما فى معناها منخسفه منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما . والمبسوط وهو المعبر عنه الآن باليابس وهو مالا انخساف وانحطاط فيه كالمحقق » (٢١) .

لقد ظهر فى ايران فى القرن الثالث عشر خط التعليق على يد الخطاط الفارسى مير على وقدم خطا آخر بين خط التعليق والخط النسخى سمي بخط النستعليق واستعمل بالذات فى كتابة الشاهنامه ، وفى كتابة اشعار نظامى وغيره من شعراء الفرس المشهورين . وبالرغم من انه خط مدور ، فان خط النستعليق يمتاز بالوضوح وبالثبات ولذلك ساد أسلوبه معظم المخطوطات الفارسية الصغيرة .

لقد كان ابن مقلة (٨٨٦ ــ ٩٤٠ م) من الشخصيات الفنية التى لعبت دوراً



الخط الكوفى المورق .. كان يستعمل فيه الزخرفة المستوحاة من الطبيعة   الخط الكوفى الذى يعتبر أصل الخط العربى ، ويتميز عن غيره بما فيه من زخرفة مصلعة

كبيرا فى تطوير الخط العربى وأرسى دعائمه على أساسيات ثابته . لقد تبنى ابن مقله خصائص هذه الاساسـيات الهندسية فى الخط العربى . وبالرغم من معاناة شخصية فى حياته الخاصة فانه قد خصص كل حياته لفن الكتابة العربية .

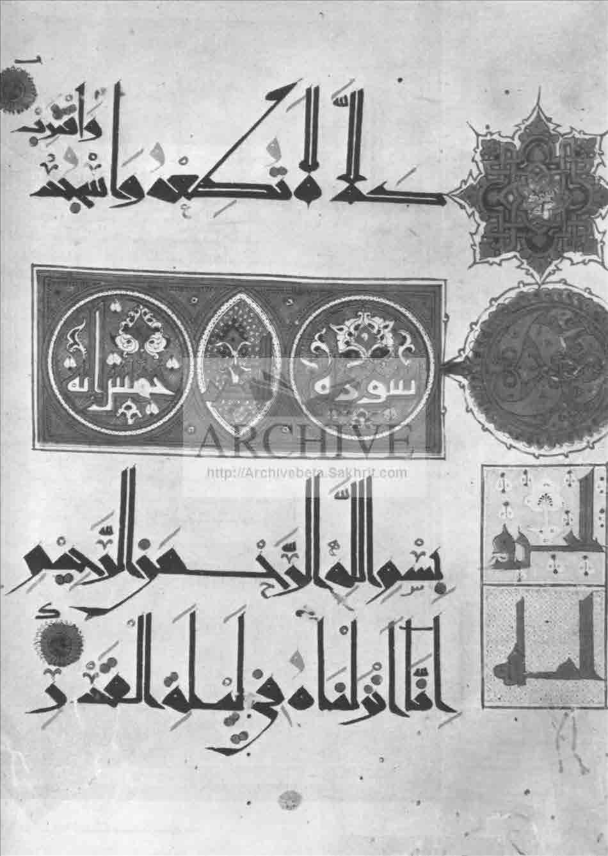
ولقد كان الخط العربى المنمق طريقا إلى المناصب الحكومية يدفع صاحبه للمجد الوظيفى . فقد حدث هذا لابن مقلة وبدا حياته الوظيفية فى سن مبكر وتدرج فى الوظائف الحكومية حتى شغل منصب وزير لثلاث مرات فى عهد الخلافة العباسية فى بغداد . ولكن العمل السياسى يدور فى بعض الأحيان على صراعات ، ولسوء حظه انه وقع فى هذه التيارات السياسية . وكان فى اغلب الأحيان غير ناجح او موفق . وانتهت به الحال لان يخلع فى سنة ٩٣٦ م وان يسجن وان تؤمم ممتلكاته وان تقطع يده اليمنى وسيلته الوحيدة فى فنه كعقاب صارم لتشل حركته ، وبعدها مات فى سنة ٩٤٠ م (٢٢) .

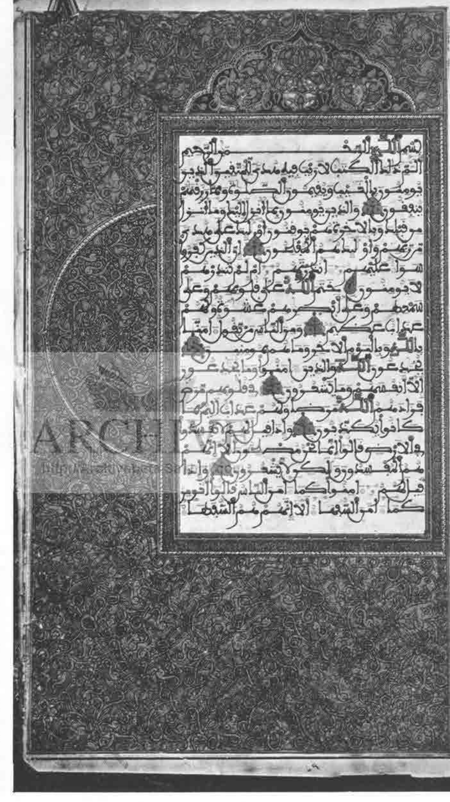
لقد اصبحت الكتابة العربية على يديه كما لو كانت قرصا هندسيا نسج خيوطه النحل . هذا بالرغم من ان هناك من يعارض ان ابن مقلة هو الذى ابتدع الخط النسخى والأساليب الأخرى الستة فى فن الكتابة العربية . وعلى العكس ، لقد اعطى ابن مقله كل الاصلاحات ، وأدخل عليه كل التطورات الثابتة للقياس والمؤثرات الرياضية ووضع تقنينات قياسية لكل الحروف العربية ، فمثلا كانت النقطة التى تشبه العين والتى يتركها القلم الغاب على رأس حرف الألف لها قياس معين : معها فى بعض الألفات بمقدار ثلاث نقط فى الارتفاع وفى البعض الآخر بمقدار خمس نقط وأحيانا سبع . ثم انه أعطى للحروف قواعد هندسية موزونة فى تناغم السلم الموسيقى تلعبه فى براعة يد الفنان المسلم المرهف الحساسية .

مدرسة الأناقة والتناغم

وجاء بعد ذلك ابن البواب فاسس أيضا مدرسة فى الخط العربى واستمر أثرها لمدة طويلة . ولقد نسب اليه اختراع خط المحقق والريحانى (٢٣) . ولقد كان له تحقيقات رئيسية فى وضع وتوسيع اساسيات النظام الخطى الذى وضعه من قبل ابن مقلة وزاد فى أن مدرسته كانت مشهورة باناقة خطها وتناغم حروفها ، وتوفى ابن البواب فى سنة ١٠٢٢ م .

والشخصية الفنانة الثالثة هو ياقوت المستعصمى فى القرن ١٣ (٢٤) . لقد تبنى ياقوت نظام ابن مقلة الهندسى ونظام ابن البواب الرياضى وان كان ابن البواب قد غير قليلا من النظريات الرياضية ، ولقد استطاع ابن البواب ان يكتب فى حرية وفقا لما تعطيه وتقدمه الحروف العربية التى يستعملها ، ويتضح ذلك فى براعته الفائقة فى كتابة الخط النسخى . ولعل ميزة الخط النسخى فى انه كان يقابل احتياجات الانسان فى الحصول على احجام مختلفة كبيرة او صغيرة تحمل النصوص القرانية الكريمة والتى يريدها


كلا لا تطعه واسجد واقترب
سورة القدر
خمس آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أنزلناه في ليلة القدر



آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالخط النسخي المغربي وسط زخرف من الفن الاسلامي الجميل

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث

وفقا للحجم الذى يبتغيه .

على اية حال ، لقد كانت شخصية ابن مقلة كالشخصيات البطولية لما قدمه للخط العربى الأنيق وما ارساه من قواعد اساسية ثابتة ، ولقد تبعه ابن البواب فى تاثيراته ، ثم المستعصمى. ويعتبر هؤلاء الثلاثة ائمة الخط العربى الذين اتخذوا الدور الأسطورى الذى قامت عليه مدارس الخطوط الحديثة فى العالم العربى والاسلامى .

ولقد كان تلاميذ هؤلاء النجوم فى الخط العربى يتكسبون من أعمال أخرى فلم تكن حرفة الكتابة العربية مصدر رزقهم الوحيد الا فى حالات نادرة مثل الذين كانوا يقومون بعملية نسخ الكتب ويعملون فى الوراقة نتيجة لحركة التاليف والترجمة التى ظهرت مع اوائل العصر العباسى على أيدى العناصر الفارسية التى اثرت الأدب العربى ، ونتيجة لتصنيع الورق فى بغداد وسهولة الحصول عليه (٢٥) .

لقد لعب الخطاطون العرب دورا كبيرا فى الفنون الاسلامية الأخرى ، فلم يكن فنهم منعكسا فقط فى المواد الكتابية التقليدية كالمخطوطات والرق والبردى والورق ، بل ظهر منه الكتابة العربية ايضا على الاماكن المرئية للعيان فى ترحال الناس وغدواتهم . وكانت بيوت الله التى يؤمها المسلمون للصلاة اهمها . فقد اضفت الفنون الكتابية العربية المنقوشة على المساجد روعة واناقة . وبرع الفنان المسلم فى اظهار قدراته حيث نالت الكتابات الدينية المنقوشة على هذه المساجد اعجاب الذين يؤمونها للصلاة . وقد خدمت هذه النقوش فى ان اصبح لها وظيفة رمزية تؤكد قوة الاسلام وروحانيته (٢٦) . لقد كانت تلك الوظيفة الرمزية هى الجانب الاجتماعى للفن العربى مؤكدا قدراته على اضفاء الهندسة الفنية الى جانب العطاء الروحى الذى يقدمه الاسلام لراحة النفوس والدعوة الى الشفافية الخالصة والطهر العفيف .

فوزى تادرس



1. Alexandre Papadopoulo : **Islam and Muslim Art**/ trans by Robert Erich Wolf. London : Thames and Hudson, 1980, P. 165.

٢ ـ صلاح الدين المنجد : دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته الى نهاية العصر الاموى . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ ، ص ١٠ .

٣ ـ القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء : القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد (د.ت) جـ ٣ ص ١٩ ـ ٤٢ .

4. Anthony Welch : **Calligraphy in the Arts of the Muslims World**. Folkestone Kent : Dowson, 1979, P. 19.

5. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 25.

6. Martin Lings : **The Quranic Art of Calligraphy and Illumination**. England : World of Islam Festival Trust, 1976, P. 11-14.

٧ ـ القران الكريم : سورة الفلق ، اية ١ ـ ٥ .

٨ ـ المنجـد ، : دراسات ، ص ٢٣ .

9. Papadopoulo, A. : **Islam**, P. 48-49.

١٠ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ١٠ ـ ٧٥ .

١١ ـ سهيله الجبورى : أصل الخط العربى وتطوره حتى نهاية العصر الاموى . بغداد : مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣ .

12. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 33.

13. Papadopoula, A. : **Islam**, P. 35-40.

14. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

١٥ ـ الجبورى ، س : الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية فى العراق . بغداد مطبعة الاديب ، ١٩٧٨ ص ، ٣٨ .

16. Welch, A. : **Calligraphy**. P. 60-65.

17. Lings, M. : **The Quranic Art**, P. 15-18.

18. Adolf Grohmann, "The Origin and Early Development of Floriated Kufi", **Arts Orientails** 2 (1957) : P. 183-214.

١٩ ـ محمود عباس حموده : دراسات فى علم الكتابة العربية القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ ـ ٩٢ .

20. Claude Humbert : **Islamic Ornamental Design**. New York : Hastings House Publishers, 1980, P. 33-41.

٢١ ـ القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ـ ٤٠ .

22. Nabia Abbott, "The Contribution of Ibn Mukla to The North Arabic Script", **American Journal of Semitic Languages and Literatures** 56 (1939) : P. 70-84.

23. David Storm Rice : **The Unique Ibn al-Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library**. Dublin, 1955, P. 60-65.

24. Ibn Hassan al-Tibi Muhammad : **The Kinds of Arabic Calligraphy According to The Method of Ibn al-Bawwab**, ed. by Salah al-Din al-Munajjid. Beirut, 1962, P. 25-40.

٢٥ ـ ابن خلدون : المقدمة . بيروت : مطبعة دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٥٦ ، ص ٩٦٢ .

26. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

«حقيبة» بها وديعة حياة !

من علقها ؟ .. هل تعرفها ؟ .. ثم ماذا تحوى بداخلها ؟

لو عشت معها فى عالمها ، فسوف تعرف الجواب بعد ١٢ يوما بالتمام والكمال ، وعندئذ سوف تنشق هذه الحقيبة (أ) عن فراشة جميلة تراها هنا (ب) وهى تقف على زهور نوع من أنواع النبات .

والواقع أن الذى جهز هذه الحقيبة وعلقها على فرع النبات دودة أو يرقة ذات ألوان زاهية كذلك (ج) .. والحقيبة ليست فى حقيقة الأمر إلا الشرنقة التى صنعتها الدودة الملونة لتسكن بداخلها ، وكأنما هى ــ أى الدودة ــ قد تحولت إلى مومياء ، لكنها على أية حال مومياء حية ، وفى داخل الشرنقة تتحول إلى طور العذراء أو الخادرة ، وفيها تتطور العذراء إلى فراشة يافعة تختلف فى التفاصيل عن الدودة التى منها قد جاءت ، وعندما تخرج الفراشة إلى الحياة تتلقح وتضع بويضاتها ، لتفقس وتتحلى ديدانا ، فخادرات ، ففراشات ، ثم تتكرر القصة الأزلية كما تكررت قبل ذلك ملايين المرات ، أو عبر مئات الملايين من السنين .

إنه عالم غريب ، يمر بأطوار أكثر غرابة ، حتى لكأنما نحن نرى فيه قصة الموت والبعث بين طور وطور ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(أ)



(ب)



(ج)

جنون .. أم فنون ؟ !

هذه الصورة الفريدة توضح « طابورا » قائما من عملة معدنية تراصت قطعة من فوق قطعة حتى وصل عددها إلى ١٣٠ قطعة ترتكز على حافة دولار امريكى ، وكما تراها هنا .

ولقد استمر المدعو اليكس شيرفنسكى من لوك هافن بولاية بنسلفانيا يتدرب على هذه اللعبة ٢٦ عاما ، عله يحقق هذا الرقم القياسى ، فحققه فى عام ١٩٧٤ ، ورغم أن هذه التسلية الغريبة تحتاج إلى صبر ودقة وحساسية بالغة فى التوازن . إلا أنها قد تدعونا إلى تساؤل : لماذا ضيع الرجل عمره ومجهوده فى هذا العمل الذى ليس من ورائه طائل ؟ .. والجواب عند اليكس الذى يقول :

إن أحدا فى العالم لن يستطيع تحقيق ما حققته !

على أية حال : إن بعض الفنون جنون !

تنسيق زهرى .. ولكن !

دقق النظر جيدا ، لأن هذه الزهريات المنسقة تنطوى على خدعة فالزهور التى تراها هنا ليست زهورا طبيعية ولا صناعية ، ولا هى تمت لها بصلة تذكر ، اللهم إلا من حيث الشكل والتنسيق فقط .

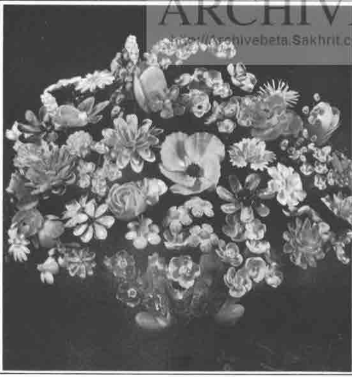
هل عرفتها ؟

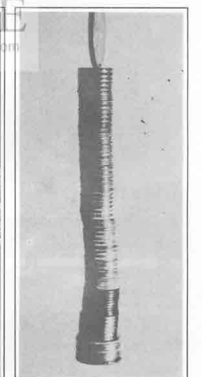
الواقع اننا امام تنسيق بديع من صـــنع الله أولا ، ثم من صـــنع الانسان بعد ذلك .. فهذه الزهور ليست إلا أصدافا وقواقع طبيعية ، ولقد جذبت لجمالها انظار الانسان الفنان ، فكان ان نسق بينها ، ووضع الصدفة بجوار الصدفة ، فجاءت على هيئة ورود وزهور متراصة بجمال وفن يجذب عقول العاشقين للفن والجمال .

ثم الا ترى معنا أن الانسان الذى صنع ونسق هذه الزهريات الصدفية ، كان أكثر جدية وواقعية من الانسان الذى ضيع من عمره ٢٦ عاما ليرص قطع النقود التى تراها منشورة هنا ضمن صور عالم غريب ؟

إنه على أية حال عالم عجيب يحوى من المتناقضات ما يحملنا على التأمل والتفكير فى كل ما نرى ، وما لا نرى !







رسالة لندن من
مجدي نصيف



أوديسا الفضاء

اسطورة العلماء تتحقق بسفينة تدور على كواكب المجموعة الشمسية



اربع شاشات تليفزيونية ضخمة تستقبل الصور التى بثتها فويجر (٢) من كوكب زحل وذلك فى مختبر اطلاق الصواريخ

وقف المشتغلون بمعمل ابحاث الفضاء بباسودينا ، يتابعون فى اعجاب الصور التى ترسل من على بعد مئات الأميال، ترسلها سفينة فضاء اوتوماتيكية لا يزيد حجمها على حجم سيارة . كانت الصور تتابع على شاشات التليفزيون العملاقة ، وسفينة الفضاء تستكمل المرحلة المرسومة لها من رحلتها الملحمية ، التى تسبق فى واقعها أفلام المسلسلات التليفزيونية لمغامرات الفضاء .

مرت سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوياجر » بجانب الكوكب « زحل » الهائل الضخامة ، ذى الحلقات المشهورة وثاني اكبر الكواكب فى المجموعة الشمسية بعد كوكب المشتري فارسلت افضل واوضح صور حتى الآن لذلك العالم الغريب المليء بالاعاجيب .

صور الملكوت بعيد المنتهى فى المجموعة الشمسية ،لم تشاهد عين بشر من قبل صوراً بهذا الوضوح والبريق . لذلك علق احد العلماء وهو يراقب شاشات التليفزيون الضخمة :

« لقد علمنا عن نظام الكوكب زحل فى اسبوع واحد ، اضعاف اضعاف ما عرف عنه فى تاريخ الانسانية المدون كله » .

وبالفعل ، لقد ازداد ما نعرفه عن الكوكب زحل خلال السنوات العشر الماضية ، قدر ما كنا نعرفه عن الكوكب منذ القرن السابع عشر الميلادى . فقد جمعت سفينتا الفضاء « فوياجر الأولى » و « فوياجر الثانية » اللتان مرتا بالقرب من الكوكب ، من المعلومات ما يقدر بالاف أضعاف ما جمعته البشرية عنه طوال حياتها على الكرة الأرضية .

جاليليو كان الاول

مرت « فوياجر الثانية » بالقرب من زحل واخذت ترسل صوره يوم الأربعاء ٢٦ أغسطس عام ١٩٨١م ، لكن جاليليو كان اول من نظر إلى زحل من خلال المنظار الذى اخترعه عام ١٦١٠م . ثم تلاه كريستيان هوجنز عام ١٦٥٥ اول من حدد وجود « تيتان » اكبر اقمار « زحل » . ثم ج . كاسيني اول من تحقق من أن حلقات « زحل » الشهيرة ليست كتلة واحدة صماء من المادة ، وإنما بينها فراغات ، واكتشف فى نفس الوقت ثلاثة اقمار اخرى للكوكب . وكان هذا عام ١٦٧٥ .

وكان هذا التقدم الذى تحقق خلال الستين عاماً ، يرجع الى اختراع المنظار الفلكي الذى ظل يتطور ويكبر ، وتنمو معه المعرفة البشرية بالكون . لكن علماء الفلك ظلوا مع ذلك محصورين فى نفس الاطار البحثى العلمي طوال هذه القرون الثلاثة .... حتى الأسبوع الاخير من شهر اغسطس ١٩٨١م ، عندما «نظرت» سفينة الفضاء الأوتوماتيكية إلى الكوكب زحل واقماره ، بمنظار عن قرب اكثر من أي منظار اخر نظر به العلماء إلى الكوكب ، ومن على بعد بليون من الأميال



ثلاثة من اقمار كوكب زحل الخمسة عشرة المعروفة .. وهى : انسلادوس (قطره ٣٢٠ ميلا) ، ميماس (قطره ٢٢٠ميلا) ، وديون (قطره ٧٥٠ ميلا)

عـن الأرض ، اخذت السفينة ترســل اشاراتها ، فالتقطتها رادارات كاليفورنيا لتحولها الى صور رائعة للكوكب واقماره

وقدمت السفينة العديد من المعلومات الجديدة التى ستجعل علماء الفلك مشغولين لعدة سنوات بالدراسة : لقد اظهرت الصور آلاف « الحلقات » التى تدور حول الكوكب ، ليست تلك الحلقات المعدودة التى يراها العلماء بالمناظير من على الأرض . وأظهرت الصور كذلك العديد من التفصيلات الفنية لتلك الحلقات ، وبشكل لم يتوقعه العلماء ، خاصة وان التفصيلات التى أرسلت تبين كل شيء ، وكأن العلماء لا يبعدون عن الكوكب بأكثر من مائة متر .

فوياجر الأولى

وحتى نتصور رحلة الأوديسة الفضائية ، علينا أن نقدم المسافات التى تقطعها « فوياجر » خلال المجموعة الشمسية التى تتكون من الشمس أساساً ـ فى المنتصف ، وتدور حولها الكواكب التسعة ـ وربما كانت عشرة إذا ما أثبت العلم أن هناك كوكبا بعد بلوتو ـ بتوابعها الاثنين والثلاثين ، ثم هناك أجسام أخرى معروفة يصل عددها ١٧٠٠ حجمها فوق الكيلومتر ، وكان يطلق عليها من قبل اسم النجيمات ، لكن العلماء يفضلون أن يطلق عليها الآن اسم الكويكبات ، ويقدر أن هناك ٤٠ ألفاً أو يزيد من النيازك والشهب .

والكواكب التسعة نفسها تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الأرضية وتضم أربعة كواكب قريبة الشبه من الأرض حجما وهي عطارد والزهرة والمريخ (والأرض بطبيعة الحال) وهي أيضاً الأقرب إلى الشمس . ثم هناك الكواكب العملاقة التي تضم المشتري وزحل وأورانوس ونبتون وكلها يصل حجمها إلى حجم الأرض مابين ١٥٪ إلى ٣١٨ مرة وإن كانت لا تمتلك أكثر من ٢٠٪ من كثافة الكواكب الأرضية . لذا يعتقد العلماء أنها تتكون أساساً من غازات وعناصر خفيفــة مثــل الأيدروجيـن





القمر (ديون) التابع لكوكب زحل وهو اصغر من أن يكون له جوا ، مما سهل على النيازك مهمة حفر سطحه عند سقوطها . واللقطة الثانية لثانى أكبر الاقمار فى المجموعة الشمسية (تيتان) وقطره (٣٠٠٠ ميل)

والهليوم التى قد تتحول إلى حالة صلبة ــ وربما معدنية ــ فى عمق الكواكب العملاقة .

والكوكب زحل هو سادس كوكب فى الترتيب من ناحية المسافة إلى الشمس ، فهناك قبله الكواكب الارضية الاربعة، ثم المشتري من الكواكب العملاقة ، وعندما يكون اقرب الى الأرض فى مداره الأهليلجي تكون المسافة ٧٤٠ مليون ميلا، ويصل كتلته إلى ٩٥,١٤ مرة قدر الأرض أما حجمه فهو ضعف حجم الأرض ٧٤٣,٧ مرة .

لكن الشيء الفريد فى المجموعة الشمسية بالنسبة لزحل هو حلقاته الغامضة والتى لم يصل العلماء منذ اكتشفها جاليليو إلى تفسير منطقي لوجودها . وزحل له عشر توابع او اقمار اكبرها واكثرها بريقاً القمر تيتان الذى اكتشفه هيجنيس عام ١٦٥٥ ، وآخر اقماره التى اكتشفت هو جانوس عام ١٩٦٦م .

هذا هو العالم الغامض الذى القى على عاتق سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فوياجر الأولى » و « فوياجر الثانية » اكتشافه . وتحت قيادة العقول الالكترونية مرت « فوياجر الأولى » بجانب القمر تيتان مقتربة إلى مسافة ٢٥٠٠ ميلا من سطحه المجعد . وبدأت سرعتها فى الازدياد عند وقوعها تحت تأثير جاذبية مجموعة زحل الكوكبية ، ثم مرقت إلى أسفل متجهة إلى الحافة الخارجية لحلقات الكوكب ، مثيرة دوامة من البقايا الكونية المتناثرة .

الصورة الصفراء

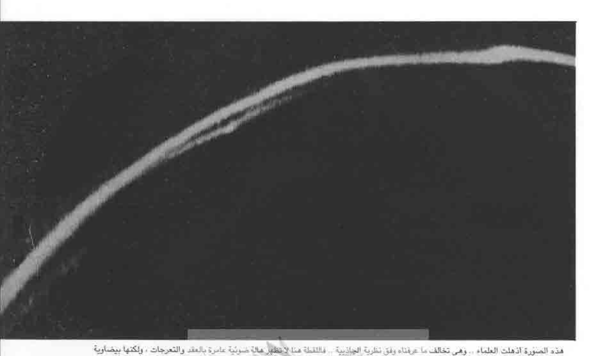
فى الاسبوع الثاني من نوفمبر ١٩٨٠م بدأت السفينة الأوتوماتيكية « فوياجر الأولى » تأخذ دورة واسعة على شكل قوس ، عندما وصلت سرعتها إلى الحد الأقصى ٥٦,٦٠٠ ميلا فى الساعة ، لتصبح على بعد ٧٧,٢٠٠ ميلا من السحب التى تغلف الكوكب زحل ، وهذه كانت أقرب نقطة إلى الكوكب فى مسار السفينة .

فى هذه الأثناء كانت كاميرات السفينة التليفزيونية تعمل وحدها ، وتومض وكان لها حياة مستقلة .

كان الكوكب زحل يبدو ضخماً لامعاً فى أعين الآلة الالكترونية ، ولم تكن هناك فرصة للكاميرات إلا التقاط صور لأجزاء من الكوكب بسبب ضخامة الصورة . وقامت السفينة الأوتوماتيكية بتنفيذ مناوراتها بدقة بالغة ، حيث وصلت نسبة انحراف مسارها فى نهاية المطاف اثني عشر ميلا فقط .

ثم بدت « فوياجر الأولى » تصعد مرة أخرى عابرة خارج حلقات الكوكب ، ملتقطة صوراً خلفية ، متجهة خارج نظام المجموعة الشمسية ، إلى الفضاء اللانهائي بين النجوم .

وقبل أوديسا الفضاء هذه ، التى قامت بها فوياجر ، كان الكوكب زحل غير معروف نسبياً . انه كوكب يتكون من كرة غازية بالغة الضخامة ، ومعظم مكوناته من الايدروجين والهليوم ، ويمكن أن



هذه الصورة اذهلت العلماء .. وهى تخالف ما عرفناه وفق نظرية الجاذبية .. فاللقطة هنا لا تظهر هالة ضوئية عامرة بالعقد والتعرجات ، ولكنها بيضاوية خالية من التعاريج

يحتوى ٨١٥ كوكبا ، يماثل حجم الأرض . وحتى عندما استخدم العلماء أقوى المناظير وأكثرها دقة ، لم يروا من زحل غير صورة صفراء ذات حلقات . والآن بسبب الرحلة الفضائية ، أصبح الكوكب معروفا أكثر بغرائبه ومفاجآته وغموضه

الحلقات الشهيرة

بعد أول دراسة ــ خاطفة ــ لفيض المعلومات التى أرسلتها « فوياجر الأولى » عن زحل ، دهش العلماء لهذه الاكتشافات المتتابعة التى قدمتها السفينة . كان كثير منها خاص بحلقات زحل الشهيرة ، والتى كان يعتقد انها فريدة من نوعها ، حتى جاءت بعض الاكتشافات المماثلة لملامح متواجدة حول الكوكب أورانوس والمشتري .

قبل زيارة « فوياجر » ، كان المعتقد وجود ست حلقات بينها فواصل . لكن عرف الآن أن هناك حوالي الألف من هذه الحلقات ، وأن ما يعرف بالفواصل او الفراغات قد تحتوي كل منها على عشرات من الحلقات الصغيرة . أما تيتان أكبر أقمار زحل ، بل والمجموعة الشمسية ، فمن الواضح انه مغلف بجو كثيف من الأبخرة النيتروجينية وليس الميثان ، كما كان يعتقد من قبل . وقد يكون سطحه مغمورا فى بحر بارد من النيتروجين السائل .

أما الأقمار الأخرى ، والتى لم تكن غير مجرد نقط مضيئة على المناظير الأرضية فقد زاد عددها بعد رحلة «فوياجر» لتصل إلى خمسة عشر من الكتل الأرضية والثلجية ، ربما يعود عمرها إلى نشأة المجموعة الشمسية ذاتها ، منذ ٤,٦ بليونا من السنوات . وفوق ذلك بدت هذه الأقمار واضحة ومختلفة ، تحمل الآثار والتشويهات الناجمة عن ارتطام آلاف النيازك والشهب وربما المذنبات أيضا ، إلى جانب الشقوق والفوالق الناجمة عن الزلازل .

وبــاي المقاييس فان هذه « الأودية الفضائية » لفوياجر الأولى والثانية ، هي انجاز تكنولوجي هائل ، وهي مثال مذهل على امكانية برمجة العقول الالكترونية كي تعمل بصورة تلقائية ، وبدون تدخل من مراقبى المعامل الأرضية عن طريق الاشارات اللاسلكية . فوصول الاشارات التى نقلت المعلومات استغرق ساعة ونصف قبل ان تصل الى الأرض . ولذا فان فوياجر صممت بحيث تتمكن من اصلاح اعطابها ، ومن تصحيح الاخطاء الملاحية التى تقع فى مسارها ، لأن انتظار الاشارات والأوامر من الأرض يستغرق وقتا طويلا .

وباستكمال استطلاع الكوكب زحل ، يكون العلماء قد اكملوا استكشاف جميع الكواكب ، التى عرفها الأقدمون بالعين المجردة قبل اختراع المنظار ، لكن الاستكشاف هذه المرة كان عن قرب كبير .

فخلال العقد الماضى تمكنت سفن الفضاء الأوتوماتيكية من القاء اول نظرة « قريبة » على سطح الكوكب عطارد الجاف المليء بالحفر . وعطارد هو اقرب كواكب المجموعة للشمس . وتطلع العلماء باستخدام الكاميرات والرادارات إلى كوكب الزهرة المغطى بالسحب ، وجوه يشبه الجحيم حيث تصل درجة حرارته إلى ٤٨٠ درجة مئوية (او ٩٠٠ درجة فهرنهايــت) ويتكون من غازات ثاني أكسيد الكربون ، كثيفة خانقة . ثم بحث العلماء كوكب المريخ واضعين



عاصفة فوق زحل فى خط عرض ٥٥ . والصورة تبرز منطقة من الغازات المتلاطمة المتصاعدة



سر الهالات المشعة حول زحل .. وتبدو بها النقاط السوداء التى تدور حول الكوكب

نهاية لأسطورة وجود القنوات المائية عليه ، وهبطت سفينتان اليتان لتحليل عينات من تربة المريخ لاقتفاء اثر أي وجود بيولوجي .

ثم وصلت سفن الفضاء الأوتوماتيكية إلى أبعد من هذا ، إلى كوكب المشتري أضخم كواكب المجموعة الشمسية ، ووصلت منه إلى الأرض صور رائعة الألوان لجوه الخلاب ، ولأقماره العديدة ومنها القمر « ابو » الصغير الذى فاجاته الكاميرات وسط ثورة بركانية .

الحل فى بطارية نووية

جاءت رحلة فوياجر الاستكشافية نتيجة جهود اعداداستمرت اكثر من عشر سنوات، وجاءت الفكرة الأصلية من حدث فلكي كان العلماء يتوقعون حدوثه فى نهاية السبعينات ، وهو حدث يتكرر مرة كل ١٧٥ عاماً ، أثناء دوران الكواكب البطيء حول الشمس ؛ عندما تصطف الكواكب الدائرة فى المسارات الخارجية وهى المشترى وزحل وأورانوس وبنتون ، فى صف واحد .

وعندما قام العلماء بعمل حساباتهم ، اكتشفوا أن هذه فرصة ذهبية لاستخدام قوة جاذبية الكواكب ، بحيث تتمكن سفينة الفضاء المنطلقة من الأرض بشكل دقيق محسوب ، من الانتقال من كوكب الى آخر من هذه الكواكب .

وفى أواخر السبعينات قرر علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» (الناسا) استغلال هذه الظاهرة ، للبدء فى الرحلة العظيمة : «أوديسة الفضاء» وهى زيارة تقوم بها سفينة فضاء اوتوماتيكية لكل هذه الكواكب قبل نهاية الثمانينات .

وتطلب المشروع تصنيع معدات الكترونية يمكنها مقاومة الصقيع والجو القاسى لمدة اثنى عشر عاماً . وفى نفس الوقت لم يكن من الممكن الاعتماد على الطاقة الشمسية ، لأن السفينة تسير فى الاتجاه المعاكس . وجاء الحل فى بطارية نووية تحول الحرارة الناجمة عن تفتت البلوتونيوم المشع الى طاقة كهربائية .

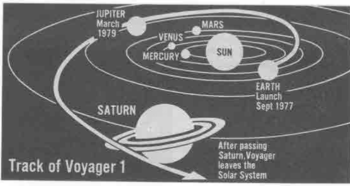
وكان لابد من تصميم السفينة بحيث يمكنها أن تصحح مسارها بنفسها بدون الاعتماد على توجيه من المراكز الأرضية لأن المسافة بعيدة لدرجة انه اذا سارت الاشارة من الأرض بسرعة الضوء ، فهى لن تصل الى كوكب أورانوس مثلا ، حيث السفينة ، إلا بعد ساعتين . ومن ثم تم تصميم «عقل الكترونى» خاص للسفينة يمكنه مراقبة المسار وتصحيح ما يحدث فيه من أخطاء وبسبب التخفيض فى الميزانية عام ١٩٧٢ ، اقتصرت «الرحلة العظيمة» على استكشاف اثنين من الكواكب العملاقة فقط هما : المشترى وزحل .

وعندما وصلت «فوياجر الأولى» الى زحل ، كانت هناك عشرة اجهزة علمية تعمل فى نفس الوقت ، ابتداء من «الأجهزة الباحثة عن الأشعة الكونية» الى «اجهزة قياس المجال المغنطيسى فى الفضاء» الى «أجهزة تحليل الطيف بالاشعاعات فوق البنفسجية وتحت الحمراء» . اما الجهاز الوحيد الذى تعطل فيها ، فهو «مقياس استقطاب التصوير» . وبتوجيه الموجات اللاسلكية خلال سحب الكواكب وأجوائها ، استطاعت السفينة استخدام أجهزة ارسالها للاستطلاع العلمى ، لمعرفة كثافة الأغلفة الجوية ، ومكوناتها . لكن لعل اكثر الأجهزة فائدة هى «كاميرتا» التليفزيون ، كانت هناك واحدة بعدسة افقية متسعة الزاوية ، والثانية بعدسة مقربة . ويمكن توجيههما الى أى اتجاه ، ويمكنهما كذلك تصوير اجسام لا يزيد قطرها عن خمسة اميال وهى على بعد مليون ميل . ولانتاج صور ملونة ، كانت الكاميرتان تستخدمان ثلاثة فلترات (حمراء وخضراء وزرقاء) ، يتم ارسالها الى الأرض كثلاث اشارات لاسلكية مختلفة يعاد تركيبها بواسطة عقل الكترونى على فيلم ملون .

أخاديد على اسطوانات ذهبية

ورغم أن «فوياجر الأولى» أطلقت من كيب كانافيرال بفلوريدا عام ١٩٧٧ بعد اطلاق «فوياجر الثانية» باسبوعين ، إلا انها وصلت الى زحل قبل «فوياجر الثانية» بثمانية أشهر ، لأن الثانية اخذت مساراً أطول ، وقامت باستطلاع عدد من الأقمار لم تصادفها الأولى .

ومنذ أغسطس ١٩٨٠ ، بدأت كاميرتا «فوياجر الأولى» فى التقاط بقعة حمراء فى النصف الجنوبى من زحل ، مما ذكر العلماء بالبقعة الحمراء على كوكب



استغرقت رحلة فويجر (١) لبلوغ زحل ٣٨ شهرا .. وكانت السرعة ٨٠ الف ميل فى الساعة

المشترى . وهى عاصفة استمرت على المشترى لما يزيد على ثلاثة قرون . اما بقعة زحل فهى اصغر حجماً ، ولا يزيد قطرها على ٧٥٠٠ ميلا ، ولا يقل جوها عنفاً عن جو المشترى .

وبمجرد اقتراب عدسات الكاميرتين المقربة من حلقات زحل ، اكتشف العلماء قمرين جديدين على مسافة ٣٧٠ ميلا فقط من حافة نظام الحلقات ، واطلقوا عليهما إس ١٣ و إس ١٤ ، بسبب الترتيب العددى لاكتشافهما . الغريب فى الأمر أن القمر إس ١٣ يدور حول الكوكب زحل خارج الحلقة «ف» التى تبعد بمقدار ٨٠ الف كيلومتراً عن قمة سحب الكوكب . ذلك ان الكرة الغازية ليس لها سطح بالمعنى الحقيقى للكلمة . اما القمر إس ١٤ فيدور بالكاد داخل الحلقة ، فيما يبدو أن القمرين يمنعان جسيمات الحلقة من الانفراط فى الداخل على سطح زحل أو فى الخارج الى الفضاء .

وقبل رحلة «فوياجر» قام علماء الفلك بعد ١٢ حلقة ، المفترض أنها كلها تحتوى بقايا ثلجية فى حجم السيارة . ورغم أن الحلقات تمتد الى مدى عشرات الآلاف من الأميال بعيداً عن الكوكب ، إلا أن سمكها على ما يبدو لا يزيد عن الميل أو الميلين .

وباقتراب كاميرات فوياجر ، ازداد عدد حلقات زحل بشكل هائل . وعند التقاط الصور من أسفل الحلقات بدا عددها من بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ حلقة . وبدت الحلقات فى الصور المرسلة كأخاديد على اسطوانات ذهبية سماوية وحتى «فاصل كاسينى» وهى منطقة مظلمة لوحظت لأول مرة منذ ثلاثمائة عام ، كان يعتقد انها فجوة فى سطح صلب ، حتى هذه المنطقة صورت الكاميرات حلقات بداخلها ، واكتشف وجود حلقتين اخريتين على الأقل ، بجوار مركز الكوكب . ومما يزيد الأمر تعقيداً ، ظهور خطوط من مواد بدا وكأنها انثنت والتوت بالقرب من الحافة الخارجية للحلقة «ف» . واللغز الأكثر تعقيداً هو تلك الومضات التى يبدو انها تتكون فى بعض مناطق الحلقات . كلما انثنت المادة خارجة من ظل الكوكب ، ويبقى بريقها ساطعا لساعات طويلة ، كما لو كانت تريد أن تهدم عن عمد كل النظريات العلمية حول الحلقات . وكما قال برادفورد سميث عالم الفلك المشرف على فريق الصور التى ترسلها «فوياجر»: «إن بريق هذه الومضات يسبب لنا كابوساً مزعجاً» !

أقمار زحل

أما أقمار الكوكب الذهبية فقد أطلقت عليها أسماء من الأساطير المرتبطة بزحل . وكانت هناك ألغاز ومفاجآت أيضاً بالنسبة للأقمار .

وبالرغم من أن السحب الكثيفة المحيطة بالقمر « تيتان » لم تسمح ولو بلمحة واحدة خاطفة لسطحه ، إلا أن قراءات الأشعة تحت الحمراء اخترقت هذا كله ، وبينت أن درجة حرارة سطحه تصل الى ١٨٣ م تحت الصفر . ولا يمكن تفسير هذا ، الى جانب ما قدمته الأجهزة الأخرى من قراءات مختلفة ، مع التركيزات الكثيفة لغاز الميثان التى توقعها المراقبون على الأرض . وبدلا من ذلك يعتقد العلماء الآن أن النيتروجين هو الغاز السائد فى جو تيتان ، بينما لا تصل نسبة غاز الميثان فيه الى اكثر من ١٪ ، الى جانب الايدروكربونات مثل البروبين والايثان والاستيلين .

وعلى الفور دفعت هذه المعلومات بصورة أخرى الى ذاكرة العلماء : حالة الأرض منذ ثلاثة بلايين عام ، مع الفارق ان الأرض فى عمرها المبكر هذا ، كانت محفوظة فى حالة متجمدة للغاية . وبالرغم من تواجد مركبات عضوية معقدة مثل سيانيد الايدروجين ، إلا أن تيتان يبدو بارداً أكثر من اللازم لنشأة عمليات بناء الحياة ، كما كان يعتقد بعض العلماء .

أما بقية أقمار زحل التى فحصتها سفينة الفضاء ، فقد كانت أقل خضراً وخجلا من تيتان الذى غلفه جو كثيف . فالقمر «ميماس» الدقيق الحجم تغطى فوهة بركانية كبيرة وجهاً من وجهيه . وإذا كان الجسم الذى تسبب فى إحداث مثل هذه الفوهة اكبر حجماً بقليل ، لكانت الصدمة قد تسببت فى انشطاره دون شك . اما وجهه الآخر فتغطيه بكثرة فوهات صغيرة كما هو الحال عند سطح قمرنا الأرضى ، مما يدل على أنه جرم سماوى قديم .

ومع ذلك فالقمر الآخر زميل «ميماس» واسمه « انسيلادوس » ، فيعكس طوبوغرافيا أقل إثارة . ويعتقد العلماء أن مصدراً حرارياً غامضاً ، ربما يكون قد تواجد بسبب ضغط الجاذبية ، قد قام «بتنعيم» سطحه الثلجى وكذلك الشقوق والفوهات .

أما سطح القمر «تيثيس» ، وهو أحد أقمار زحل المتوسطة الحجم ، فقد قطعه أخدود متعرج ، ربما كنتيجة لصدمة حادة تلقاها على الوجه المقابل ، الذى تغطيه الفوهات والمرتفعات .

ويشبه القمر «ديون» قمرنا الأرضى ، حيث تلاحظ عليه كل انواع الفوهات ، الكبيرة والصغيرة ، وهى سمات قريبة الشبه من «بحار» قمرنا ، والتساقطات الثلجية والوديان الضيقة الطويلة والمرتفعات المتواجدة على سطحه .

ويظل «ايابيتوس» هو اكثر اقمار زحل مدعاة للتساؤل ، ذلك ان بريق وجهيه يبلغ خمسة اضعاف بريق الوجه الآخر . وهو لم يشاهد إلا من على بعد كبير .

وربما كان القمر «رهيا» هو أكثر مشاهد الفضاء عقداً للألسنة ، ورهيا هو اسم اخت زوجة زحل فى الأساطير . فقد اقتربت السفينة «فوياجر الأولى» الى درجة كبيرة منه حتى وصلت الى مسافة أقل من ٧٢ الف كيلومتراً منه ، مما أدى الى مشاهدة قسماته بوضوح بللورى . وبدا أنه بدوره يشبه سطح قمرنا الأرضى لكن الفوهات كانت متجمعة بكثافة فى مكان واحد الى درجة دعت الجيولوجى «لارى سودر بلوم» من «هيئة المساحة الجيولوجية الكوكبية» لأن يقول «كأنها سقطت الواحدة فوق الأخرى» !

وبالمثل ربما كانت أكثر الصور غرابة ، هى تلك التى التقطتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» للقمر «هيبيريون» ، إذ بينت انه يشبه «حبة البندق» أو «قالب الطوب» ، ويصل طوله الى ٣٠٠ كيلومترا ، بينما عرضه لا يزيد عن ٢٤٠ كيلومترا ، ويحمل سطحه فوهة فى اتساع حوالى مائة كيلومترا ، مما يؤكد ان تاريخه تاريخ عاصف من الناحية الجيولوجية . ومشكله هذا يجعله أغرب جرم سماوى فى الفضاء شاهدناه بوسائلنا حتى الآن .

فوياجر الثانية

وجاءت الصور التى أرسلتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» مفيدة من الناحية العلمية ، وقد أرسلت العديد من الصور والمعلومات ، قبل أن تتعطل كاميراتها خلال دخولها نظام الحلقات ، وقد يكون هذا العطل مصادفة أن يحدث فى هذه المنطقة ، لكن الأكثر احتمالا أن يكون صدام قد حدث بين السفينة التى تسير بسرعة ٤٠ الف ميل فى الساعة ، وقطعة من الثلج أو الصخر من تلك التى تشكل مادة الحلقات .

ولحسن الحظ أن هذا العطل قد حدث بعد أن أرسلت السفينة ما يصل الى اثنى عشر الف صورة ، بينما ست آلاف صورة مشابهة لتلك التى أرسلتها شقيقتها «فوياجر الأولى» . وأصلح العلماء العطل الذى أصابها من على بعد .

وبعتقد علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» أن هذه الاكتشافات هى البداية لأن المعلومات المرسلة سيتم تحليلها واكتشاف المزيد ، خاصة وأنه أمكن تطوير تكنيك تحميض وطبع الصور الملونة ، مما يمكن العلماء من تكثيف أو تخفيف الألوان ، ويساعد هذا على كشف أدق التفصيلات . وخلال هذه العملية على سبيل المثال ، تم اكتشاف القمرين إس ١٣ وإس ١٤ من أقمار زحل .

وبعد أن تجاوزت السفينة «فوياجر الأولى» الكوكب زحل ، أخذت تلتقط صوره بعد أن استدارت الكاميرات ، أثناء اتجاه السفينة الى الفضاء البعيد اللامنتهى . وبعد أن تنفذ بطارياتها تسبح فى سكون أبدى . وستكون المهمة الأخيرة لهـا هى مراقبة الجسيمات الشمسية فى محاولة لتحديد «نهاية» تأثير الشمس ، و «بداية» تأثير النجوم ، وبمعنى اصح تحاول رسم الحدود الخارجية لمجموعتنا الشمسية .

أما «فوياجر الثانية» فالمفروض أن تكمل ملحمتها «أوديسة الفضاء» فى المجموعة الشمسية لمدة خمس سنوات أخرى . ويتساءل العلماء الآن عن مدى امكانية استمرارها فى ارسال صور أخرى عندما تقترب من الكوكب أورانوس عام ١٩٨٦ ؟ وإذا ما أتمت رحلتها هذه فهل تستطيع أن تستكمل رحلتها الى الكوكب نبتون البعيد والمفروض أن تصل اليه عام ١٩٨٩ لترسل لنا مجموعة أخرى من صوره ؟

علماء وكالة «الناسا» الأمريكية التى أطلقت السفينتين ، يقولون ان فرص نجاح الرحلة الى أورانوس تصل الى ٦٠٪ ، أما فرص استكمال الرحلة الى نبتون فتصل ٤٠٪ وحتى بعد العطل الذى أصاب الكاميرات ، فهناك «ميكانيزم» آخر يمكن استخدامه لارسال الصور والمعلومات .

وستكون رحلة «فوياجر الثانية» الى أورانوس ونبتون فى غاية الأهمية ، ذلك أنها بكلمات العالم كارل ساجان «ذلك أن هذين الكوكبين يلفهما الجهل المطبق» فكل ما نعلمه عنهما أنهما يشبهان زحل والمشترى ، وأن أورانوس له خمسة أقمار بالاضافـة إلـى بعـض المعلومـات الفيزيائية ؟

وماذا بعد «أوديسا الفضاء» من مشروعات ؟

المشروع الوحيد الموجود الآن فى جدول الأعمال ، هو «مشروع جاليليو» . والمشروع يتلخص فى وضع مرصد بصفة شبه دائمة ليدور فى مدار حول كوكب المشترى ، ومن المقرر اطلاقه عام ١٩٨٤ ، وإن كان من المتوقع تأجيله لأن وسيلة اطلاقه هى «السفينة المكوكية» ، أما السبب فهو المشاكل الكثيرة المتعلقة بمحركاتها ، ومصاعب الدروع الواقية من الحرارة .

وينتظر العلماء الانتهاء من مشاكل «السفينة المكوكية» للبدء فى مشروع فضائى آخر ، هو وضع تلسكوب عملاق وزنه عشرة أطنان وقطر عدسته ٩٦ بوصة ليدور حول الأرض مستكشفا الفضاء بعد أن يتجاوز الغلاف الجوى الأرضى الذى يعيق الرؤية ، ثم ارسال الصور التى يتطلع اليها باللاسلكى الى مراكز المراقبة الأرضية . وسيتمكن هذا التلسكوب الآلى من رصد العوالم والأجرام السماوية بشكل أعمق وأبعد .

وربما تمكن هذا المنظار «المدارى» من رصد أضعف آثار الكواكب التى تدور حول النجوم القريبة .

لقد أدت صناعة الفضاء الى نتائج مرضية ، خاصة فى تطوير الصناعات الالكترونية ، وأفران «الموجات الصغرى» والاذاعات المرئية المباشرة بواسطة الأقمار الصناعية . وسوف تتأتى المزيد من الثمار كلما ازداد فهم العلماء لنظام المجموعة الشمسية . فالتكنولوجيا التى استخدمت فى صناعة العقل الالكترونى للسفينـة « فوياجـر » وتغذيتهـا بالمعلومات ، يمكن اقتباسها لاستخدامها فى تشغيل روبوت (انسان آلى) يحل محل الغطاس البشرى فى المناطق العميقة الخطيرة ، وكذلك فان معرفة حالات الجو والحالات الطبيعية للعوالم البعيدة ، ستؤدى بالانسان الى أن يتعلم كيفية بذل جهد أكبر للعناية بكوكبه الأرضى .

لكن تبقى كلمة أخيرة . إن استكشاف الفضاء قد تكون له فوائد عديدة للبشرية لكن البحث عن المعرفة يظل هو الشىء الأساسى ، أو كما يقول كارل ساجان : «إن غريزة الاستكشاف متواجدة فى أعماقنا وربما تكون جزءاً هاما فيما حققناه كجنس بشرى» .

وبنجاح «فوياجر الأولى» ، وملحمة «أوديسة الفضاء» التى تقوم بها «فوياجر الثانية» تثبت البشرية أن حب المعرفة شىء سيظل فيها الى الأبد .. طالما استمرت على وجه الأرض .

مجدى نصيف



دراســـة إســـلاميـــة

أكل المال بالباطل

بقلم : د. محمد زكي عبد البر

قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم» (النساء : ٢٩) .

وقد تناول المفسرون ، جزاهم الله خيراً ، هذه الآية الكريمة بالتفسير ، كل حسب منهجه ، إجمالا وتفصيلا ، مبينين المناسبة بينها وبين ما سبقها وما لحقها من الآيات الكريمة . ولسنا نريد أن نكرر هنا كل ماقالوه ، فهو فى كتبهم ، وهى مطبوعة ، والاطلاع عليها ميسور لمن نشده ولكنا نريد عرض فهم لنا لم نره فيما قرأناه من تفسير لها ، فان يكن صواباً فمن الله تعالى ، وله المنة ، وان يكن غير ذلك فمن أنفسنا والله غفور رحيم . قال صلى الله عليه وسلم : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (متفق عليه) .

ونعرض أولا أقوال المفسرين ثم نعرض رأينا .

(١) اقوال المفسرين

(يا ايها الذين امنوا) :

الخطاب كما هو ظاهر للمؤمنين

(لا تاكلوا) :

عبر الله سبحانه وتعالى بالأكل عن مطلق اخذ المال ، لأن الأكل من اغلب مقاصده والزمها ، فكما ان الأكل محرم فكذلك سائر وجوه التصرفات .

ويرى ابن حزم فى الإحكام (٤ : ٩٣٦ ـ ٩٣٧) ان المحرم بهذه الآية هو الأكل فقط وما عداه حرام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : «إن دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام» وبآيات اخر وأحاديث اخر او بالاجماع .

(بينكم) :



ابن حزم

معناه : فى معاملاتكم وأماناتكم فهى نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم . ويقول الامام محمد عبده رحمه الله : إن قوله «بينكم» للاشعار بان المال المحرم ، لانه باطل ، هو ما كان موضع التنازع فى التعامل بين المتعاملين كانه واقع بين الآكل والماكول منه ، كل منهما يريد جذبه لنفسه ، فيجب أن يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحق ، فلا يجوز لأحد ان ياخذه بالباطل.

(بالباطل) :

اختلف فى تفسيره :

فذهب قوم منهم ابن عباس الى ان المقصود هو أن ياكله بغير عوض ، وبهذا التقدير لا تكون الآية مجملة . وعلى هذا قال ابن عباس : هى منسوخة إذ يجوز اكل المال بغير عوض اذا كان هبة او صدقة او تمليكا او إرثا او نحو ذلك مما اباحت الشريعة اخذه بغير عوض . قالوا : لما نزلت هذه الآية تحرج الناس من ان ياكلوا عند احد شيئا ، وشق ذلك



محمد عبده

على الخلق فنسخه الله تعالى بقوله فى سورة النور (الآية ٦١) : «.... ولا (اى لا حرج) على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او أشتاتا.. ....»

وقال آخرون منهم ابن مسعود : هو ان ياكل بالربا والقمار والبخس والظلم وغير ذلك مما لم يبح الله تعالى اكل المال به ، اى بغير طريق مشروع او بما لم يبحه الشرع : فتكون الآية مجملة ، لأن هذه الطريق المشروعة غير مذكورة هنا على التفصيل . وتكون هذه الآيـة محكمة : ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة . وادخل فيه البعض العربون وأخرج منه البعض الغبن .

(إلا) :

استدراك فى صورة الاستثناء او استثناء منقطع ، لأن التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكانت «إلا» هنا بمعنى «لكن» . والمعنى : لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض . وهو استثناء لا يدل على الحصر .

ويرى الامام محمد عبده رحمه الله أن الاستثناء متصل ويبين ذلك بقوله : «إنما استثنى الله التجارة من عموم الأموال التى يجرى فيها الأكل بالباطل أى بدون مقابل لأن معظم انواعها يدخل فيها الأكل بالباطل ، فان تحديد قيمة الشيء وجعل عوضه او ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير إن لم يكن محالا . فالمراد من الاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر ، وما يكون سبب التعارض فيه براعة التاجر فى تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول من غير غش ولا خداع ولا تغرير كما يقع ذلك كثيراً فان الانسان كثيراً ما يشترى الشيء من غير حاجة شديدة اليه ، وكثيراً ما يشتريه بثمن يعلم أنه يمكن ابتياعه باقل منه من مكان آخر ولا يكون سبب ذلك إلا خلابة التاجر وزخرفه ، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصدق واتقاء التغرير والغش فيكون من باطل التجارة الحاصلة بالتراضى ، وهو المستثنى ، والحكمة فى اباحة ذلك الترغيب فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها وتنبيه الناس الى استعمال ما اوتوا من الذكاء والفطنة فى اختيار الأشياء والتدقيق فى المعاملة حفظا لاموالهم التى جعلها الله لهم قياما أن يذهب شيء منها بالباطل ، أى بدون منفعة تقابلها . فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا خرج به الربح الكثير الذى يكون بغير غش ولا تغرير بل بتراض لم تنخدع فيه ارادة المغبون ، ولو لم يبح مثل هذا لما رغب فى التجارة ولا اشتغل بها أحد من أهل الدين على شدة حاجة العمران اليها وعدم الاستغناء عنها ، إذ لا يمكن أن تتبارى الهمم فيها مع التضييق فى مثل هذا ....»

(أن تكون تجارة) :

قرىء بالنصب على أن «كان» ناقصة . وهى قراءة الكوفيين (قراءة عاصم وحمزة والكسائى)

وقرىء بالرفع على أن «كان» تامة . وهى قراءة باقى السبعة (قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر)

فمن قراها بالنصب كان تقديره : «إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض» فتكون التجارة الواقعة عن تراض مستثناة من النهى عن اكل المال إذ ان اكل المال بالباطل قد يكون من جهة التجارة ومن غير جهة التجارة ، فاستثنى التجارة من الجملة ، وبين انها ليست اكل المال بالباطل .

ومن قراها بالرفع كان تقديره : «إلا ان تقع تجارة» واذا كان معناه على هذا ، كان النهى عن اكل المال بالباطل على اطلاقه لم يستثن منه شىء وكان ذلك استثناء منقطعاً بمنزلة : «ولكن ان وقعت تجارة عن تراض فهو مباح» .

قال الواحدى : والاختيار الرفع ، لأن من نصب أضمر التجارة ، فقال : تقديره : إلا ان تكون التجارة تجارة ، والاضمار قبل الذكر ليس بقوى وإن كان جائزاً .

وقال ابن حيان : التجارة اسم يقع على عقود المعاوضات المقصود منها طلب الأرباح .

ابن حيان

وقال ابن كثير : قال مجاهد : «بيعاً أو عطاء يعطيه أحد احدا» . ورواه ابن جرير وخصت التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق اكثرها متعلق بها ولأنها أوفق لذوى المروءات .

وفى الألوسى والبيضاوي والفخر الرازى : انه يراد بالتجارة الانتقال مطلقا بطريق شرعي ، سواء كان تجارة أو إرثا او هبة او وصية وكذا أخذ الصدقات والمهر واروش الجنايات ، من استعمال الخاص وارادة العام .

وفى البيضاوى انه قيل : المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله . وبالتجارة صرفه فيما يرضاه .



أكل المال بالباطل



الرازى

قال الفخر الرازى : فان قلنا : إن الاستثناء منقطع فلا اشكال فانه تعالى ذكر ههنا سبباً واحداً من أسباب الملك ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات . وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكما بأن غير التجارة لا يفيد الحل وعند هذا لابد من النسخ أو التخصيص . كما قال : وأيضا ظاهر الآية اذا فسرنا الباطل بما ذكرناه (أى ما يؤخذ من الانسان بغير عوض) يحرم الصدقات والهبات . ويمكن أن يقال : هذا ليس بنسخ وإنما هو تخصيص .

(عن تراض) :

«عن» متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة . أى : إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض . أو : إلا أن تكون الأموال أموال تجارة .

وفيه دلالة على أن ما كان على طريق التجارة فشرطه التراضى . وهو من اثنين الباذل للثمن ، والبائع للعين .

ولم يذكر فى الآية غير التراضى ، وفى تحققه اختلاف ، ومثاله :

ـ عند أبى حنيفة رحمه الله : التراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الايجاب والقبول .
وعند الشافعى رحمه الله : تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين .

على ما هو مفصل فى كتب الفقه :

ـ عند الشافعى : لا يصح البيع إلا بالقول (الايجاب والقبول) لأن القول يدل على التراضى بخلاف المعاطاة (وهى التقابض من غير ايجاب وقبول) فانها قد لا تدل على الرضا ولذا لا ينعقد بها البيع

وخالفه الجمهور فى ذلك : مالك وأبو حنيفة وأحمد فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضى فكذلك الأفعال تدل على التراضى فصححوا بيع المعاطاة .
ومنهم من قال : تصح فى المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً .

ـ لو باع ما يساوى مائة بدرهم جاز اذا تراضيا على ذلك ، سواء أعلم مقدار ما يساوى أم لم يعلم . وقالت فرقة : اذا لم يعلم قدر الغبن وتجاوز الثلث ، رد البيع .

(منكم) :

صفة «تراض» اى إلا ان تكون التجارة تجارة صادرة «عن تراض» كائن «منكم» .

(٢) رأينا

نعرض فيما يلي رأينا ثم ثمرته .

ونحن ـ فى بيان رأينا ـ نقف عند كلمات أربع هى : «تجارة» و «عن» و «تراض» وفقا لترتيبها فى الآية الكريمة ثم نرجع الى كلمة «بالباطل» السابقة عليها ، فذلك أبين لمرادنا .

(تجارة) :

هى ، على ما فى لسان العرب ، البيع والشراء . وفى الفقه ـ قال الكاسانى (٧ : ٣٣٤ : س ٦ من أسفل) : «التجارة هى معاوضة المال بالمال» . وركنها التراضى المتمثل فى الايجاب والقبول .

(عن) :

قال علماء اللغة إن من معانى «عن» : «التعليل ـ نحو : وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة (التوبة : ١١٤) . ونحو : وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك (هود : ٥٣)» (انظر : الزمخشرى ، وابن هشام ، والسيوطى ، والصبان) .

ونحن نؤثر فهم الآية على هذا المعنى فيكون المعنى : «إلا أن تكون تجارة لأنها عن تراض» أى لأن قوام التجارة التراضى . وبذلك تفيد «عن تراض» فائدة أخرى غير تكرار شرط التراضى المضمن فى كلمة «تجارة» وهى بيان العلة . فيكون التراضى : ١ـ ركنا للتجارة لا توجد بدونه ، فما لم يوجد التراضى لا تكون تجارة . وهو ما يقرره الفقهاء بقولهم إن التراضى ركن المبادلة (أى التجارة) فلا تنعقد أى لا توجد بدونه . و ٢ ـ علة لحل مالها ، كقولنا «حرمت الخمر لشدتها» فالشدة صفة لازمة للخمر وعلة لتحريمها .

(تراض) :

صيغة «تفاعل» . وقد استعمل الله سبحانه وتعالى هذه الصيغة لأنها تحقق حصول المشاركة فى الرضا صريحاً من الجانبين على قدم المساواة . ولم يستعمل ، جل وعلا ، صيغة «المفاعلة» (المراضاة) لأنها لا تحقق ذلك كله وإنما تحقق حصول الرضا من الجانب الأول صريحاً ومن الجانب الثانى ضمناً لا صريحاً ـ ومثال ذلك : اذا قلت «تراضى زيد وعمرو» (بصيغة التفاعل) دل على وقوع المشاركة فى الرضا من الجانبين صريحاً أى على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقا بزيد صريحا أيضاً . أما اذا قلت : «راضى زيد عمراً» (بصيغة المفاعلة) فانه يدل على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقاً بزيد ضمناً ، والضمنى ليس فى مستوى الصريح ، لأن الصريح نص فى وقوع الفعل ممن نسب اليه بخلاف الضمنى فليس نصا فى ذلك .

وهى دقة لغوية وشرعية لا تستغرب على كلام الله سبحانه وتعالى .

(راجع فى بيان الفرق بين الصيغتين بالتفصيل : ابن الحاجب ، الشافية ، وشروحها ، ص ٨٧ وما بعدها) .

ونلاحظ أن صيغة «التفاعل» قد استعملت فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

● ـ «فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن

اذا تراضوا بينهم بالمعروف» (البقرة : ٢٣٢) ●

● - «فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما» (البقرة : ٢٣٣) . ●

● - «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» (النساء : ٢٤) . ●

كما نلاحظ ان النبى صلى الله عليه وسلم ، التزم الصيغة التى استعملها القرآن الكريم فى اكثر من موضع فقال «إنما البيع عن تراض» و «البيع عن تراض» (السيوطى ، الدر المنثور ، ٢ : ١٤٣) .

وذلك ، فيما نرى ، اشارة الى اشتراط الرضا صريحاً من كل من الطرفين على قدم المساواة مع الآخر ، فذلك هو طيب النفس من كل منهما - قال الخطاب . (٤ : ٢٢٨) : «والمقصود من التجارة إنما هو اخذ ما فى يد غيرك بدفع عوض عن طيب نفس منكما» .

بعد ذلك يرد الخلاف فى التراضى : هل يتحقق بمجرد صدور القبول مطابقا للايجاب ، أم لابد من انفضاض المجلس أو التخيير . وهل يشترط له اللفظ أم تكفى الاشارة أو المعاطاة . وهل يؤثر الغبن أو لا يؤثر ... الخ على الخلاف بين المفسرين والفقهاء استناداً الى أدلة خاصة بكل حالة أو اخذاً بمطلق التراضى هنا .

(بالباطل) :

ظاهر لنا من سياق الآية الكريمة التقابل بين «الباطل» وبين «التراضى» فيكون المراد بالباطل عدم التراضى أى الأخذ عن غير تراض . والقول بهذا التقابل بين «الباطل» و «التراضى» أبين للمراد فى مقام التشريع ، وهو بذلك أليق بكتاب الله .

وبهذا التفسير يتسق الحكم مع الخطاب للمؤمنين فيما بينهم ومفهومه . ذلك لانه يحرم على المؤمنين اخذ اموال المؤمنين بدون تراض ويحل لهم اخذ أموال غير المؤمنين بدون تراض (عنوة) فى بعض الحالات كالحرب ، فيكون الخطاب خاصا بالمؤمنين والحكم خاصاً بالمؤمنين ايضا . اما على تفسير الباطل بمطلق «غير المشروع» فلم يتسق الحكم مع الخطاب ومفهومه ، ذلك لانه لا يحل للمؤمنين أخذ أموال المؤمنين ولا غير المؤمنين بطريق غير مشروع كالغش والخديعة والخيانة ، فيكون الخطاب خاصاً بالمؤمنين فيما بينهم والحكم عاماً بالنسبة الى المؤمنين وغير المؤمنين . واتساق الحكم مع الخطاب ومفهومه أدق وأحكم فهو أجدر بكتاب الله جل وعلا .

اما ثمرة رأينا فهو ما يأتى :

أ - يترتب على القول بأن «عن» للتعليل :

١ - أن يكون «التراضى» هو «العلة» وليس مجرد صفة (شرط) كما ذهب المفسرون فى أقوالهم التى تقدمت .

٢ - وأن تكون العلة «منصوصة» .

ولكل من النتيجتين ، بدورهما ، ثمرة ، سواء عند أصحاب القياس أو عند نفاة القياس .

فعند أصحاب القياس :

يترتب على القول بأن التراضى «علة»

- أن يقاس على التجارة كل أخذ وعطاء للمال بتراض ، فيحل .

- أن يخرج عن حكم التجارة هنا ، وهو الحل ، كل أخذ وعطاء للمال بغير تراض .

فمن الناحية الايجابية تدخل فى الحكم ، وهو الحل ، الهبة والعطية وغيرها مما يعطى بتراض ولو كان بدون مقابل ، إذ العلة هى وجود «التراضى» لا وجود «المقابل» كما ذهب البعض .

ومن الناحية السلبية يخرج عن الحكم ، وهو الحل ، ما لا يتوفر فيه التراضى ، ولو وجد المقابل ، كالمال يؤخذ بالاكراه والغش ونحوهما مع المقابل .

وعند نفاة القياس :

يترتب على القول بأن العلة ، وهى التراضى ، «منصوصة» :



الغزالى

- الحاق كل تعامل مالى ، فيه تراض ، بالتجارة ، فى الحل ، عند بعض من لا يقول بالقياس ، قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٦٩) : «قال النظام : العلة المنصوصة توجب الالحاق ، لكن لا بطريق القياس ، بل بطريق اللفظ والعموم إذ لا فرق فى اللغة بين قوله : «حرمت كل مشتد» وبين قوله : «حرمت الخمر لشدتها» .

- جواز القياس هنا عند بعض نفاة القياس - قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٧٠) : «وذهب القاشانى والنهروانى الى الاقرار بالقياس لأجل اجماع الصحابة لكن خصصا ذلك بموضعين : احدهما - أن تكون العلة منصوصة كقوله : «حرمت الخمر لشدتها» و «فانها من الطوافين عليكم والطوافات» ....»

ويترتب على كل ذلك أن يكون حكم الهبات وغيرها ، مما يؤخذ بالتراضى ، دون عوض ، الحل عند القائلين بالقياس وعند طائفتين من نفاته . فيكون أبعد عن النزاع من القول بمفهوم الصفة على القول بأن التراضى «صفة» للتجارة ، إذ من المتكلمين ومن حذاق الفقهاء من يقول بالا دلالة للمفهوم (الغزالى ، المستصفى ٢ : ٤٢) .

وعلى ذلك :

- فليس هناك ما يدعو الى الحرج على من يأكل الهبات والصدقات الصادرة عن



رضا وطيب نفس كما ذهب اليه بعض المفسرين وقد تقدم .

ـ ونتيجة لذلك ليس هناك حاجة الى القول بالنسخ او التخصيص كما ذهب اليه بعض السلف والخلف وقد تقدم .

وفى ذلك رد على ما قدمناه من قول الفخر الرازى : «فان قلنا ان الاستثناء منقطع فلا اشكال ، فانه تعالى ذكر هنا سبباً واحداً من اسباب الملك، ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات . وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل ، وعند هذا لابد من النسخ او التخصيص» .

وفى ذلك تأييد للنتيجة التى انتهى اليها الامام محمد عبده فى قوله : «قالوا ان الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس اى كالهدية والهبة ثم نسخ ذلك باية النور المبيحة للانسان ان يأكل من بيوت أقاربه واصدقائه . وهو افتراء على الدين لا اصل له ـ اى لم تصح روايته عمن عزى اليه إذ لا يعقل أن تكون الهبة محرمة فى وقت من الأوقات ، ولا ما فى معناها كاقراء الضيف ، وإنما يكون التحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه مع العلم او الظن بانه لا يسمح به» .

ب ـ كما يوافق ما تقدم ، وهذه ميزة اخرى لما نذهب اليه من تفسير :

ـ قصر التجارة على معناها الحقيقى ، وهو معاوضة المال بلمال ، دون مده الى الانتقال مطلقا كما قال الألوسى والبيضاوى والفخر الرازى رحمهم الله على ما تقدم دون سند إلا تبرير إباحة اكل اموال الناس هبة او صدقة او نحوهما .

ـ أن تحمل «عن تراض» فائدة هى بيان العلة فلا تكون تكرارا لاشتراط التراضى الذى تفترضه كلمة «تجارة» وهذا أليق بكلام الله عز وجل .

ـ الا نذهب الى ما ذهب اليه الإمام محمد عبده رحمه الله ، من مشروعية التجارة عن تراض ولو بها شىء من الباطل ترغيباً فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها كما تقدم . لأن القول بالمشروعية يتنافى مع «الباطل» لأن الامر اذا شرع لم يعد باطلا ، وإذا كان باطلا فلا يكون مشروعاً ، وليس لما يقوله الامام رحمه الله ، فيما نعلم ، نظير فى الشرع الاسلامى إلا أن يقال «الرخص» وهى غير ذلك .

● ● ●

فبالتفسير الذى نذهب اليه ننزل عند المعنى الحقيقى للتجارة ، وهو أولى . ونعمل قواعد أصول الفقه ، ونصل الى الحكم الشرعى الصحيح الموافـــق للقواعد .

وهكذا يكون «التراضى» هو دستور التعامل فى الاسلام مما يعلى من قدر المسلم وينشر الود والحب بين المسلمين. والله ولي التوفيق .

د. محمد زكى عبد البر

أنـــــا ...

حــر ومذهب كل حــر مــذهبى
ما كنت بالغـــاوى ولا المتعصب
إنى لاغضــب للكــريم ينوشــه
من دونه وألوم من لم يغضـــب
واحب كل مهــذب ولــو انــه
خصـــمى ، وارحم كل غير مهــذب
يأبى فؤادى أن يميـــل إلى الأذى
حب الأذية من طبـــاع العقـــرب
لى أن أرد مســـاءة بمســـاءة
لو اننى أرضى ببــرق خلــب
حســب المسىء شــعوره ومقاله
فى سره : يـا ليتنى لم اذنــب

ايليا أبو ماضى



للشاعر : على الفقي

انظرى النهر تهادى فى صفاء وحنان
رقصت أمواجه تيهاً ، وغنى الشاطئان
وهفا الملاح للشدو وهاجته المغاني
إى وايم الحق ما أشجاه إلا ما شجانى

* * *

وانظرى البدر على الأفق تجلى وتلالا
يبعث النور إلى الدنيا فيكسوها جلالا
وانظرى من حوله الأنجم تختال اختيالا
قيصر الدنيا ، وما أحراه بالملك جلالا !

* * *

وانظرى الروضة غشاها مع الليل السكون
وسرت من بينها الأنسام كالطيف الحنون
فانتشى الروح وحنت لتثنيها الغصون
ياله من مشهد طافت به شتى الفنون !

* * *

وانظرى الطير على الأغصان يشدو بلغانا
نحن لقنا الهوى الطير فغنى بهوانا !!
انظريه كيف يهتز مع الغصن حنانا ؟
فترى أغراه يا دنياى بالشدو لقانا ؟

* * *

وانظرى الكون قد استسلم للصمت الرهيب
وخلا من أذن الواشى ومن عين الرقيب
ليت شعرى ما به غير محب وحبيب !!
وغريب فى الهوى يصغى إلى شكوى غريب

ما علينا لو أقمنا بين هاتيك المجالى
ساعة نحيا بها إن شئت فى دنيا الخيال
فتعالى بادلينى الحب والنجوى تعالى
فى سبيل الحب ما ذقناه من ظلم الليالى

* * *

هذه الدنيا كما يرضى لنا الحب فهيا ! !
زودى من سحر جفنيك وروى مقلتيا
وابعثى صوتك قدسى الصدى فى أذنيا
يا لها من ليلة عذراء لو دامت مليا !

* * *

آه من طرفك يسبينى بلحظ فاتر !
آه من خدك يغرينى بحسن باهر !
آه من ثغرك يحيينى بلفظ ساحر
آه من وجهك يبدو لى فيغضى ناظرى

* * *

آه من عطفك إن أحسنت فى العطف عليا
وابتساماتك إن لم تبسم الدنيا إليا !
وليال فى حمى الطهر قضيناها سويا
هن أشهى يا منى نفسى من الدنيا لديا !

* * *

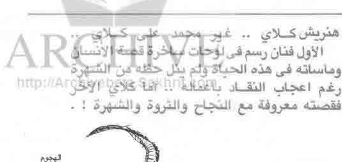
فهلمى فى سكون الليل يحدونا القمر
واتركى الماضى بما يحويه من شتى الصور
إن يكن أحسن أو أذنب فالحب غفر
كل ذنب فى سبيل الحب يمحوه القدر

كلاي آخر .. بعيداً عن الملاكمة

فنان عالمي ساخر

يكشف في لوحات ضاحكة مأساة الإنسان!

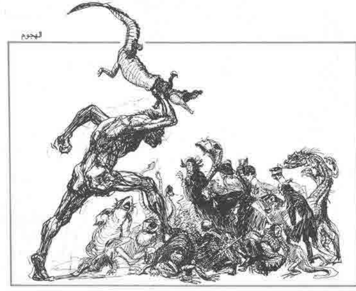
بقلم: جمال قطب

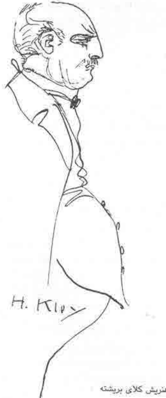


هنريش كلاي .. غير محمد على كلاي ..

الأول فنان رسم فى لوحات ساخرة قصة الانسان ومأساته فى هذه الحياة ولم ينل حظه من الشهرة رغم اعجاب النقاد بأعماله .. أما كلاي الآخر فقصته معروفة مع النجاح والثروة والشهرة ! .

الهجوم





هنريش كلاى بريشته



رؤيا مستقبلية

« هنريش كلاي » فنان الماني سمع عنه العالم بعد وفاته ، ولكنه كان انطوائيا متقوقعا في حياته لأسباب لم يعرفها احد .. ولعله كان يعاني ـ لسبب او لآخر ـ من شعور ماساوي بالمرارة .. شكلت احاسيسه على تلك الرؤى القاتمة التي اصطبغ بها فنه الساخر . طال به العمر حتى مشارف العقد العاشر ، فقد ولد عام ١٨٦٣ وتوفى نحو عام ١٩٥٢ . قد لا يصادفك اسمه بين المشاهير العالميين من فناني أوربا البارزين ، وقد لا يكون معروفاً بالقدر الكافى خارج حدود وطنه ، مثله مثل الاف الفنانين والمفكرين العظام ممن آثروا الانطواء والتامل في ملهاة الماساة الانسانية ومحنة البشرية !

هذا ما فعله هنريش كلاي .. اذ تعدى واقع مجتمعه ، بل تحدى طبيعة الحياة ومنطق الأشياء .. وابتدع عالمه الخاص المفعم بالأحلام والرؤى والاطياف ، وسيطر عقله الباطن ببراعة على شخوصه الاسطورية التي عبر بها عن رغباته المكبوتة . وكما يقول داروين : ان الاحلام هي خلاصة حياة ونوازع نفسية وجسدية لا تجد متنفساً لها إلا في عالم الموت الاصغر وهو النوم ! فان الفن يقوم بنفس الدور في الحياة الواعية . ولذلك نرى أن أعمال « كلاي » ليست مجرد رسوم ساخرة لمظاهر واقعية ، ولكنها تحليل نفسى لحياة مليئة بالحركة ومفعمة بالحياة والانفعالات المتصارعة . وقد يكون هذا التعبير (عالم الفنان الخاص) تعبيراً ذاتياً ، ولكن الملايين من البشر تشارك الفنان إحساسه بتلك الرؤى الغامضة ، وتعايش عالمه وتتفاعل معه وتنفعل به ويصبح منطلقاً لأحلامهم كذلك !

نشا هنريش كلاي كأى فنان ذى موهبة فذة ظهرت مبكرة فى سنوات عمره الأولى ، وكان نبوغه فى الرسم حديث اهل بلدته فى وادى الراين ، والحقه والداه بأكاديمية الفنون الجميلة حيث تتلمذ على فنان المانيا الكبير « فرديناند كيلر » الذى عنى به عناية خاصة وارسله على نفقة الدولة إلى ميونيخ ليتم دراسته الفنية العالية . وكما هو الحال فى جميع المناهج الاكاديمية ، اجاد



▲ الآلة تسحق البشر



قبل المعركة ◄

الأساليب الواقعية الملتزمة وتفوق فيها على رفاقه وأساتذته ، وعرفت أعماله طريقها إلى المعارض والمتاحف ، وتسابقت قاعات الفن على شراء إنتاجه أولا بأول ، وقد اجمع النقاد حينذاك على أن هذا الشاب سيكون له دور مؤثر فى الحركة الفنية الألمانية ! ولا غرو أن نرى لوحات كلاي وهو فى تلك السن المبكرة فى الفترة بين عامي (١٨٨٨ ، ١٨٩٢) معروضة فى متحف ميونيخ بجانب أعمال الخالدين من فنانى ألمانيا العظام . وذاعت شهرته ، بل وتألقت حتى صارت حديث ألمانيا كلها عندما كلف بتنفيذ اللوحات الحائطية الضخمة التى تحكى تاريخ ألمانيا ، وخصصت لهذه اللوحات الرائعة عدة مبان حكومية فى (بادن بادن) ، واعتبر منذ ذلك التاريخ فنان الشعب الألمانى الشهير !

الانطلاق إلى عالم الرؤيا الخاصة

بعد هذا النصر الكبير الذى حظى به الفنان ، لجأ إلى فلسفة التحول الاجتماعى فى الشعب الأوروبى عامة والألمانى خاصة : الم بأسرار التقدم الصناعى وتحول الطاقة من عصر البخار والفحم الى عالم الكهرباء والصناعة العصرية المتقدمة ، واخذ يعبر بسخرية لاذعة عن تفتت الكيان الانسانى بين تروس المصانع الصاخبة .. ولجأ الى الرسوم السريعة الهازئة من سيطرة الآلة على البشر ، ومن تكالب الناس على بناء (الحضارة) الحديثة وهم فى نفس الوقت يقومون بهدم القيم والسلوك المهذب والترابط بينهم ! وكانت أعماله فى معظمها كالرسوم الصحفية النقدية ، تطبع الابتسامة على الشفاة ، ولكنها تترك فى الوقت ذاته أثرا عميقا فى العقل والضمير والوجدان .

وما نراه على هذه الصفحات اليوم من رسوم الفنان ، ليس « هنريش كلاى » صاحب اللوحات الحائطية الضخمة فى « بادن بادن » ، ولا هو صاحب الأعمال الخالدة فى متحف ميونيخ ومعظم المتاحف الألمانية الأخرى ، ولكنه الفنان الفيلسوف الساخر الذى ضاق ذرعا بمظاهر الحضارة المزيفة ! إن التقييم الفنى لهذه الرسوم يصل بها الى مرتبة اللوحات المتكاملة من الوجهة الفنية ، من حيث البناء المدروس والخط المنطلق الرشيق والموضوع الهادف والحيوية النابضة . وهى فى مجملها بحث رائع من أبحاث « الجروتيسك » التى تتسم بالملهاة الكوميدية ذات الصبغة الانسانية .

وكثيرا ما نرى الفنان وقد لجأ الى تصوير المدينة الحديثة على هيئة غابة أسطورية تسكنها الأشباح والشياطين والمخلوقات الممعنة فى الغرابة والسخرية ، فهى خليط بين الحيوانات والآدميين .. كما فعل الفنانون فى القرن الثالث عشر ، حيث تميزت تلك الحقبة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية .

واذا كان هذا التعبير القاسى يبدو غريبا وشاذا من وجهة النظر العقلانية ، الا إنه تجسيد منطقي من وجهة نظر الفنان لروح العصر الذى غلبت عليه سيطرة المادة وتداعى القيم والفضائل وشراسة آلات الحرب والدمار .. ولذلك ، انتهج كلاى نوعا خاصا من



▲ معزوفة لن يفهمها

◄ الكارثة

السيريالية النقدية اللاذعة باسلوب جماهيرى بسيط وكانه السهل الممتنع ، فنرى انفعالاته من خلال رسومه قد تثير الضحك ، ولكنها تبعث على الشفقة !

الفنان وأطياف الغموض

وكاى فنـــان درس الفن الأكاديمى وتنقل بين (الاتيليهات) الدراســية ، كانت المرأة ــ كمصدر للالهام ورمز للجمال ــ ممثلة فى أعماله كومضة نور بين تراكمات الظلام النفسى الكئيب .. فنجد أن كلاى قد اظهر جمالها ومفاتنها فى صورة تكاد أن تكون مثالية بمقاييس الجمال الفنى والبصرى على السواء .

وقد جنح الفنان الى معادلات غامضة فى رسومه ، فقد صور الحيوانات بشكل جعل المحللين والنقاد فى حيرة .. ولكنهم اتفقوا على أن الرمز هو البناء الدرامى ومحور إبداعه بصفة عامة ، وأنه نتيجة منطقية لمعاناته وفلسفته الخاصة تجاه مجتمعه الصناعى (المتقدم) !

وبالرغم من أن هنريش كلاى بخيالاته وانفعاله وثورته ونقده اللاذع قد انفرد بأسلوبه المميز ، وأصبح علامة بارزة فى مسيرة الفن الالمانى الحديث ، إلا اننا لم نعثر فى المكتبات العالمية عن ترجمة لحياته مفصلة كباقى الفنانين الكبار ! وكل ما وصل إلينا عن الفنان لا يعدو أكثر من خمســـة كتب هى أقــــرب الى (الألبومات) المصورة ، اهتمت أساسا بنشر أعماله التى كانت تطبع تباعا فى عدة صحف أوروبية شهيرة فى أعوام ١٩٠٩ ــ ١٩١٠ ــ ١٩١٢ ــ ١٩٢٣ ــ ١٩٣٩ . وبعد هذا التاريخ الأخير احتجبت أعمال الفنان ، كما انقطعت صلته بالعالم نهائيا . ويبدو أن انتاجه الفنى كان مثل حياته الخاصة .. يلفه الغموض والانطواء داخل أسوار التامل والعزلة الموحشة ، ولاشك ان تلك العزلة قد فوتت على الفنان فرصة التالق والانتشار العالمى اللائق بمن لديه مثل تلك العبقرية النادرة !

وفى كتابه الأخير عام ١٩٣٩ كان الناشر ــ فى مقدمته ــ يتساءل عن الأسرار الغامضة التى تلف حياة الرجل .. ولم يستطع ان يورد شيئا ذا قيمة علمية لاستجلاء بعض جوانب حياته الطويلة المثمرة ..

ومن مجموع ما كتب عن كلاى فى كتبه الخمسة ، اوردنا هذه المعلومات التى يراها القارىء على هذه الصفحات .

ومن عجب أن تاريخ وفاة الفنان .. هو ايضا لم يعرف على وجه التحديد ! فقد قرأت فى مقدمة آخر كتاب من الكتب الخمسة ــ وقد صدر عن مؤسسة (دوفر) بنيويورك ــ أن تاريخ وفاة هنريش كلاى لم يكن أحسن حظا من حياته نفسها .. كل شىء يتنابه الغموض .. فقد ذكرت بعض المصادر انه توفى فى عام ١٩٤٠ ، وذكرت مصادر أخرى أنه مات فى الثانى من اغسطس عام ١٩٤٥ ، وطبقا لمعلومات ثالثة أن تاريخ وفاته هو ٨ فبراير عام ١٩٥٢ !

ولعل هذا التضارب لا يدع مجالا للشك فى أن الفنان لم يحفل فى حياته بأن يكون نجما فى المجتمعات العامة ، أو أنه كان حريصا على أن ينال اكبر قدر من التالق والشهرة ، وخاصة فى آخر أيامه ، بل آثر الانطواء والتأمل الهادىء حتى رحل عن هذا العالم ، حيث لم يخلق الانسان الا ليمتهن فيه كما عبر عن ذلك فى لوحاته الساحرة الخالدة !

جمال قطب

• قصـــة •

الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

بقلم : ديزي الأمير



الساعة الثالثة صباحاً ، وهى مؤرقة جافاها النوم . لا تزال صورة المريضة التى فحصتها تلاحقها . تغمض عينيها فتراها امامها وتفتحهما فتسمع حديثها .

لم تكن هذه اول مريضة تفحصها تعانى من مشاكل بيتية . ولكنها كانت تظن ان خدمتها فى الأرياف ، صورة مغايرة لما ستشاهده فى المدينة حينما تنتقل إليها وترى مجتمعها الواسع المتعدد الطبقات الثقافية والمادية . ولكن الصورة تتضح أمامها اليوم ، فاذا هى واحدة . زوجة مظلومة لا تستطيع البوح بامراضها البيتية فتلجا إلى الطبيبة تطلب منها العلاج العضوى . والطبيبة عاجزة . يجب ان تقابل الزوج ، الأب ، الأخ ، الأم ، المجتمع .

يجب ان تعلن ان النساء المريضات لسن مريضات بالمفهوم الحقيقى انهن مريضات نفسيا . كيف تقول هذا للزوج والمريضة تتوسل إليها الا تدع احدا يعرف أنها زارتها فى العيادة لاستشارتها .

المريضة التى تؤرقها اليوم لم تنجب بعد اطفالا والزوج يهددها بالطلاق او الزواج من اخرى . الا يكفي انها تخدمه كأمَة ؟ تدلله كجارية ؟

لا .. لا لايكفى كل هذا يجب أن يصبح ابا والطبيبة واثقة ان الزوجة ليس بها ما يعيقها عن الانجاب ونصحتها ان يذهب زوجها لطبيب اخصائى ليتاكد من امكانيته هو.فارتاعت الزوجة وكاد يغمى عليها . هى تقول هذا لزوجها ؟! تطعن برجولته ؟! والمصير أيتها الطبيبة ؟ ما المصير ؟!

وسألت الطبيبة نفسها ، نعم ما المصير ؟!

لمن تقول هذا ؟ لا تستطيع التوقف عن العلاج فهذه مهنتها . لا تستطيع الصمت فالصمت لا يعالج .

وتعترف المرأة صاغرة انها هى

السبب . ولكنها بمساعدة الجارات الكتومات وغير الكتومات تصل عيادة الطبيبة تشتكى همها .

الساعة الرابعة صباحاً وعليها الاستيقاظ مبكرة للذهاب إلى المستشفى اولا ، ثم إلى عيادتها الخاصة وهى تكتشف فى كل يوم أن هناك عشرات الحالات من أمراض النساء هى امراض رجال متخلفين او جبناء او ادعياء او .. او ...

تراكمت ملفات المريضات الواجب كتمانها ، ولكن ما فائدة الكتمان ؟ هل تنتظر ان يتحضر الرجال فجأة ويتنور المجتمع ليفهم مشكلة المراة المريضة غير المريضة ؟!

وحينما سجلت هذه النقاط احست بعض الهم ينزاح عن كتفيها . القته على الورق ولكن المريضات الموعودات بالشفاء المنتظرات .. هل صارت مهنتها بيع الوعود ؟

وبتراكم الملفات تراكمت البحوث الطبية فنشرت الطبيبة واحداً منها تريد ان تلقى الهم على عاتق القارىء .

الطب أولا وأخيراً عطاء إنسانى قبل ان يكون مهنة . وتوالت ابحاثها فجمعتها فى كتاب نال شهرة واهتماما من النقاد .

انتقلت من طبيبة جسد إلى طبيبة نفوس وتساءلت إذا كان كتابها الجرىء يلقى كل هذا الصدى الكبير لدى النساء والرجال ، فالمجتمع اذن ليس بهذا السوء .. فلم الخوف من البوح ؟

مرت مرحلة والطبيبة تعالج من يمكن معالجتها عضوياً ، وتعالج بابحاثها من لا تستطيع معالجتها جسدياً .

جاءتها مريضة ، الطب لا يصلح لمعالجتها جسدياً ولا بكتابة بحث . إنها قصة جديدة غريبة .

سجلت هذه الحالة على شكل رواية . نالت الرواية نجاحاً وأعيد طبعها وكذلك طبع الأبحاث .

نسى الناس أن القاصة طبيبة ولكنها هى لم تنس فلم تغلق العيادة . تحاول العلاج وتكتب . والقارىء يتلقى . والدنيا لم تتغير .

كانت الطبيبة جميلة وهذا ما اثار استغراب عارفيها . طبيبة ذكية جميلة تتخلى بملء إرادتها عن الاستمتاع بمباهج الحياة لتعالج وتبحث وتكتب !

استقلت فى حياتها الخاصة تقلع أشواك الحياة باهدابها وتحفر الأرض بأظافرها تزرع جذوراً . ستنبت لها شجرة تتفيأ بظلها وكتبت عن تجربتها فى الصراع مع الحياة . صراع امراة وحيدة تريد حل مشاكل الاخريات وتامين مستقبل واضح لهن .

حينما أعلن عن قرب افتتاح معرض الكتاب الذى اعتاد الجميع انتظاره سنوياً قررت الطبيبة المشاركة فيه .

تواصل رنين الهاتف من الصحف والمجلات يطلبون إجراء حوار صحفى تحدثهم عن كيفية تحولها إلى أديبة مع الاحتفاظ بعيادتها .

وكان اللقاء ينتهى باستغراب المحاور لن تنجح امراة دون مساعدة رجل . وكان هذا السؤال اكثر ما يغيظها . ابعد كل هذا الكفاح مع النفس ومع الآخرين يسالونها عن دور الرجل فى حياتها .

قرا الرجال مقابلاتها الصحفية وكذلك فعلت القارئات ، والفريقان تاملا طويلا صورتها بوجهها الجميل الصبوح .

وكذلك انقسم القراء فريقين . قسم يفخر وآخر يستغرب ويكذب ان يكون نتاجها الأدبى من صنعها حقا . امراة فى مثل وضعها خرجت من حائط او هبطت من سقف تصبح لها هذه المكانة ولا يكون وراءها رجل .

أجمعوا على حسن سلوكها ولكن بعض القارئات همسن لبعضهن انها تعلن غير ما يعرف عنها القراء . وبعض القراء علق أن لا أهمية لنجاحها ما دامت لم تكون أسرة ناجحة . ومن يدرى فلعلها فشلت فى حياتها العاطفية وكان أن حولت مشاعرها لانتشال الاخريات .

صباح يوم افتتاح المعرض ذهبت إلى القاعة ووضعت سلة زهور ومساء كانت تقف بجوار كتبها ، والعاملون فى التليفزيـون يثبتـون أمـاكن آلاتهـم والمصورون يتجولون .

مرت نصف ساعة على موعد الافتتاح ولم يصل المسؤول الذى سيقص الشريط ثم .. سمعت ضجة وهرع الحضور من ادباء ومفكرين وسياسين ومصورين و .. وإلى الباب الخارجى .

لم تستطع رؤية الداخلين لشدة الازدحام .. بعد فترة تقدمت الموكب سيدة . سيدة جميلة انيقة تاملتها . لم يكن وجهها غريباً . هذا الوجه تعرفه ولكن لا تدرى اين .

خلف السيدة مشى رجل عرفته من أول نظرة . إنه المسئول الكبير الذى تملأ صورته الصحف .

اقترب وصوله من جناحها تتقدمه السيدة الجميلة الأنيقة .

كان المسؤول يتوقف قليلا أمام الكتب وحرمه تسرع فى مشيها ، فيضطر إلى اللحاق بها تستبقهما آلات المصورين ومصورى التلفزيون . كانت آلات التصوير مسلطة على العطر الفواح الذى ملأ قاعة المعرض .

ساعة وصلت إلى البيت ادارت مفتاح التلفزيون لتشاهد حفلة الافتتاح . آلة التصوير لم تنقل غير صورة العقيلة المصون ، وكشفت كم كانت تحمل السيدة جواهر براقة . ولكن التلفزيون لم يستطع نقل العطر الفواح الذى لا يزال يملأ انفها

الصحـــف نشرت صـــورة المسؤول وزوجته الأنيقة الجميلـة . أمـا الكتـب فالحاجـة إلى مجهـر كانـت ضروريـة لاكتشاف وجودها . حدقت فى صورة السيدة الجميلة الانيقة فتذكرت ... تذكرت اين التقت بها .

تعرف هذا الوجه تماماً مضافاً إليه بعض التجاعيد البسيطة وقليل من السمنة .

كانت السيدة الأنيقة زميلة لها فى المدرسة وكانت تجلس فى الصفوف الخلفية من غرفة الدراسة . فالترتيب يعتمد على سن التلميذات الصغيرات فى الصفوف الأمامية والكبيرات خلفهن .

تذكرت تماماً تلك الزميلة . عاصرتها لاشهر فقط كم نالت فيها تانيباً من المدرسات على إهمالها وتغيبها وعدم تقيدها بنظام المدرسة الذى يفرض تسريحة بسيطة وفساتين موحدة الزى خاصة بالطالبات .

الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

وتذكرت كذلك كيف اختفت تلك التلميذة فجأة وتكاد تتذكر ان الزميلات قلن انها تزوجت حامل شهادة دكتوراه وصل حديثا من اميركا ليقنع أهله برغبته فى الزواج من زميلة أجنبية تعرف عليها هناك فكان أن أسرعوا بتزويجه من فتاة جميلة أنيقة لا تحب الاستمرار فى الدراسة .

رمت الصحف حواليها .. واستعرضت الماضى . هل ما تذكره هو الحقيقة أم ان غضبها أوحى إليها بكل هذه الأوهام ؟ قامت إلى الهاتف تسال صديقة عن قوة ذاكرتها فاكتشفت ان ذاكرتها لم تتخيل شيئاً وما تمنت ان يكون وهماً هو حقيقة .

● ●

مرت سنة وجاء موعد إقامة معرض الكتاب السنوى ، ولكن هناك أموراً كثيرة تغيرت .

الطبيبة الأديبة انشات داراً خاصة بها تنشر كتبها بعد ان تاكدت أن الرجال ليسوا اكثر جدارة من المراة فى النشر والتوزيع .

القضية الأخرى الجديدة التى تناقلها المجتمع ان المسؤول الكبير انفصل عن زوجته بعد ان تعلق بسكرتيرته التى تصغره بسنوات .

حان الموعد وتجمع المصورون والصحفيون والعاملون فى التلفزيون وغطت الأضواء الساطعة الوجوه .

وقفت الأديبة الطبيبة أمام جناحها تتساءل كيف ستتصرف المسؤولة الجديدة ؟ وللعجب دخل المسؤول الكبير وحده . اين الزوجة القديمة هل تركها حقاً ؟ والجديدة هل يخجل من الاعتراف بها ؟

هذا المسؤول الذى يقرر مصير البلد الا يستطيع ان يقوى امام اغراء الصغيرات . واذا كان قد ضعف فاين هى هذه القوية الصغيرة .

ألف سؤال ازدحم فى راسها قبل ان ترى المسؤول الكبير يقف فجاة امام جناحها ، وتتسلط الأضواء المبهرة للبصر عليهما معاً ، ويصافحها المسؤول ويهنئها على نجاحها لان نجاحها على حد تعبيره نجاح لكل النساء . صمتت . كانت تتمنى لو تساله : ألم يشاهد كتبها فى السنة الماضية .. والتى كانت معه ما مصيرها ؟ اهو حقاً معجب بالمراة الذكية المبدعة ؟ واذا كان كذلك فلم اختار امراتين لا أحد يدرى ايتهما اقل شاناً من الأخرى ؟

اذاع التلفزيون ونشرت الصحف صورها مع جناح كتبها والمسؤول الكبير يحدثها .

وتساءل البعض هل هى المراة التالية فى حياته ؟ ولم يفكروا بسؤالها هي . فترضى ان تكون ظل هذا الرجل الذى لا يعرف ان يختار شريكة حياته ، ولا أن يحتفظ بها .

رات غرفة الدراسة فى المدرسة الإبتدائية وهى تجلس فى الصف الأمامى والمعلمة توبخ تلميذة تجلس فى الصف الخلفى على عدم حسها بالمسئولية نحو الدرس والمظهر والمواظبة .

كان موعد المعرض شهر شباط . ولما جاء آذار اقامت التجمعات النسوية على عادتها السنوية ندوات للمراة فى شهرها يوم لها . ويوم لطفلها . ويوم لأمومتها . طلب من الأديبة الطبيبة المساهمة فى يوم المراة .

حاولت أن تعتذر . فقد قالت فى كتبها ورواياتها وقصصها وأبحاثها ومقابلاتها الصحفية كل ما تريد قوله . فماذا يمكن ان تضيف ؟ ولكن مجرد ذكر اسمها فى ندوة كان سيضمن لها النجاح . قبلت بعد إلحاح وهى تتطلع إلى اكداس الملفات فى عيادتها وفى بيتها عن هموم المراة وقضاياها .

جلست على المنصة مع الذين سيشاركون من نساء ورجال .

فى الصف الامامى مع امتلاء القاعة كرسى شاغر .. كرسى فاخر مغاير لبقية الكراسى .

حان موعد البدء . ولكن مدير الندوة طلب التاجيل معتذراً من الحضور بأن ضيفة الشرف لم تصل بعد . حينذاك عرفت ان المسؤول الكبير جاءته الجراة اخيرا ليعترف انه تزوج سكرتيرته وأعلن هذا الزواج .

إذن فالكرسى الأنيق الشاغر ستملأه السيدة المهمة الجديدة .

وحينما بهرت عينيها أضواء آلات التصوير وتزاحم الناس يقتحمون الطريق جلست تنتظر بفضول خامل رؤية القادمة المكرمة .

تقدمت فتاة جميلة صغيرة رشيقة انيقة ترتدي آخر صرعات أزياء الموسم لتجلس بهدوء مرتبك .

مرت دقائق طالت قبل أن يفرغ المصورون من التقاط صورة السيدة الجديدة الصغيرة الجميلة الأنيقة الجالسة على العرش . اما آلة تصوير التلفزيون فظلت مسلطة عليها .

حيا مدير الندوة السيدة ثم الحضور وأخيراً المناسبة وبدأ الكلام .

تحدث أول المفكرين ...

لم تصغ الأديبة للكلام .. مرت أمامها صور مريضاتها غير القادرات على البوح وتذكرت أكوام الملفات عما لا يمكن إعلانه .

جاء دور متكلمة ثانية ... سرحت الأديبة الطبيبة فرات معرض الكتاب .. الأول والثانى وتوالى المتحدثون ..

سمعت مدير الندوة يلفظ اسمها لتتحدث وسمعت نفسها تقول بعد كل ما قيل : لن اضيف جديداً غير أن تعمل المراة على ان لا تكون ظلا لرجل بل تعمل على أن تكون ..

وسكتت إذ ضجت القاعة بالتصفيق ولمع امامها بريق حاد صادر عن العروس المرصعة بالخواتم الثمينة وهى تصفق بشدة .

حجب بريق الجواهر المشع بالاضواء بصرها عن النظر إلى الصفوف الخلفية لترى ان كانت الزوجة السابقة للمسؤول الكبير قد عادت إلى مكانها هناك .

ديزى الأمير

د. عبد المحسن صالح

في عصر المعلومات :
كل شيء أمامك دون أن تبرح مكانك

خيوط المستقبل الزجاجية التي ستحدث ثورة في الاتصالات وتبادل المعلومات عن طريق النبضات الضوئية .. وبهذا ستحل محل الأسلاك النحاسية .. كل خيط رفيع كشعرة الرأس .. ومع ذلك فانه سيكون بالامكان ارسال واستقبال ٤٠٠ ألف مكالمة تليفونية بخيطين اثنين لا غير !

نحن - بلاشك - مقبلون على عصر يقدم لنشاط الحياة كل ما هو غريب ومثير - بل هو في الواقع - أغرب مما نتصور ، لأن كل شيء يتصل ويتطور ، وينطلق نحو آفاق واسعة قد لا تعيها عقول البشر - على الأقل عقولنا الحالية - رغم أننا نعيش في عصر الذرة والصواريخ والحاسبات الالكترونية ، والاتصالات والبرامج التي تنقل من الأرض وإلى الأرض عبر الأقمار الصناعية !

هناك ثورة علمية وتكنولوجية هائلة تنطلق كحصان جامح في شتى مجالات المعرفة .. في أعماق البحار ، وأجواز الفضاء ، وملكوت السماء .. في الطب والزراعة والمواصلات .. في علوم الاتصالات والفيزياء والكيمياء والحياة .

وكل ما يخطر لنا على بال .. لكن أي جانب من هذه الجوانب نختار ، حتى لا تتفرق بنا السبل ، ونتوه في معمعة ليس لها من قرار ؟

دعنا نتعرض للتطور الهائل الـــذى حققه العلم فى خيط أرفع من شعرة الرأس ، لكنه اصبح بمثابة العين التى بها نرى ، والأذن التى بها نسمع ، والعقل الذى به نفكر ، والمعلم الذى يعلمنا ويثقفنا ، والطبيب الذى يكتشف الداء الخافى عن عيون الأطباء ، والمنقب عن الثروات الكامنة فى أعماق البحار ، والوسيط الذى يجمع بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء .. إلى آخر هذه الانجازات الهائلة التى حققها هذا الخيط الرفيع ، والذى لا يوجد له فى الطبيعة مثيل ، لأنه ابتكار رائع لعقول ذكية جاءت لتكون خليقة الله فى الأرض فتيسر حياة الناس ، وتنفعهم من حيث لا يعلمون

هذا الخيط اسمه الخيط البصرى أو الضوئى ، أو الحامل لموجات الضوء ، ولقد جاء نتيجة للتزاوج بين ابتـكارين تكنولوجيين حديثين ، ظهر اولهما فى نهاية الخمسينات من هذا القرن ، وهـو المعروف باسم اشعة « الليزر » .. وهذه الأشعة بدورها صورة جديدة لم تعرفها الأرض والسماوات من قبل ، لأنها لم تكتشف فى الطبيعة ، بل جاءت نتيجة لسيطرة الانسان على «ترويض» الضوء ، وتوجيهه من خلال تصميمات علميـــة خاصة ، ليصبح اقوى واعنف ضوء عرفته البشرية حتى الآن ، فلو انه قد سلط على شىء ، فانه يرفع درجة حراراته الى مائة مليون درجة للحظـة خاطفة .. اى اقوى بكثير من حرارة جوف الشمس (٢٠ مليون درجة) .

والحديث عن اكتشاف اشعة الليزر ، وما تبع ذلك من تطبيقات كثيرة ، قــد يتشعب ويطول ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى منفصلة ، ولهذا كان لزاما علينا ان نعود الى خيطنا الرفيـع الذى يتعامل مع هذه الأشعة الرهيبة ، وينقلها من مكان لآخر بسرعة الضوء .. والخيط من زجاج ، وهو نقى وشفاف غاية الشفافية ، ولو امكن تجمع هذه الخيوط وتكديسها على هيئة جبل ارتفاعه مئات أو آلاف الأمتار ، ثم نظرت اليه من القمة فانك تستطيع ان ترى من خلاله كل ما يرتكز عليه هذا الجبل الشفاف المتكون من خيوطنا الزجاجية النقية .

وصناعة هذه الخيوط الرفيعـــة ليست صعبة ، اذ هى ميسرة جدا لأى فنى يتناول صناعة الادوات الزجاجية ، ومع ذلك ، فهو لا يستطيع أن يقدم لنا خيطا زجاجيا ينفع لنقل اشعة الليزر ، لأنها ستتشتت وتضيع ، ولهذا قضى العلماء سنين طويلة من أجل تطوير هذه الفكرة ونحن لن نتعرض هنا لتفاصيلها حتى لا نتوه ، لكن يكفى ان نذكر ان « قلب » هذا الخيط العجيب يتكون من أكثر من مائة طبقة من مواد كيميائية مختلفــة مترسبة فوق بعضها البعض ، وهــذا يعنى ان تلك الطبقات رقيقة غاية الرقة ، وهى التى تقوم بتوجيه اشعة الليزر وصيانتها من التشتت حتى تصل الى هدفها .

الحاضر والمستقبل

وقد يقول قائل : ان استخدام السلوك المعدنية الرفيعة المصنوعة من النحاس قد اثبتت كفاءتها فى كل التوصـــيلات الكهربية التى نراها فى التليفون والراديو والتليفزيون ونقل الكهربـــاء وتوزيعها لكل مستفيد .. بشرا كانوا او اجهزة او آلات .. فلماذا اذن اللجوء الى خيوط من زجاج ؟ .. اليس ذلك مغالاة ورفاهية لا مبرر لها ؟

ليس ذلك تماما ، لأن اسلاك النحاس ـ وان كانت صالحة للتوصـــيلات الكهربائية ، الا انها ليست كذلك بالنسبة لأشعة الضوء المركز ـ اى الليزر .. اضف الى ذلك ان عمليـــة التزاوج بين هذه الأشعة وبين خيوط الزجاج الموجهة والناقلة لها ، قد دفعت البشرية للدخول فى ثورة تكنولوجية اكفأ واعظم من كل ثورة سابقة ، أو كما يعبر عنها دكتور



البرت بندر ـ وهو واحد من رواد هذا العلم ـ بقوله « انها سحر » !

ان سر التقدم الحقيقى والسريـــع للبشرية يعتمد أساسا على تبـــادل المعلومات ونقلها بطريقة شائعة وميسرة ونحن ـ فى الواقع ـ نعيش فى هذا العصر ، لكنه بالنسبة للأجيال القادمـة قد يصبح عصرا بدائيا ، لأن مجتمعـات المستقبل ستكون بحق مجتمع المعلومات التى تصب فى كل ادارة وصـــحيفة ومصنع وبيت .. الخ ، صحيح اننـــا نستقبل فى بيوتنا ما يدور حولنـــا فى عالمنا المعاصر ، لكن ذلك يتم عن طريق محطة ارسال واستقبال .. اى ما تختاره لنا محطات الاذاعة والتليفزيـــون من برامج ، أو ما تحمله لنا الصـــحف والمجلات والكتب التى اصبحت جزءا من حياتنا ، لكن عالم المستقبل هو الـــذى سيختار ، فينتقل اليه فى بيوته كل ما يتوق الى رؤيته او الاطلاع عليه ، دون أن يبرح مكانه ، أو يكلف نفسه مشقة النزول الى الأسواق أو المكتبات أو حتى التوجه الى المستشفيات وعيـــادات الأطباء ، لأن تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستصبح ميسرة للبشرية ، تماما كما تيسر لها التليفون أو الهاتف فى اتصالات محدودة عن طريق الأسـلاك المعدنية !

خذ لذلك مثالا ، حتى يتضح لنا الفرق بين عالمنا ، وعالم الغد المثير .. ولنفرض الآن ان رجلا اراد ان يقوم بجـولة فى الأسواق ، لينتقى معطفا أو ثلاجة أو سيارة او كتابا .. الخ ، ان ذلك يستلزم ـ بطبيعة الحال ـ ان يرتدى ملابسه ، ويترك بيته ، ويركب مواصلة عامة أو خاصة ، ثم ينزل إلى الســـوق ، ويلف ويدور ويستعرض ويشـــترى ويدفـــع ويعود الى بيته .. وفى هذا مضـــيعة للوقت والجهد والطاقة .. لكن انســـان الغد لن يسلك مثل هذا السلوك البدائى ، بل عليه ان يضغط على زرار ، فيحدث اتصال فورى ، وعندئذ تنتقل اليه ـ على شاشة كبيرة فى احدى حجرات منزله ـ المعروضات التى يرغب فى شرائها .. انه يريد شراء حذاء او سرير أو معطف ، وعندئذ يظهر على الشاشة البـــائع او البائعة ، وهى تعرض عليه كل الموديلات واسعارها ، انها تراه كما يراها ، وكأنما هو قد ذهب بالفعل الى محل المعروضات



من ميزات الخيوط الزجاجية المعاملة بالمواد الكيمائية التى تترسب طبقات من فوق طبقات فى تجاويفها الداخلية .. ومن مميزاتها انها تنثنى ـ كما تراها هنا ـ دون أن تنكسر .. لاحظ كيف تستقبل هذه الحزمة مصدرا ضوئيا (إلى اليمين) فينطلق فيها ، ثم يخرج من الناحية الأخرى .. ثم ان البقع الضوئية المبعثرة هنا وهناك تنبثق بدورها من خيوط لا تكاد ترى .

رغم انه لم يبرح مكانه ، الفضل فى ذلك يرجع الى تلك الخيوط الضوئيـــة التى تصل بين البيوت والمحلات والشركات والأفراد والمطارات والمكتبات والمدارس والجامعات .. الخ .. الخ ، المهم ان تدفع لذلك اشتراكا كما تدفع فى عصرنا الحاضر اشتراك التليفون لمصـــــلحة التليفونات ، وان تشترى طبعا الجهـاز المتصل بمحطات الأرسال المقامـــة فى الاماكن المختلفة ، والمتصلة عن طريق هذه الخيوط الضوئية العجيبة ، لتربط الناس بالناس ، أو بأى شىء اخر !

والواقع ان عالم الغد ـ أو عـــالم المعلومات ـ سيكون اغرب من الخيال ، لكن الخيال سيتحول ان اجلا او عاجلا الى حقيقة ملموسة ، لأن علماء العصر الحاضر قد وضعوا البذرة ، وامدوهــا بعصارة عقولهم حتى تحولت الى نبتة صغيرة ، وبمزيد من الصقل والتطور فى الأفكار والتطبيق ، سوف تنمو النبتـة لتتحول الى شجرة باسقة تغذى عقول الناس لا بطونهم ، لأن ثمارها هى المعرفة وفرق كبير بين غذاء العقول والبطون !

ان فكرة هذا التطور الهائل ليس من السهل تقديمها فى هذا المجـــال ، لأن ادراكها يستلزم الالمام بمبادىء علـــوم الاليكترونيات والموجـــات والمـــواد والخامات الداخلة فى تكوينها ، هـــذا بالاضافة الى معرفة اساسية بتفاصيل الاجهزة التى تســتخدم فى ارســـال واستقبال « تيارات » الضوء خلال اليافنا السحرية .. لكن ابسط تقديم لهذه الفكرة هو ما ذكره ماثيوتيكولسكى فى احـــدى المجلات العلمية ، وفيها يقول : تصور شعاعاً من الضوء النـــابض او المتردد بمعدل ٧ر٤٤ مليون مرة فى الثانيـــة الواحدة (نضيف الى ذلك ان بعض العلماء قد نجحوا فى جعل هذا التردد بليون مرة فى الثانية) .. خذ الان هـــذا الشعاع ووجهه نحو خيط زجاجى لا يزيد سمكه عن ٠٠٠٢ر٠ من البوصة ـ اى بسمك الشعرة .. وعند الطرف الذى يستقبل الشعاع ، حاول ترجمة نبضات الضوء إلى معلومات مفصلة ، اى صوت بشرى (لان الصوت بدوره ترددات صوتية خاصة) أو صورة تليفزيونية .. ان هذا يمثل لنا اساسيات الثـــورة

التكنولوجية التى نسميها الخيوط البصرية.

انتهى تقديم تيكولسكى للفكرة ببساطة شديدة ، الا أن الموضوع اعمق واعوص من ذلك بكثير ، لكن يكفى ان نذكر ان التطور الهائل الذى ينتظر هذه الثورة الجديدة ، يرجع الى كفاءة خيوط الزجاج المعاملة بالمركبات الكيميائية . (التى اشرنا اليها) فى نقل اشعة الليزر وتحويلها الى سيل جارف من المعلومات التى تنطلق فيها كنبضات ،لتتحول فى النهاية الى صوت وصورة ، فتجعل هذا الكوكب العظيم ، كانما هو بين ايدينا ، او تحت سمعنا وبصرنا !

ان كفاءة الخيط الزجاجى الواحد مقدر له فى المستقبل القريب ان يستوعب حوالى ٤٠٠ الف خط تليفونى فى وقت واحد .. اى ان الكلام الذى ينطلق من ٤٠٠ الف انسان يجرى جيئة وذهاباً فى خيـط ودون ان يتداخل حديث انسان مع حديث انسان آخر .. اى انجاز عظيم يربط بين سكان مدينة كبيرة فى خيطين زجاجيين لا يزيد سمك الواحد منهما عن سمك شعرة فى رأس انسان او شاربه ؟

ولنا هنا وقفة تأمل .. ولنتصور فيها حجم ووزن الأسلاك النحاسية المغلفة بانسجة عــازلة ، والتى تــربط بين التليفونات والسنترالات ، وما يتبع ذلك من استهلاك فى الطاقات والخــامات .. ولاشك ان تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستوفر كل ذلك ، ربما بنسبة واحد الى عدة مئات او ربما عدة آلاف .. كل هذا يعتمد على تطور تكنولوجيا المستقبل التى خطونا نحوها الآن خطوة متواضعة .

بل ان واحداً من أشهر المفكرين بالتنبؤ العلمى هو آرثر كلارك ، الذى صدقت معظم تنبؤاته عن المستقبل ، يذكر انه بعد مائة عام من الآن ، لن يحتاج الانسان الى ادارة قرص التليفون لطلب رقم معين ، ولا كذلك الضغط على ازرار ، بل قد يكفيه ان يتحـدث الى « عقل » اليكترونى طالباً منه ان يوصله بالمدعو بيل سميث ، ويضـيف كلارك قائلا : أو قد تقول : اطلب لى رقم ٥٥١٢ ــ ٣٤٥ ــ ٢١٢ ، وعندئذ يجيبك العقــل الاليكترونى : بكل تأكيد انت تريد ٥٥٢١ ــ ٣٤٥ ــ ٢١٢ . (لاحظ ان العقــل الاليكترونى قد عرف الخطأ وصححه فى الرقم الكائن الى اليمين ــ اى ٢١ بدلا من ١٢) .

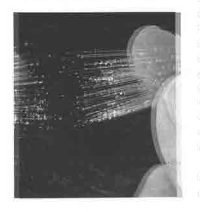
أهداف المستقبل

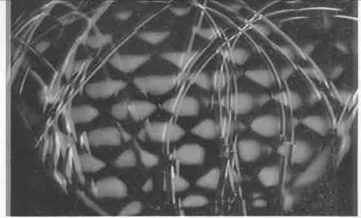
وطبيعى ان شيئاً لا يأتى من لا شيء ــ فالحاسب أو العقل الاليكترونى لا يصحح الخطأ بذاته ، ولا هو اكثر ذكاء من الانسان ، بل يرجع ذلك الى ذاكرة اليكترونية تحتفظ بطوفان من المعلومات ثم تقارنها بما يرد اليها ، واذكر ــ فى هذا المجال ــ اننى كتبت سؤالا على آلة كاتبة متصلة بحاسب اليكترونى فى معمل الفيزياء القومى بانجلترا اثناء قيـامى باجراء بعض البحوث هناك ، وقد طلبت فى سؤالى ان يدلنى على اسم اليوم الموافق لتاريخ ميلادى وهو ٣١ فبراير ، وعندئذ جاءنى الرد مكتوباً على شريط هكذا : ان هذا سؤال ساذج ..جرب سؤالا معقولا ــ اى ان الحاسب الاليكترونى ليست لديه معلومات عن وجود ٣١ يوما فى شهر فبراير (فهو اما ٢٨ أو ٢٩ يوما) .. ولقد اردت خداعه ، فلم تجز عليه الخدعة ، أو بمعنى ادق : لم تجز على صاحب الفكرة الذى امده بالمعلومات الصحيحة ، ليحتفظ بها فى ذاكرته الاليكترونية .

كل هذا قد يهون بجوار الانجازات المثيرة التى ستتحقق فى هذا المجــال ، فمن الممكن ان يعود الولد أو البنت الى المنزل ، وهو أو هى مستوعبة لدرس الحساب أو الهندسة أو الجغرافيا الذى تلقاه أو تلقته فى المدرسة ، ولن يحمل الوالدان لذلك هما ، لا فى درس خصوصى ولا خلافة ، اذ كل المطلوب ان يضـغط احدهم على عدد من أزرار خاصة لها شفرة محددة ، ومتصلة ببنك المعلومات فى المدرسة او الوزارة ، فيحضر اليه مدرس الجغرافيا بادواته وســبورته ونماذجه التوضيحية ، لكنه لن يحضر بذاته ، بل يراه امامه ، فى هيئة صورة مجسمة ، وكانما هو بالفعل فى فصل دراسى ، فيعيد شرح ما فاته استيعابه ، فاذا اراد تكراراً ، كان له ما يريــد .. فيضغط على الأزرار .. يحصل على المزيد !

أو قد لا يحتاج التلميذ الذهاب الى مدرسة ، خاصة فى الأماكن النائية ، وعليه الا يحمل لذلك هما ، اذ يكفيه ان يصل بيته بهذه « الشعرة » من ناحية ، وبمركز الدروس الخصوصية من ناحيــة اخرى ، فيأتيه مدرسو كل المواد ، واحداً بعد الآخر ــ صوراً مجسدة ــ لا أجساداً حقيقية ، ومع ذلك فهى تحمل معها كل الوسائل التوضيحية ، فتكون الدروس دروس العمر ، لأن المدرسين الذين سيحضرون الى بيته (صوراً) سيكونون بلاشك من اكفأ المدرسين علماً وشرحاً وتوضيحاً ، وبحيث يحببون التلاميذ فى دروسهم ، ويجذبون انتباههم ، وهذا مالا يتأتى فى كثير من مدارسنا أو جامعاتنا الحالية .

انت مثلا تريد ان تقرأ كتاباً فى مكتبة عامة ، أو تطلع على محتويات متحف من المتاحف ، أو من المدمنين على قراءة الصحف والمجلات ، أو من هواة الأنشطة الرياضية .. الخ ، لكن لا تحمل لكل ذلك هما ، لأن هذه الخيوط الحاملة للحزم الضوئية ستتولى ذلك .. اذ ســتكون متصلة بجميع مراكز الأنشطة الثقافية والترفيهية والتعليمية والسياحية وما شابه ذلك ، وكل مركز من هذه المراكز لديه بنك معلومات يحتوى على كل ما يخطر ومالا يخطر لك على بال ، ولكل منها شفرات خاصة مسجلة فى دليل يشبه دليل التليفونات الحالية فى الشكل ، وليس فى المضمون ، وعليك ان تنتقى الشفرة الخاصة بأية معلومة أو نشاط يهمك معرفته .. وما عليك الا ان تضغط على عدة أزرار ، (أو حتى تتحدث مع العقل الاليكترونى طالباً منه ما تريد) فاذ بعناوين الصحف الصباحية ، أو ملخصات الانباء ، أو صور الأحـداث تظهر امامك على شاشة كبيرة ومريحة ،





دوائر من الخيوط الزجاجية الناقلة للنبضات الضوئية بعد ان تم استخدامها فى بعض الأجهزة العلمية .. وهى هنا تتداخل وتنتظم فى احدى مكونات جهاز للتجسس او الاستكشاف فى ظلام الليل

او قد تنتقل محتويات المتحف الى منزلك كصور مجسدة ، وكأنما انت تنتقل فى المتحف من حجرة الى اخرى ، أو من ركن الى ركن .. يحدث كل هذا وانت مسترخ على كرسى مريح ، ودون ان تبرح مكانك ، ثم ان ذلك وفر فى الجهد والوقت والطاقة المستهلكة فى المواصلات ، اذ مما لاشك فيه ان انسان المستقبل سيكون مشغولا بأمور كثيرة ، وقد لا يجد وقتا كافيا لذلك ولهذا يتنبأ بعض العلماء بانه بالامكان انجاز حوالى ٩٠٪ من الأعمال المكتبية والادارية الهامة دون ان يبرح الانسان بيته ، لأن التكنولوجيا الجديدة ستضع امامه كل الملفات والبيانات والرسومات وما شابه ذلك ، وعليه ان يتخذ فيها القرارات دون ابطاء ، لأن المحادثات او المناقشات بين الرئيس والمرؤوسين ستبدو وكأنما هى تتم فى مكتبه ، فهو يراهم ، وهم يرونه عن طريق تصميمات اليكترونية وضوئية خاصة ، ولا يهمه هنا ان كانت المسافات بين الرئيس والمرؤوسين عـــدة أميال ، أو عشرات أو مئات الأميال !

انت مثلا لا تستطيع ان تحضر مؤتمرا علميا ، او ندوة أدبية ، او مجلسا من المجالس الرسمية التى تؤخذ فيها قرارات هامة ، وذلك لسبب طارىء يمنعك من المشاركة ، لكنك تستطيع ان تحقق ذاتك دون ان تبرح مكانك ، لأنه بالامكان ان تكون معهم ، ويكونوا معك ، وتناقشهم ويناقشوك ، أيضا وجها لوجه ، لأن تكنولوجيا المعلومات سوف تنقلك اليهم صورة او صوتا ، او تنقلهم اليك صورا واصواتا ، لتعيش ـ وانت فى منزلك ـ فى جو المؤتمر المنعقد فى مدينتك ، او خارجها ، او حتى فى دولة أخرى غير التى تنتمى اليها .

الانجازات بعد ذلك كثيرة ومثيرة ـ لكن يكفى ما قدمنا فاوجزنا ، لنعرف الى أى عصر نحن مقبلون .. وفيه سوف يبدل العلم الأمور ، فيجعل العسر يسرا .. والخيال حقيقة .. ربما فى حياة هذا الجيل ، أو فى أجيال ما بعد عام ٢٠٠٠ .

والواقع ان سبل الاتصالات ، وتبادل المعلومات ، بين الأفراد والدول والجماعات ، يمكن ان تتم من خلال طريقتين اساسيتين .. ففى الأولى يتم الاتصال عن طريق نبضات كهربية تنشأ من مكان ، وتنتهى فى آخر ، مارة خلال وسط معين ، او قنوات تتولى نقلها ، مثال ذلك فكرة التليفون ، اذ تتحول الموجات الصوتية نبضات كهربائية فى سماعة التليفون ، فتنقلها اسلاك الى الطرف الآخر ، لتتحول مرة اخرى من نبضات كهربية الى موجات صوتية ، وكذلك الحال مع التليفزيون ، اذ تتحول الاشارات الى موجات ، ثم يتم نقلها خلال كابلات خاصة الى اجهزتنا ، فتتحول فيها الى صوت وصورة .

وفى الطريقة الثانية يتم الاتصــال عن طريق شفرات Codes أو نبضات تتفرق وتتجمع ما بين المنبع والمصب (اى يمكن تشبيهها بتفصيص الرسالة المكتوبة الى رموز من نقط وشرط) ، وطبيعى ان لهذه الشفرات اجهزة تفصصها الى ما يشبه النقط والشرط ، او (٢ ، ٠) ـ او اية شفرة ثنائية من ذلك النوع المســتخدم فى الحاســبات الاليكترونية التى اصبحت جزءا لا يتجزأ من اية تكنولوجيا متقدمة فى تبادل المعلومات ، وهذه الطريقة يطلق عليها اسم التغير الشفرى النابض ، ومن الممكن هنا ادخال الضوء أو أشعة الليزر كمصدر نابض أو متردد ، لكن من خلال أجهزة خاصة تقوم بهذا العمل ، وبها يمكن تفصيص شعاع الضوء الى ترددات تصل الى ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فى الثانية الواحدة ، ثم ان هذه الترددات يمكن اعتبارها بمثابة الشرط والنقط التى نستخدمهـــا فى التلغراف أو الحاسبات الاليكترونية ، وكل تردد قـــد يرتفع وينخفض على حسب المؤثر الذى يأتيه من خارجه ، وليكن ذلك صوتا بشريا متداخلا فى هذا التردد ، لكن الصوت ذاته يمكن تفصيصه الى ٨٠٠٠ تردد أو شفرة فى كل ثانية ، وعلى حسب نبرة الصوت ، تكون الترددات أو النبضات أن ارتفاعا أو انخفاضـــا ، وعندئذ تنتقل خلال الالياف الضوئيـــة كمعلومات أو اشارات ضوئية ، وبحيث يمكن تجميعها مرة اخرى ، لتتحول الى صوت أو صورة .. كل هذا يتوقف على الأجهزة التى تتناول هذه المؤثرات بالتحليل والنقل والتجميع .. الخ .

لكن لا علينا من كل ذلك ، حتى لا نزج بك فى متاهات .. فالعلم لديه الآن كل الامكانات .. ميكروفونات تلتقط ، وكاميرات تسجل ، واجهزة تفصص ، واشعة تتداخل وتتردد ، وخيوط زجاجية تنقل وتوزع ، وحاسبات اليكترونية تختزن وتحلل وتقرر .. الخ ، وفى النهاية شاشات كأنما هى البساط السحرى الذى يحلق بنا فى آفاق المعرفة الواسعة ، أو هى بمثابة مصباح علاء الدين والجنى الذى ورد فى اساطير القدماء ، وكأنما هو يقف بين ايدينا قائلا « شبيك .. لبيك .. انا عبد بين يديك » .. لكن الأساطير قد تحولت الى حقيقة واقعة ، بفضل التكنولوجيا المتطورة ، التى تقف وراءها عقول مفكرة !

ان مهمة العلماء الآن تتركز فى عمليات تزاوج بين كل الأجهزة المكتشفة لتجعل منها وحدة واحدة ، وتربط بينها فى جهاز واحد متطور .. طبيعى اننا لانجنى ثمرة الاكتشافات العظيمة بين يوم وليلة ، لأنها غالبا ما تصطدم بعقبات يجب التغلب عليها اولا ، وهذه تحتاج الى صقل أعظم ، وتطوير اتقن ، وجهد أكبر ، وزمن اطول ، ليتحقق حلم من احلام البشر ، طال الزمان أو قصر .. وان غدا لناظره قريب .

د . عبد المحسن صالح



الدور الشاهدة على الماضي التليد المعاش في مدينة فاس والحاضر المتجدد

فاس

مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبّين!

بقلم وعدسة: إبراهيم الصلحي

كان من بين ما يحكى لنا ، ونحن صغار ، عن مدينة فاس ، عبارة تقول أن ليس وراءها ناس ، وانطبعت فى أذهاننا تبعاً لذلك صورة رهيبة ظلت تنعكس على مر الأيام فى مخيلتنا شبحاً مبهما لمدينة تعبق حواشيها بالغموض ، ذات أسرار وألواح ودسر ، تربض كابى الهول عند حافة بحر الظلمات ، نهاية الدنيا والعالمين . حيث المخاطر جمة والأهوال ، الذاهب نحوها لا محالة هالك مفقود ، والعائد منها مولود، وأى مولود تذبح له الذبائح ، وتقام لشانه الولائم حمداً على سلامة العودة والوصول .

ومرت أيام وأعوام ودهور ، حلقت بعدها طائراً على بحر شديد الزرقة مشمس مضيء ، تلت حافته المعمورة ، حيث السهول ثم التلال فالجبال والوديان الخضر ، ثم هُبِطَ بنا أرضاً يفوح منها البشر والخصوبة ، ثرة معطاءة ذات أريج ومروج تجود بالكرْم والتمور والتين والبرتقال والزيتون .

ودلفنا الى داخل المدينة راكبين ، طالعتنا عند فاس الجديدة ، أعلام العرب ترفرف عالية كعهدها خفاقة ،



سوق الصباغين حيث افواه المشاغل كالكهوف التي يأتيك صوت الباعة من أعماقها . وفي اللقطة الاخرى فاس الحديثة بروبقها وجمالها



دروب مدينة فاس القديمة تواصل الحياة والشباب المتجدد والعمل

والدور والأشجار والحدائق الغناء والطرقات واللافتات كلها أهل وسهل للوافدين تحية « لا باس ـ لا بأس » وكيف الباس ونحن هنا فى جنة من جنات الله فى أرضه . تزخر بالخير والخيرات وبالرجال والنساء وبالشباب العامل والأطفال ، العمامة والبرنس والقلنسوة والجلابة والبلغة والسترة



اعمال النحاس المطروق الذى تدقه الاف المطارق

فاس

والجينز ، بالماضى التليد المعاش ، والحاضر المتجدد ، الكل فى حركة دؤوب سلسلة من الهمة والنشاط والعمل .

الحبيب العائد

فى وسط هذا الزخم الحركى وقفت ابحث عمن يرشدنى الى الاسطورية فاس اخت مراكش ومكناس . ولم أعدم من يتوقف لحظة ليدلنى مؤكدا انها حية موجودة ترزق . على مسـيرة خمس كيلومترات فقط لا اكثر ، هى تقربنى السلام ، والطريق اليها سالم امن معبد .

ولم أضع وقتا بشروق شمس يومى الاول بالجديدة فاس . حملت الكاميرا وتزودت بما تيسر لنا من الأفلام . وتوجهت والشوق يهز جوانحى . أول الطريق اتساع ثم يضيق ، يتلوى بين التلال والزروع وافرع النهر ، يتعرج بين الجسور والقلاع والاسوار ، ثم يضيق اكثر فاكثر ، والدور شواهد تعلو على الجانبين ، ثم ينكشف الضيق فجاة عن ساحة متسعة الارجاء نوعا ما ، توقفت فى حدها السيارات والاتوبيسات . يقال لك ها انت وفاس التاريخ ، ولتبدأ بعدها مسيرة الأرجل !

تلفت حولى فلم ار سوى جدران ، رؤوس التلال من خلفها تكاد تناطح السماء . لا يطالعك من الدور سوى نوافذ صغيرة بلا أبواب ، أعين وجوهها ملثمة منظر رهيب كنهه لا ولن يدرك لأول وهلة .

ينتابك الشعور الغريب بان شيئا ما فى هذه المدينة قد اشاح عنك بوجهه الترحاب . أولاك ظهره ولكن .. فى حياء وترقب وخفر ، تكاد تسمع التردد بعد ان اضحت قريبة منك « هل انت الغريب الحبيب الغائب العائد المنتظر ، هـل انت .... » والصدى فى تكرار رتيب همسا يجيب « المدن القديمة لا تبوح بأسرارها الا للمحبين ، أهل العشق والشوق والهوى » .

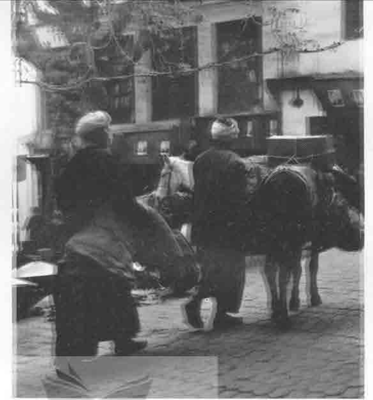
فاسائل نفسي ، من أين البدء وأنا بين ظهرين من فاس .

الدليل السياحى باختصار يقول ان اسمها مشتق من فاس وجد عند حفر الأساس ، وفى رواية اخرى أكثر تفصيلا يقولون انه كان من ذهب خالص ، أهداه سكان المدينة الأول إلى مؤسسها ومشيد عمرانها المولى ادريس الأول قرابة الف ومائتى عام مضى ، ولا تزال دورها ودروبها المرصوفة وأسوارها وقنواتها قائمة تجارى الزمن على الضفة اليمنى من وادى نهر فاس ، ثم جاء عهد ابنه المولى ادريس الثانى فبنى عام ٨٠٨ م ، على الضفة اليسرى مدينة أخرى اسماها العالية ومع مرور الزمن قدم آلاف المسلمين من الأندلس واستوطنوا مدينة ادريس الاول والتى عرفت فيما بعد « بعدوة الأندلس » توالت بعدها موجات اثر موجات قدمت من القيروان واناخت رواحلها بالعالية ومن ثم تسميتها « بعدوة القرويين » وتكون من العدوتين معا مدينة فاس ، مركز الاشعاع الثقافى والدينى فى البلاد منذ نشاتها ، الى أن هجرها المرابطون والموحدون الى مراكش حينا من الدهر ثم عاد إليها اوجها عاصمة للبلاد عام ١٢٥٠ م . إبان فترة دولة المرينيين ، وشهدت فاس توسعا مضطردا واشراقة كبرى بفضل مدارسها وجامعاتها الشهيرة علاوة على سمعة تجارية وصناعية ركينة ذات منتوج رفيع المستوى ، وجمال ماثر تاريخية لا تزال قائمة تحكى من المجد تليده ومن العمر مديده أو كما يرى .

صرخة الالوان

بقعة مباركة ، لله در من اختارها موقعا ، مناخها اللطف بعينه ، خصيبة التربة سهلة الرى ، كثيرة المياه ، تنحدر إليها صافية من محابس فى أعلى الوادى نافذة عبر انابيب قدت مراقدها فى الصخر ، تتخلل الدور والحارات والدروب والأزقة ، تغشى الاسواق والحوانيت والمشاغل والمصابغ والمدابغ ريا وطهرا .

ومع الماء دخلت الى باطن فاس ، ولجت من باب على جدار قصير القامة ، سبقتنى إليه بغال هى فى حجم الأسطورة ، ضخمة الكراديس خرافية والحمير المحملة والراجلة .



عندما دخلت إلى قلب فاس من باب على جدار قصير القامة

أول الدرب صمت وهدوء مشكل الألوان مزدحم الجنبات ، باعة ومتاجراً وبضاعة معروضة ، ويقود آخره إلى قنطرة احدودب العود منها وانحني ، تفتحت بعدها القماقم دفعة واحدة ، فورة بالحياة تنبض ، وتدق آلاف المطارق مرعدة مشقشقة ، الكير والنار لها اوار ، يطلقق منها الشرر ، ودخان يتصاعد في كل مكان بساحة الصفارين . اعمال الفضة المجلية ، والنحاس المطروق والمباخر والأباريق والقدور ، تباين الحجم منها واللون فيها والصور .

واخذت ميسرتي بسوق الصابغين على مهل ، الـدرب فيها هابط وصاعد وهابط بلا درج ، والماء يجرى ويسيل من كل صوب وحدب ، وعلى الجنبين افواه المشاغل كالكهوف ، يرهقها ظلام ، داكنة يأتيك صوت الماء قادماً من الأعماق والأيدى عليه عاملة ، والماء يعرف كيف يجتذب السمع ، لتطل في العتمة ، الأحمر القانى ولون البرتقال ، والأصفر الفاقع والأخضر الزرعى ، والأزرق والبنفسج ، خيوط القطن ، واصواف الغنم والنسيج والوبر ، أشعة تغمر الحارات والطرقات والدواب ، تنبع من داخل المشاغل الكهفية .

ظاهر الدور لا يحكى بواطنها ، كقشرة الرمان والثمر ، اطار القدم ما ظهر ، وما بطن .. لا يدانيه لا اللؤلؤ المنثور ولا الياقوت أو المرجان أو العنبر .

السـاحات والدروب تتفرع دروباً وساحات اخر ، اجوس فيها تائهاً بين مكشوف ومفروش من الطرقات ، عرضها لا يزيد عن حمولة بغل ، واقتفى الأثر ، يقودنى الى حيث تصرخ الألوان فى احواضها وتشتعل ، الناس فيه وجلود البقر والمعيز والغنم لونها الكركم والنيلة والحناء والكبدى ولون الدم ، تملأ الساحات بين الجدران ، على اسطح الدور شع قوس غنى لقزح . شاهداً للناس والحياة والعمل .

التراث فى احضان الوادى

فاس تذكرنى بجدة لى عجوز معمرة ، اطال الله عمرها وابقاها ، هزم منها الجسد وشاخ ، ولكنها تواصل الحياة والشباب المتجدد والعمل ، كنا نداعبها بين حين وآخر ، بعد أن اغفلت ذاكرتها حساب السنين وعمرت ، بقولنا لها ممازحين .. كم عمرك الآن يا جدتي ؟ فتقول وكان سمعها كالفرس ، مالى وللزمان يا عيال ، حسبى انى أعيش واحيا ، حسبى وحسبكم انى حية موجودة أرزق ، واحمدوا الله على هذا يا عيال : حية موجودة ارزق !

وهكذا حال مدينة فاس القديمة «فاس البالى» كما يسمونها بالمغرب ، درة من درر تراثنا العربى الاسلامي ، ترقد آمنة مطمئنة في احضان وادى نهر فاس شامخة تطل من بين اشجار النخيل والزيتون ، تعيد الى الاذهان مع الفارق غرناطة الاندلس المفقود ، غرناطة اليوم باسبانيا ، رغم الروعة وجمال المآثر المصانة ، قصور وحدائق ونوافير تغلب عليها برودة متحفية ، أما فاس ، حجراً هى كانت أم ذهب ، فهى التراث المعاش بعينه .

مزيج حضارى متجانس من الماضى والحاضر ، شواهد من القرون الوسطى ، وسحر اندلسي إلى جوار عصرنا الراهن !

مازالت حية

ودنت ساعة الرحيل بساحة القرويين فى وسط المدينة الأروقة المظللة ، برودة منعشة محببة تعبق بالند والبخور والبركات ، أبواب التوبة والطهر والغفران مفتوحة ممهدة ، والشمس فى كبد السماء شعاعها الدفىء ينير صحن المسجد ، والفسقية العتيقة الماء من حوالها يتناثر ، والفسيفساء المصقولة بخطى المحجلين الابرار ، والحصائر والأكاليم والزرابى مبثوثة من الحائط الى الحائط تمتد ، وأعمدة الخشب والآرابيســك والقيشـانى تحتضن الحيطان ، والقرميد والسقوفات المزانة بالآيات والخطوط والرسوم الهندسية ، وبأصوات المصلين تحية ونافلة ، والأذان وقلوب المؤمنين الذاكرين العامرة .

تذكرت قولة جدتى المعمرة وحمدت الله انها حية موجودة ترزق في الأرض والدنيا من حولها الفانية .

ابراهيم الصلحي



عملية استخراج السم من الثعبان تمهيدا لعمل المصل

أسرار عالم الثعابين!

ثعابين تذكرها الكتب السماوية

وقبائل تطلق الثعابين على أطفالها

د. محمد الغباشي ربيع

● مع مسيرة الزواحف التى استطاعت أن تزحف عبر ملايين السنين ضاربة الرقم القياسى فى الصراع من اجل البقاء ، نتحدث عن الزواحف القشرية التى تتمثل فى السحالى والثعابين او الحيات .

وقد وضعت السحالي والثعابين فى رتبة واحدة ذلك لأن هناك بين النوعين ما يحمل صفات مشتركة ولان الثعابين انحدرت من اصل السحالى ثم تطورت واخذت شكلا اخر وطباعا غير التى عليها السحالى ، وتشعبت الى عدة عائلات تمتاز كل منها بصفات خاصة !

انواع الثعابين

والحيات أو الثعابين زاحفات قشرية اجسامها ممطوطة خالية من الأطراف واحيانا توجد فيها الأطراف الخلفية على هيئة شوكتين على جانبى المجمع ، وليس لها جفون متحركة أو اذان ظاهرة ، وأسنانها مقوسة الى الداخل ، واللسان رفيع مشقوق له غمد فى قاعدة الفم !

وتعتبر الحيات والسحالى اكثر الزواحف المعاصرة عددا حيث يوجد من الحيات فقط أكثر من الفى نوع معروف ، وهى تنتشر فى جميع انحاء العالم إلا انها تكثر عددا فى المناطق الاستوائية



الثعابين ذات الأجراس التى تعيش فى الصحارى والبرارى

وتقل فى الأماكن الباردة والمتجمدة !

ولقد نشأت الحيات من مجموعة من السحالى ، خاصة الحفارة التى كانت تعيش قديما تحت سطح الأرض فى جحور من صنعها .

وعيون الحيات مستديرة وخالية من الجفون المتحركة ، ولكن يوجد عليها غشاء رامش او الجفن الثالث ، واللسان رفيع مشقوق فى حركة شبه دائمة داخل وخارج الفم وهو عضو للحس وليس للتذوق ، ومن الحيات ما يسمى بالحيات العمى وينتشر معظمها فى المناطق الاستوائية .

وحركة الثعابين أو الحيات تنشأ عن تموجات جانبية يساعدها فى ذلك مفاصل خاصة على الأقواس العصبية للفقرات إلى جانب صفائح قشرية على السطح البطنى .

وثعابين البواء والأصلات أنواع بدائية ولها أسنان عديدة وهى غير سامة تعيش عادة فوق الأشجار وتختفى بين النباتات ومنها ما يعرف باسم (كلبرنيا) وهى تضم أكثر من ألف نوع كلها غير سامة ويرجع تاريخها الى العصر « الاليجوسينى » ومنها حنش الماء وهو واسع الانتشار .

وفصيلة أكلات البيض من الثعابين تستوطن قارتى اسيا وافريقيا وهى تتغذى على بيض الكائنات الأخرى .

اما فصيلة الصلال فترجع الى العصر الميوسينى وهى بالغة السمومة وتضم الناشر والبخاخ والبرجيل وغيرها،ومن خواصها نشر العنق للارهاب وبث الرعب فى قلوب أعدائها ..

والحيات البحرية كانت تنتمى إلى فصيلة الصلال واصبحت فصيلة مستقلة وهى مائية .

والأفاعى تعد من أرقى الحيات منها ذوات الأجراس ومنها الأفعى الأوربية بيروس. وذوات الأجراس تتميز بحلقات قرنية على الذنب مجوفة كالأجراس ينشأ من تداخل بعضها فى البعض الآخر رنين خاص ناتج عن احتكاك تلك الحلقات ببعضها ، ويكون هذا الرنين بمثابة الانذار والتحذير من الاقتراب منها أو محاولة النيل بها ، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه الاعتداء عليها .

والشكل الخارجى للثعابين عادة يتميز بثلاث مناطق هى الرأس والجذع والذنب وإذا تميزت الأعناق عن بعضها فهى عبارة عن الجزء الواقع بين منطقة الرأس والثلث الأول من الجذع ، وتختلف أشكال الثعابين أو الحيات اختلافا بينا ، فقد يكون الجسم اسطوانيا أو مفلطحا بعض الشىء أو طويلا ضخما أو رفيعا او سميكا قصيرا واحيانا على درجة من الصغر يصعب معها تمييزه من دودة الأرض ..

ورأس الثعبان مستطيل رفيع أو عريض منبسط أو مستدير قد يكون فى ضخامة الجسم أو أعرض أو أصغر منه

والعيون إما صغيرة تختفى تحت حراشيف شفافة أو متوسطة الحجم أو كبيرة ..

والفم كبير تمتد فتحته إلى خلف العينين ..

والقشور التى تغطى ظهر الثعبان تسمى حراشيف أما التى تحت الذنب وعلى البطن فتسمى صفائح .

وقد يقتصر وجود الأسنان فى بعض الثعابين على أحد الفكين دون الآخر وقد تكون الأسنان ضامرة فى بعض أجناسها وغير موجودة فى البعض الآخر .. والأسنان إما مصمتة أو ذات قناة خارجية أو داخلية وهى عادة مدببة

أسرار عالم الثعابين!

ومقوسه إلى الداخل ويساعدها هذا الوضع على التحكم فى الفريسة أثناء البلع .

وكثيراً ما يفقد الثعبان أسنانه عند الدفاع عن نفسه أو أثناء البلع ذلك لأنها سهلة الانتزاع ، لكنه يستطيع أن يجدد أنيابه وربما أكثر من مرة طوال حياته .

ويتم زحف الثعبان بتقلص عضلاته القوية فى تموجات منتظمة شمالا ويمينا يساعده فى ذلك مرونة عموده الفقرى ومرونة الضلوع ، والثعبان فى الحالة العادية بطيء الحركة .

وبعد قتل الثعبان يلاحظ ان حركته قد تستمر عدة ساعات حتى ولو فصلت الرأس عن الجسد فان كلا منهما يتحرك ويرجع ذلك إلى قــوة العضـــــلات وحيويتها .

وغذاء الثعابين يتكون من الثدييات والطيور والسحالى والضفادع والأسماك وبعضها يأكل البعض الآخر .

الا ان بعض أنواع الثعابين يفضل طعاماً خاصاً فالأفاعى تفترس صغار القوارض وصغار الطيور وبعض الحشرات . وحنش الماء يأكل الضفادع والأسماك أما الناشر والبرجيل فانهما يفضلان الفئران وأبو السيور يأكل السحالى والباح المصرى يأكل الديدان !

ابتلاع الفريســة

وعادة فان الثعبان يبتلع الفريسة مبتدءاً برأسها ، وقد يكون حجم الفريسة أكبر من حجم رأس الثعبان وقد تبلغ أحيانا أكثر منه أربع إلى خمس مرات ، لكن الفم فى استطاعته أن يتسع بزاوية قدرها ١٣٥ درجة بمساعدة الغدد اللعابية . وترجع قدرة الفم على الاتساع لعدم وجود تمفصل ثابت بين الفكين العلوى والسفلى إضافة الى أن فرعى الفك الأخير لهما قدرة كبيرة على التباعد الشديد .

والثعابين بعضها يقوم بقتل الفريسة بحقن سمومه فيها قبل بلعها والبعض الآخر يبتلعها وهى على قيد الحياة .. أما الثعابين الكبيرة الحجم فانها تلتف بعضلاتها القوية حول الفريسة وتعتصرها حتى الموت أو فقدان التوازن ثم تقوم ببلعها !

ومع أن عملية بلع الفريسة تستغرق وقتاً طويلاً أحياناً إلا ان التنفس فى هذه الحالة يتم بصورة طبيعية ، وذلك بفضل امتداد القصبة الهوائية إلى الأمام ومرونة حركتها .

وقد لا يجد الثعبان طعاماً ما فيستطيع أن يصوم عدة شهور وربما أكثر من سنة فى بعض الأنواع الضخمة والثعابين التى تعيش فى الصحراء تستطيع أن لا تشرب الماء طوال حياتها أما التى تعيش فى الأماكن القريبة من الماء فانها تشربه بكميات كبيرة .

مواليد خطيرة

والثعابين بعضها يضع البيض والبعض يفقس البيض فى اجسامها وتلد الصغار ، ويتراوح عدد البيض فى الثعابين ما بين ٦ ـ ٤٠ بيضة ، وهو مستطيل نسبيا وقشرته رقيقة عن بيض الطيور ، وبعض الثعابين من فصيلة الأصلات تحتضن البيض ، اما معظم الثعابين فانها تترك البيض للظروف دون أن تبالى به حتى إذا ما فقس اعتمدت الصغار على نفسها فى طفولتها . وتنمو صغار الثعابين بسرعة فائقة فى بداية حياتها ثم يأخذ هذا النمو فى البطء رغم أن الثعبان ينمو طوال حياته !

وصغار الثعابين السامة تخرج من البيض مزودة بالسم والأنياب ، لذا فانها لا تقل خطورة عن آبائها إلا انها تزداد خطورة كلما يفعت وبلغ بها النضج والتعقل اقصى حدوده !

اما عن صوت الثعبان فهو ليس صوتاً بالمعنى الصحيح لأن الثعبان ليس له أحبال صوتية ، بل ان الثعبان يصدر ما يسمى فحيحا لذا نقول فحيح الثعبان !

السموم القاتلة

أما سم الثعبان فهو عبارة عن سائل أصفر اللون يتكون من بروتينات سامة تختلف نسبتها باختلاف نوع الثعبان .

ولسم الثعبان تأثير فتاك على ضحاياه حيث أن هذا السم يتكون من عنصرين اساسيين احدهما يؤثر على الجهاز الدورى فيقوم بتحليل وتدمير الكرات الدموية الحمراء والغشاء المبطن للأوعية الدموية .

والعنصر الثانى يؤثر على الجهاز العصبى وبالتالى الأعصاب الخاصة بالجهاز التنفسى مما يؤدى الى الهبوط التام والشلل وصعوبة التنفس ..

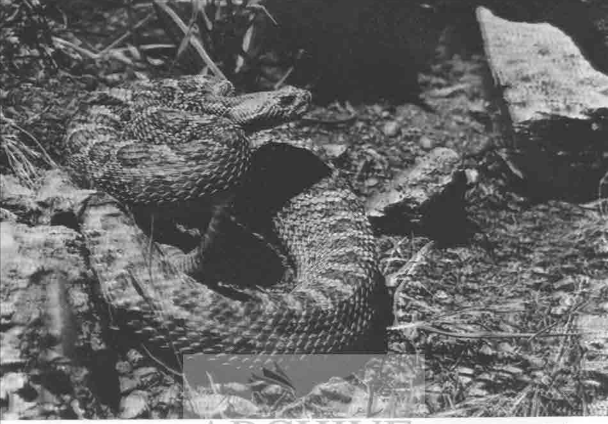
والمعروف أن سم الثعابين ليس له تأثير ضار إذا اخذ عن طريق الجهاز الهضمى ما دام الأخير خالياً من الجروح ويرجع السبب فى ذلك الى تأثير العصارات الهضمية فى ابطال تلك السموم ..



كاتب المقال يمسك الثعابين بعد انتزاع ســـمها



حيوان النمجوس أثنـــاء قتله للثعبان



أحد الثعابين الضخمة يتربص للفريسة بين الصخور

وسم الثعبان قابل للذوبان فى الماء المقطر او محلول الملح الفسيولوجي ويكون مع السائل المذيب شكلا هلاميا .

وتفاعل سم الأفاعى حمضى لكن سم الثعابين إما حمضى خفيف أو متعادل وهو يتكون من خمائر ومواد زلالية ومخاطية ودهنية واملاح ، كما ان نسبة الماء به تتراوح بين ٦٥ ـ ٨٥٪ والعناصر التى يتكون منها السم هى الكربون والأزوت والكبريت والزرنيخ .

وعن صناعة مصل الثعابين فانها تتم بعملية ترشيح السم ، ويوضع فى أوان زجاجية داخل جهاز للتجفيف على درجة حرارة ٣٧ درجة ثم تذاب كميات كبيرة من السم فى جلسرين معقم ويحفظ على درجة حرارة ٣٧ درجة لاضعافه الى حد يسمح باستعماله دون خطورة .

وهناك طريقة اخرى (فيتال برازيل) وفيها يتم حقن الخيول بالسم لتوليد الأجسام المضادة والتى تؤخذ بعد ذلك من الدم ويتم معالجتها طبيا لتكون جاهزة للاستعمال !

الثعابين فى الديانات

والثعابين على الرغم من نعومة ملمسها وجمال منظرها وهى فى بيوتها الزجاجية داخل حدائق الحيوان تبعث فى النفس الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من انها سجينة داخل هذه البيوت إلا أن القلب يهتز لها فزعاً ، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن خطورتها وفتكها !

وقد يكون ذلك راجعاً إلى طبيعة شكلها وحركة ألسنتها الدائمة السريعة واعتقاد البعض خطأ أنها أعضاء اللدغ وبث السموم .

والحقيقة ان تلك المخلوقات بعضها سام والبعض الآخر غير سام وانها جميعاً رغم ضخامتها تفزع منا نحن البشر ولا تحاول إيذاء احد إلا إذا اضطرتها الظروف إلى ايذائه دفاعاً عن نفسها !

ولقد وردت الثعابين والحيات فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وكذلك فى الكتب العلمية والادبية فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ، وثعبان كليوباترا ، واله الطب عند اليونان يحمل عصا ملتفة عليها افعى ، وقد صنع عقد الآلهة ميترفا من صور الأفاعى وكذا رأس ميدوزا اله الانتقام معصوب بها ، وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف !

ولقد حظيت الثعابين بضروب كثيرة من الخرافات والحكايات القديمة فقد روى بلوتارك المؤرخ الرومانى ان السلر وهى قبيلة من القبائل البائدة كان لرجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الثعابين وكانوا يحافظون على طهارة اصلابهم فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يعرفن رجالا من غيرهم ، وكانوا إذا ما آرادوا أن يتاكدوا من هذه الطهارة أطلقوا الأفاعى أو الثعابين على أولادهم حين ولادتهم فاذ قتل احد الأطفال حكموا على أمه بالخيانة !!!

أسـرار عـالم الثـعابين!



ثعبان الكورال السام الذى يعشق القتل!

ويعتقد بعضنا ان الحواة لديهم من السحر والقوة ما يسلطونها على الثعابين ، ففى الهند يمر الحواة بالناشر الهندى ومعه العصا والمزمار فيظل يداعبه بالعصا ويروضه بها إلى ان ينااله التعب والارهاق وهو يطلق مزماره فيهدأ الثعبان ويسكن ويعتقد المتفرجون ان الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفاً منه او انه واقع تحت السحر ولكن الحقيقة ان الثعبان قد افرغ سمه فى العصا اثناء المداعبة وكثيراً ما ذهب هؤلاء الحواة ضحية لهذه الرياضة القاتلة . ومثل الحواة فى الهند الحواة فى بعض البلدان العربية والذين يتخذون من الثعابين سركا متحركاً لعرض بعض الألعاب الشيقة ومعظم تلك الثعابين هى من الأنواع غير السامة والتى لا تشكل اية خطورة على حامليها .

ومن السهل جداً القبض على الثعابين وتفادى سمومها ، ولكن يستلزم ذلك شيئاً من الشجاعة والحذر مع المهارة ، بالاضافة إلى أن الثعبان كثيراً ما يعتريه الذعر والخوف المفاجىء من هجوم صياده !

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ان سلط بعض مخلوقاته على بعض حتى لا تكتظ بها الأرض .

فالثعابين برغم ما هو مشهور عنها من عداء للمخلوقات الأخرى فان لها أعداء تتربص بها وتبحث عنها من مكان إلى مكان ، واذا ما وجدتها فانها تنقض عليها لتقتلها وتفتك بها دون أن تجد لذلك مخرجاً ، ومن الغريب ان من بعضها ما سلط عليها ، فالناشر البنغالى الذى يطلق عليه فى الهند (ملك الحيات) لا يجد اشهى والذ عنده من ان يلتهم ثعباناً من الثعابين !

وثعبان المصرانا وإن كان هذا الثعبان غير سام فان غذاءه الوحيد الثعابين الأخرى التى يقتلها أولا ثم يبتلعها غذاء شهيا مريا ـ والمصرانا يعتبر من الحيات الأليفة فى البرازيل حيث يربيها بعض الناس لحراسة بيوتهم وتنظيفها من الثعابين الضارة .

وثعبان الخضارى لا يقتصر فى غذائه على القوارض بل يطيب له مبارزة الثعابين الأخرى التى تكون فى النهاية فريسته المفضلة بعد أن يشل حركتها بسمه الزعاف ، ولديه من المكر والخداع ما يؤهله إلى ذلك فهو يعيش على الأشجار مختفيا بين أوراقها ، يساعده على ذلك لونه الأخضر المشرب بصفرة ، إلى أن تحل امامه الفريسة وهى احدى الثعابين الأخرى فتكون النهاية ، لكن القصة لا تنتهى فربما هناك من يتربص بثعبان الخضارى ليلتهمه ويكون بذلك قد فاز بالفريسة وقانصها .

أما أبو السيور الغيطى فهو ثعبان شرس جرىء سريع الحركة مراوغ من الدرجة الأولى ، وإذا ما رأى حية الغريبة وهى قاتلة انقض عليها والتف حولها ليعتصرها بعضلاته حتى يقتلها ثم يلتهمها .

وأحياناً يقع أكبر الثعابين واخطرها فريسة لجماعة من النمل تتسلق جسده وتقوم بالاعتداء عله فتشبعه لسعاً حتى الموت وتتغذى عليه ولا تبقى منه إلا عظامه !!

وهناك نوع من الطفيليات الخارجية يشبه القراد يصيب الثعابين ويعيش على أجسامها ويمتص دماءها ولا يفارقها إلا عندما تجف الدماء فى عروقها .

ومن أعداء الثعابين ايضاً القنفذ وابن عرس وحيوان أبو منتن والنمس المصرى والثعلب وحتى الغربان والصقور والنسور وعلى الباغى دائماً تدور الدوائر !

أما الانسان فهو يعتبر من الد أعداء الثعابين ، فهو يستخدم عقله وعلمه وقوته فى إبادتها ، بل وتفنن فى أساليب القضاء عليها بدراسة بيئتها وأنواعها والتفريق بين الضار وغير الضار منها !

والانسان معذور فى عدائه للثعابين ، فهى كثيراً ما تقوم بالاعتداء عليه أو على حيواناته أو طيوره كلما اضطرتها الظروف إلى ذلك ، لكن الثعابين ليست مخلوقات عديمة الفائدة كما يتراءى للبعض منا ، فهى تتغذى على الفئران وتحد من انتشارها وكذا بعض الحشرات الضارة ولا ننسى ان من جلود بعض الثعابين نصنع اجود أنواع الأحذية والأحزمة وحقائب السيدات ، والغريب ان هناك انواعاً من الثعابين الضخمة تؤكل لحومها ..

ومن كل ذلك ندرك كيف أن عالم الثعابين مليء بالخفايا والأسرار والحكايات التى ليس لها أول من آخر !

د. محمد الغباشى ربيع



من روائــــع الفــــن العــــالمي

● وجـه « لوتشــيا بيـرارد » ـ ١٨٨٤
● من أعمال الفنـان : بيير أوجست رينـوار ـ فنان فرنسى عاش فى الفترة ما بين (١٨٤١ ـ ١٩١٩)

العشرة الزوجية
في عالم الطيور والحيوان

بقلم : الدكتور عز الدين فراج


حياة قصيرة وأجيال جديدة من النحل

يعتبر الحمام من أكثر الطيور اخلاصا لأنثاه



كل من راقب الحمام وتفهم غرائزه وطبائعه ، عده من اكثر الطيور اخلاصاً ووفاء لأنثاه ، فهو فى الغالب يحتضن انثى معينة ، ولا يسعى غالباً الى استبدالها الا إذا فقدها .. فمن حقه اذن ان يختال فخوراً بما أنعم الله عليه بنعمة الوفاء والاخلاص .. هذا فضلا عما يبديه الذكر من ضروب التعاون مع انثاه ، فهو يتعاون معها على اعباء الحياة ، ويشتركان معاً فى بناء عشهما ، والرقاد على البيض وحضانة صغارهما حتى تكبر .

يتعاون ذكر الحمام مع انثاه على بناء العش ، فيجمع الذكر لها العيدان ، وتتولى الانثى نسج هذا العش واعداده وبعض الذكور أحسن همة من بعضها فى جلب أعواد هذا العش ، وبعضها يقنع بالقليل منها . سواء أقلت كمية الأعواد ام كثرت ، فهو يغتبط بما حمل بالترجيع والتودد الى صاحبته ، وكانه يحدثها بما لقيه من جهد عند البحث عن هذه الأعواد .

وقد لا ترضى الأنثى عن هذه الأعواد ، ولكن تابى ان تغضب اليفها وقرينها ، فتبذل جهدها فى ثني هذه الاعواد .

ويابى ذكر الحمام ان يلقى عبء حضانة البيض والرقاد على الانثى وحدها .. لهذا وزعت فترة الحضانة بين الذكر والانثى توزيعا دقيقا ، فترقد الأم

على البيض من الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر الى العاشرة من صباح اليوم التالى ، وفى خلال هذه الفترة نرى الذكر يختال ويهدل ليثير اهتمام زوجته .

واذا ما حلت الساعة الحادية عشر جاء دور الذكر فى الحضانة والرقاد .. وبذلك يتاح لانثاه ان تنشر جناحيها وان تلتقط بعض الحب .

وليست ظاهرة التعاون بين الذكر والانثى خاصة ببعض الطيور والثدييات بل تجدها ايضاً عند بعض الاسماك ، حيث نجد الذكر يبنى لانثاه عشاً تبيض فيه ، ثم يقوم هو من بعد ذلك بتعهد هذا البيض بالعناية والرعاية ، بان يقف عند مدخل هذا العش يحرك زعانفه الصدرية محدثا تيارات مائية لتجديد الماء المحيط بالبيض . وحركة تجديد الماء هذه عملية هامة ، من شانها ان تزيل ما يعلق بسطح البيض من رمال وطحالب تعوق نمو الأجنة بداخلها . وفى انواع اخرى من الاسماك لا تجد الذكر يعين انثاه على فقس البيض وحضانته فحسب ، بل يسعى لجلب الغذاء لصغاره من بعد هذا الفقس كما فى الرسم .

والعشرة الزوجية عند الحيوان لا تخلو من غيرة الاناث على ذكورها .. فهى فى هذا الصدد كالانسان تماماً . حتى فى الحمام نفسه الذى يعد اكثر الطيور وفاء لاناثه ، لوحظت عنده بعض مظاهر هذه الغيرة . وقد وصف « ت. ماكيان داونز » احد غواة حمام السباق بخبراته مظهراً من مظاهر هذه الغيرة عند اناث الحمام فقال :

« قد يكون بجوار ذكور الحمام حمامة او اكثر لا اليف لها ، فتكون فتنة للازواج وقد يحدث احيانا عند الحمام وهذا نادراً ان يخلو الذكر فى ساعات راحته باحدى هذه الحمائم العزاب التى لا ازواج لها .. ولكن انثاه الغيور ترقبه وتلحظه ، فان رأت زوجها قد جاوز حدود الغزل ، انقضت كالصاعقة وراحت تنقر تلك الانثى الدخيلة ،لتبعدها عن هذا الزوج الحبيب» .


الامومة فى الحيوان


الذكر والانثى فى الاسماك يتعاونان على رعاية البيض والصغار

وقد لوحظت مظاهر الغيرة الزوجية ايضاً عند حمام الزاجل ، فاستغلها المربون فى زيادة سرعة طيرانه .. وذلك بوضع ذكر غريب فى قفص الانثى قبل انطلاق زوجها برسالته ، فكان هذا الزوج الغيور يعود من مهمته فى ثلاثة ارباع المدة التى كان يعود فيها من قبل ، خشية ان يجد انثاه فى احضان هذا الذكر الجديد .

والعشرة الزوجية قد تطول عند بعض الحيوانات الثديية ، وتقصر عند بعض الحشرات ، حتى تصل الى لحظات غاية فى القصر ، كما هو الحال بين ملكة النحل واحد ذكور خليتها .

وتابى ملكة النحل ان تزف بين رعيتها فى الخلية .. ولا ترضى الا بزفاف فى اجواز الفضاء . حيث تنطلق فى يوم تختاره مناسبا لها الى قبة السماء الزرقاء ، وينطلق من ورائها ذكور الخلية كل يود اللحاق بها . ولكن سرعان ما ترتد الذكور الضعيفة والمسنة والجائعة . وكلما ازدادت الملكة صعوداً فى السماء لزداد عدد المتخلفين عن ركبها ، والعاجزين عن اللحاق بها ، واخيراً يدركها اقوى الذكور ، فيمضيان معا ثم يدوران متشابكين .. واذا بالعشرة الزوجية التى رأيناها تطول الى سنين عند بعض الطيور ، قد استحالت الى لحظات قصيرة من نشوة ووصال وتزاوج .

ولا يكاد يتم اجتماعهما ، حتى تنزع الملكة جهاز التذكير من جسم الذكر وتجر معه ما فى احشائه ، فيتراخى جناحاه ، وكان صاعقة اصابته فيسقط جسمه ويلاقى حتفه ، وتهبط الملكة بعد ذلك من السماء ، وترجع إلى خليتها وقد اعطاها الذكر كل ما عنده ، وكل ما تخصب به بيضها ، وكل ما يحقق البقاء ويحفظ النوع .

د . عز الدين فراج

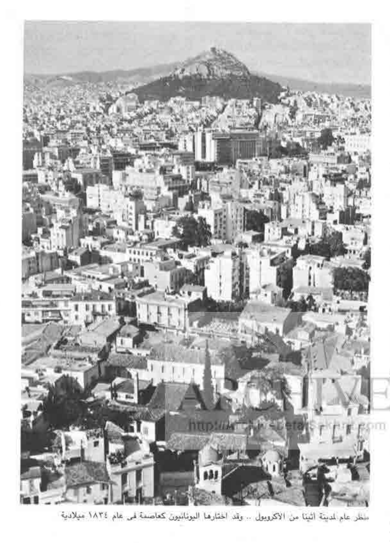


عـزف منفـرد في رحـلـة يونانـيـة

ليلة السبت في أثينا

نزيف الحناجر فوق الأسطح !

بقلم : مفـيـد فوزي



منظر عام لمدينة أثينا من الأكروبول .. وقد اختارها اليونانيون كعاصمة فى عام ١٨٣٤ ميلادية

— ١ —

إما أن ترى أو .. تموت !

حكمة قديمة قالها عاشق صبابة للسفر ، ومن يدرى ، لعل قائلها مسافر ذاق متعة الترحال ولم تتعب بعد حقائبه من السفر . فالذى يسافر ، يرى ! وفى الحقيقة ، تستقبل « بصيرته » صـــور الكون ربما قبل « بصره » .

وكان الفليسوف برتراند راسل يعتقد ان «الاسفار كتب حية» .

وهذه عبارة اصابت كبد الحقيقة كما يقولون . فالسفر رؤية ، وبدون رؤية ومعايشة ، يظل الكتاب شديد الجفاف !

وانا طفل ، كنت أكره حصة الجغرافيا لانى لم اتعود ان ارسم الخرائط باتقان ، وكان نصيبى الضرب بالمسطرة فى ايام البرد الشديد .

كنت اتعذب ولكن احساساً خفيفاً يبدد عذابى ، كان حلماً من احلام اليقظة انه يوماً ما ، سوف امسك بيدى «تعاريج» هذه الخرائط .. وتطأ قدمى ، هذه الأرض ، واهتف كما صاح ارشميدس «وجدتها» ، يوماً ما ، سوف احقق هذا الحلم ، لن ارسم الخرائط .. ولكنى سوف اعانقها وتحضنها عيناى !

— ٢ —

منطلقا من هذا الايمان باهمية الرؤية حزمت امتعتى وتخففت من كل شىء الا من «مال» يكفينى ويسلحنى ضد المجهول

وركبت طائرة نيتها .. اليونان ! لماذا اليونان ؟ لانها أرض ، اجد فيها نفسى . زرت أوروبا او معظمها ، فاكتشفت اننى فى اليونان ، أعيش طفولتى وصباى . ماذا منها على وجه التحديد ؟ لاأدرى . ربما علاقة كيميائية بين الانسان والمكان تنمو دون أن تخضع للتحليل ! ان للفليسوف المعاصر ارثر ميللر قولا دقيقا انه يرى اية معادلة من الفهم تنشأ بين الانسان والجدران لابد انها تعود الى طفولته البعيدة لو رغبنا فى التأصيل . ! ربما كان فى طفولتى ما يجعلنى اهفو الى هذه الجزر الموغلة فى القدم . هل هو عطر التاريخ ؟ هل هو مذاق الحكمة بوصفها ارض فلسفات ؟ هل هى حزام الزيتون ، كما كان يسميها أحد قادة حلف الاطلنطى فى الخمسينات ؟ ربما !!

ولكنى حزمت امتعتى .. ومضيت !

— ٣ —

لقد ظل مؤرخو الغرب لفترة طويلة يعتقدون أن مهد المدنية الغربية كان أرض اليونان ، ولكنهم اكتشفوا فيما بعد ان المدنية رأت أول مارأت النور ، هناك على ضفاف النيل .. ودجلة !

إن مؤرخاً مثل جورج سارتون .. يعتقد أن الدارسين وقعوا فى خطأ كبير عندما تصوروا أن «العلم» كان مهده اليونان ، و «الدين» كان مهده فلسطين . ويستطرد جورج سارتون فيقول : واقع الامر أن العلم اليونانى لم يكن بدءا لحركة علمية ولكن كان ذروة لجهود علمية ترجع الى ما قبل الف عام . فهناك رسائل مصرية فى الرياضيات والطب تعود الى القرن السابع عشر . لقد تعود اطباؤنا أن يسموا ابو قراط «ابو الطب» .. ولكن من الخير والانصاف أن يذكروا أن "ابو قراط" .. ليس رأس الطب ولكنه يقف فى منتصف تاريخ الطب بين امحوتب وبيننا !

كان امحوتب وزير فرعون سوسر وطبيبه ، واشتغل بالطب فى مصر من القرن الثلاثين قبل الميلاد !

ان هناك علاقة «مصاهرة» بين

الحضارتين المصرية واليونانية . فقد زار هيرودوت مصر وكتب نشيداً بفضل الحضارة المصرية على اليونان

بعضاً من التاريخ ، وانا أمضى الى ارض المعارف . ان الفلسفة هى خير ما ابتدعه العقل اليونانى ، وكانت الحضارة الاغريقية الخلاقة معيناً فياضاً نهلت منه الأمم من شتى مشارق الأرض ومغاربها .

ومن ينسى ان الاغريق ، كان أول شعب نادى بالحرية الفردية . من هناك خرجت للدنيا كلمة «ديمقراطية» .

— ٤ —

العاصمة اليونانية المعاصرة اثينا ، صارت كعواصم العالم ، لها وجه سياحى خلاب ! فهناك اثينا ، الفكر والذهن المشتعل ، وهناك اثينا السياحة والبحث عن الدولار بين الجيوب وحقائب السفر !

فى اثينا القديمة كان سقراط يسير فى الطرقات ويتحدث مع الناس ويجادلهم الى ان يقودهم الى الصواب ! فى اثينا اليوم يجوب الطرقات بشر يتحدثون همساً مع الناس ، يحاولون اقناعهم ليقودوهم الى الخطأ ! هؤلاء يميزون وجوه الغرباء مثلى فى ثوان وبلا اى جهد ! فالغريب يتطلع بنظرة الى كل شىء لانه لم يفقد بعد اللهفة الى رؤية الاشياء .

فى اثينا القديمة ، لم يكن التعليم مقصوراً على دور خاصة .. بل كانت في المجتمعات والاسواق .. والملاعب وفى الاجتماعات السياسية والمسارح وفى الاماكن العامة كانت تروى اشعار «هومير» لقد هيأ المناخ المعتدل استثمار «الخلاء» وربما كان هذا من اقوى عوامل الديمقراطية .. وشىء آخر ، لعله فن التمثيل !

وفى اثينا اليوم شاعر تعدى التسعين يقول «ما كانت اثينا تصل الى هذا المجد ، لو ان اهلها التصقوا بجدران بيوتهم» . يقول ليتليسيس ، الذى حصل على جائزة نوبل منذ ٥ سنوات فى قصيدة من اشهر قصائده «نعى .. لاثينا القديمة» !

إن الشاعر اليونانى المعمر لايحب الوجه السياحى لاثينا . يقول انها تطمس ماضى هذه المدينة بالتراب والوحل !

— ٥ —

ليلة السبت فى أوروبا ، ليلة مثيرة كلها صخب .. وسمر وسهر ربما حتى الفجر ، فى لندن يسهرون فى حى سوهو . فى باريس يسهرون فى الحى اللاتينى . فى امستردام يسهرون فى حى العائلات الذى لايمت بالطبع لاى جو عائلى ! فى اليونان ، وفى اثينا بالذات يسهرون فى البلاكا . الحى القديم الضيق الحوارى !

البلاكا ، كلمة يونانية فشلت فى معرفة معناها ، لكن كل الذين سالتهم قالوا إن معناها شىء يمت بصلة للمرح ! ولست أنوى دراسة الادب اليونانى لأرهق نفسى فى التوصل لمعناها .. ولكن يكفينى انها بالفعل لها دلالة المرح والفرح ! ففى البلاكا ، يرقص الناس فيتحررون من همومهم . قال مرة انطونى كوين «الرقص اليونانى يجعلنى افقد نصف وزنى من همومى الروحية الخاصة ...» .

لايغار من شهرة اثينا — اليوم — الا جزيرة كريت ، اقدم جزر اليونان . لماذا ؟ لان لجزيرة كريت تاريخاً لقد نشات اول حضارة للاغريق فى جزيرة كريت ومنها انتقلت الى جزائر بحر الأرخبيل والى جنوب ووسط اليونان وسواحل آسيا الصغرى . وبين انقاض كريت ، ما يدل على هذا التاريخ . حتى ان الكريتيين القدماء كانوا يعرفون نوعاً من الكتابة لم يستدل احد على فهم رموزها حتى الآن !

إن «مينوس» كان أول ملوك كريت وكان له اسطول كبير جعلها تهيمن على المياه الاغريقية . وهناك اسطورة تقول ان الاثينيين فى وقت سيطرتها عليهم كانوا يرسلون كل عام سبعة شباب وسبع فتيات الى ملك كريت قرباناً لوحش يسمى المينلكور .. وكان هذا الوحش فى قبو القبة بقصر الملك .. وكان القصر كثير الردهات والممرات التى يضل فيها الانسان !!!

— ٦ —

ولا تزال جزيرة كريت تحتفظ بعفافها القديم وترفض أن تهتكه للسياحة ، مهما كان الاغراء . انها كما يقول الشاعر الأردني حيدر محمود « سافرت فـي الحضارة وحافظت على ثوبها المطرز » !

تغار كريت من شهرة اثينا ، ولكنها ترفض ان تسير على نهجها ! .

فى البلاكا ، قابلت اسرة قادمة من كريت . جلست تستمع للغناء اليونانى باحساس الضيق والتبرم ! قال رب العائلة الكريتى .. اثينا تنزف من أجل دولار الغرباء .

وعندما يلمح مغنى البلاكا ، اسرة من كريت ، فانه يعتذر قبل الغناء لها كانه يريد ان يقدم لهم فناً اصيلاً .. ولا يستطيع . كانه يريد أن يقول هـذا الفن ليس لكم .. ولكن للسياح ! وسمعت من يقول ان الانسان الكريتى له ذوق حساس للغاية . وعندما ذهب ديميس روسوس ليغنى مرة فى جزيرة كريت ، وقف يقول .. ها انا استعد للامتحان ..!

ويبدو ان الكرايته اعجبهم هذا الاستهلال وهذا الاعتراف بخطورة ذوقهم فصفقوا له كثيراً خصوصاً عندما غنى اغنيته الشهيرة .. زوجه من كريت تساوى كل الرجال .. ! وفى الأغنية عبارة تقول .. ما احلى انتظار الزوجة المخلصة للرجل العائد من رحلة مجد أو تعب .. هكذا تصف الاغنية المراة فى الجزيرة القديمة !

— ٧ —

حى البلاكا .. من اغرب احياء اليونان وأوربا عموما . انه حى الغناء حتى الموت والرقص حتى الموت ! لاشىء معقول . لاشىء وسط . فى الصيف ، تكون عروض الرقص والغناء فوق اسطح العمارات . وفى الشتاء ، يهبطون الى الأدوار السفلى ! احياناً يغطون الاسطح بطريقة لاتسمح للبرد ان يتسلل او للامطار ان تقلق الزوار وتعكر صفوهم . ويمضى الليل وتستقبل اذنك زئيراً . بل نزيف

● المغني اليوناني يبكي شجرة زيتون .. كما ينتحب على حب ضاع !

حناجر .. ويخيل اليك ان الدماء سوف تسيل بعد قليل ! فالذى يغنى يكاد يموت ! انه يغنى احيانا من اجل شجرة زيتون .. وتتصور من فرط النجوى والشكوى والاحتراق انه يبكى حبا قد ضاع . انه حين سمع انهم قد ذبحوا شجرة الزيتون لانهم سيبنون فندقا يصرخ ويشتم سكان الفندق القادمين ويقول لهم لو عرفتم انكم جئتم مكان شجرة زيتون .. فلن تهنأوا بالاقامة !! يغنى مغنى البلاكا بحرقة شديدة ، ويصل الى قمة العذاب ، حين يرقص الما .. او يتالم رقصا ! قل ما تشاء .. لكنها تقاليد البلاكا التى تنتهى بمشهد يتكرر كل لحظة . الاطباق يكسرها السياح عند قدمى المغنى او الراقصة . زمان ، كان الزوار يكسرون اطباق المحل وكان صاحب البلاكا يصرخ . وفيما بعد ، اصبحت هناك «اطباق جاهزة للكسر» مصنوعة من مادة معينة .. توضع عند اشارة السائح والغريب !

من الممكن وانت جالس ان تمر سيدة عجوز تبيع لك الزهور ثم تعرض عليك ان تقرا كفك !

بالعودة للتاريخ ، كان الاغريق يؤمنون بالنبوءات .. وما كان احدهم يقدم على عمل هام إلا اذا قيل له ان طالعه سعيد وانه سيكون موفقا فيه .. وكانت اشهر مصادر الوحى فى مدينة «دلفى» حيث اقيم هناك معبد بين الصخور وكانت تقيم بالداخل ، راهبة تجيب على كل ما يوجه لها من الاسئلة بعبارات غامضة .. يفسرها الكهنة للسائلين !

— ٨ —

بعض اغانى البلاكا .. اساطير قديمة برؤية حديثة !

من هذه الحكايات القديمة .. قصة المغنى الذى كان يهيم بحب ، آلـــة الموسيقية « وزوجته الجميلة يوريديس » .. والذى كان اذا مر باصابعه على اوتار جيتاره طربت عند سماعه كل الاحياء وسعت نحوه لتستمتع بالالحان ، فتطير الطيور الى الشجرة التى يغنى تحتها .. وتزحف الافاعى من جحورها .. وتخرج الوحوش من غاباتها ، وكانت الزوجة الجميلة تطرب لموسيقى زوجها حتى قبل زواجه منها . وصحبها ذات يوم الى نزهة فى الحقول واذا بها تصرخ لان حية لدغتها ويجرى «اوزفيس» ليستطلع الخبر فيجدها جثة هامدة . ويقضى

● جزيرة «كريت» سارت فى شارع الحضارة وحافظت على ثوبها المطرز !



الزوج الحزين ايامه هائما على وجهه ، يغنى ويرقص فى الشوارع الما . ويستبد الحزن به فيذهب الى كبير معبوداتهم يطلب منه ان يسمح له بدخول مملكة الاموات ليعود بزوجته وتستمر الاسطورة لتعبر عن ان الفراق فى حياة الاحياء حقيقة .. وانه قادم ولاشك !

إن المغنى المعاصر ياخذ هذه الاسطورة وغيرها ، ليكتب شيئا مستمدا من الفكرة الاساسية ، ثم يضع «عبارة» يرددها .. حين يستبد به الشجن . عبارة اشبة بالمذهب فى الغناء العربى !

الليل يمضى فى البلاكا . عشرات بل مئات الملاهى يختلط اصواتها وموسيقاها وتفشل احيانا فى تميز من اين ياتى الصوت . وكل الجنسيات تسعى الى المكان .. وتكسر الاطباق ، وهى عادة قديمة جدا ولها اصل تاريخى . يقال ان الناس فى إسبرطه القديمة كانوا يكسرون الاطباق تحت اقدام الرهبان ايام الاحد كجزء من طقوس السعادة والامتنان . وظلت هذه العادة تنتقل من جيل الى جيل حتى استقرت .. فى البلاكا !!

— ٩ —

البلاكا .. ليلة السبت ، وكل ليلة هى تلخيص للمجتمع اليونانى !

إن الاغنيات والرقصات تسللت الى عاداتهم القديمة والتى مازالوا مخلصين لها بشدة !

سمعت المغنى يشدو ، والفتيات يرددن وراءه بسعادة ، فلما طلبت ترجمة ما يقول ، عرفت انه يطلب منهن ان تحمل كل واحدة وعاء وتذهب به الى اقرب بئر وتقول كل واحدة : ها انا ذاهبة .. لأجرب حظى !

ما الحكاية بالضبط ؟

فى الثالث والعشرين من ديسمبر من كل عام ، تملأ فتيات القرى الأوعية من الآبار .. دون ان تنطق الفتاة بكلمة .. وعندما تنتصف ليلة عيد الميلاد تلقى كل فتاة ذلك الماء الذى جلبته من البئر على نوع خاص من الحشائش ثم يخلط ذلك بشىء من الطعام او الشراب اعتقاداً منهن بأن من اكله او شربه من الشبان لابد ان يتقدم ويخطبها ويهيم بحبها !

هذه العادة او عادات اخرى — بالفعل — لازالت تحكم اليونانى الحديث . هناك قديس اسمه «باسيلى» يحتفلون به فى اليوم الاول من يناير . وقديس آخر اسمه «نيقولا» يسمونه راعى البحار . ولو انك دخلت بيت اى بحار فى هذا العيد لوجدت على مائدة الطعام مكانا خاليا وصحنا وملعقة وسكينا .. وتراه يقول : هذا مكان القديس نيقولا وهو لابد آت ليبارك طعامنا .. .

— ١٠ —

لم ينفصل الماضى عن الحاضر فى بلاد مثل اليونان . بل ان الماضى يدخل فى عروق الحاضر بشكل لامثيل له .. وفى جامعة اثينا العريقة دراسات هائلة عن تراث اليونان التى تحاول وزيرة الثقافة اليونانية ميلينا ماركورى الان ان تعيد صياغته .. وتغربله .

هناك دراسات عن «البلاكا» . الحى القديم فى اثينا . الدراسة ترمى الى مرمى هام وهو «معتقدات» اليونان التى لم تهاجر من حياتها العصرية . ويقول لى استاذ جامعة : «لو هاجرت هذه المعتقدات والعادات من حياتنا فسوف نختل حقا» !

ويبدو ان هذا حقيقى الى حد كبير .. وكذلك لا يتأفف اليونانى من «البلاكا» ولا يتنكر لها .

لماذا ؟

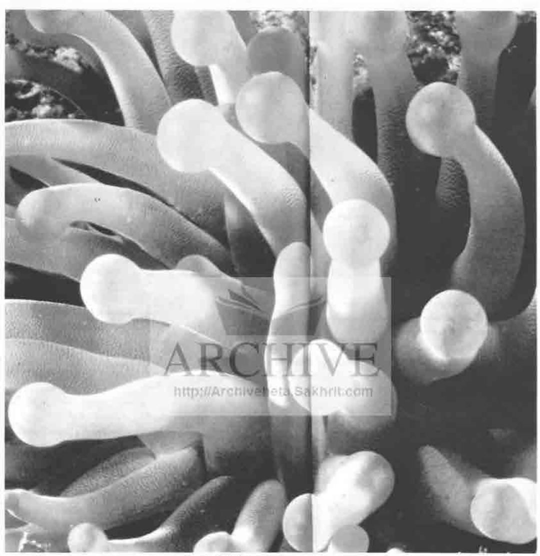
لانها «الواحة القديمة» وسط مدينة عصرية شديدة التعقيد ! تذكرهم البلاكا .. بفجر الايام ، فى اليونان . كما تتذكر ايام الحب الاولى .. اللهفة والاشواق .. واللمسات والهمسات . انها لاتضيع ابداً

مفيد فــوزى

الحياة والموت في بحر ملون

بقلم:
صنع الله إبراهيم





لوامس واحد من الشقائق البحرية الضخمة .. وتحمل هذه اللوامس الافا من الخلايا اللاسعة الميكروسكوبية

مضت عدة دقائق ، والسمكتان تدوران حول بعضهما فى بطء .

احداهما كانت سردينة قاتمة ، يتدرج لونها من رمادى الى أسود فاحم ، وفمها مقوس لأعلى ، كى يساعدها على التقاط ما ينتشر قرب السطح من كائنات صغيرة شهية .

والثانية كانت على العكس زاهية الألوان ، ترفل فى ثوب احمر تعترضه شرائط بيضاء ، ولها فك قوى عريض ، يتسع لكائنات تماثلها فى الحجم .

وفيما عدا هذا لم يكن ثمة ما يفرق بينهما فى السمت . فراساهمـــا منخفضتان ، وزعانفهما منتصبة ، وظهراهما مقوسان كظهور القطط الغاضبة .

الهجوم الغريب

اندفعت السردينة فجاة نحو السمكة الأخرى ، لكن هذه مالت على أحد جانبيها ، وتركتها تمر من فوقها ، ثم اعتدلت بسرعة خاطفة ، وقامت بقفزة كبرى فى الماء ، وضعتها أمام السردينة بحيث اعترضتها وحالت بينها وبين الهرب .

اصابت هذه المناورة السريعة السردينة بالارتباك ، فعاودت الهجوم وهى تتذبذب مثل الشوكة الرنانة . لكنها لم تعد تدرى ما يجب عمله على وجه

التحديد .

والواقع ان سلوك السمكة الأخرى التى تعرف فى عالم الأسماك باسم «المهرج» ، كان يبعث على الحيرة .

كانت السمكتان متماثلتان فى الحجم، لكن التفوق العضلى للمهرج كان واضحاً وهو الذى اعترض طريق السردينة وناوشها بعدوانية واضحة .

ومع ذلك فانه لم يحاول مهاجمتها من الجانب كما كان منتظراً منه ان يفعل . فعن هذا الطريق وحده يمكنه ان يقلبها رأساً على عقب ، بحيث يستطيع ابتلاعها من جهة الرأس .

وبدلا من ذلك جعل يضرب ذيلها برأسه ، ويقرضه بأسنانه ، كأنما يفكر فى ابتلاعها من هذه الناحية ، وهو ما لا تفعله الأسماك عادة كى لا تقف الزعنفة الظهرية الشوكية للفريسة فى رقبتها .

واخيرا تخلى المهرج عن مهاجمة ذيل السردينة ، واكتفى بأن يدور حولها ، وهو يرفع زعنفته الظهرية ويخفضها مرة بعد اخرى ، فى اشارة تهديدية واضحة .

لم تدرك السردينة ما يرمى اليه المهرج .

لكنها كانت تتحرك ، دون ان تشعر ، فى الاتجاه الذى يدفعها اليه تماما ، مقتربة من احدى صخور الشعاب .

وعلى حين غرة ، غاصت فى الماء وقد خفضت زعانفها ، استعداداً للهرب . لكن المهرج كان اسرع منها . ولم يلبث ان قبض على ذيلها بأسنانه ، وقذف بها فى قوة نحو الصخرة . وقبل ان تنتبه لما حدث ، لحق بها ودفعها بمقدمة رأسه فى عنف ، بحيث اوشكت ان ترتطم بالصخرة .

شعرت السردينة بالدوار من اللطمات المتتابعة ، فكفت عن المقاومة .

لكن الأطراف العصبية المنتشرة على خطها الجانبى ، التقطت ذبذبات غريبة فى الماء . واستطاع منها ان يحدد المصدر على الفور ، فلوت رأسها فى حركة سريعة وبطرف عينها رأت الزهرة الماثلة على جانب الصخرة .

استولى عليها الذعر لمرأى الزهرة ، فاستجمعت قواها ، واندفعت نحو المهرج فى هجمة يائسة .

ورآها هذا تشق الماء نحوه فى تصميم ففقد ثباته وجراته ، والتجأ مسرعاً الى البتلات القصيرة المتلئة للزهرة ، فاندس بينها .

ولم تجرؤ السردينة على ملاحقته بين بتلات الزهرة ، فتوقفت على مسافة امنة منها ، ثم لوت ذيلها لتلوذ بالفرار .

لكن المهرج كان لها بالمرصاد . فقد غادر مكمنه ، مستعيداً المبادأة ، واعترضها موجها اليها لطمات قوية من رأسه ، صوبها بعناية ، بحيث جعلتها تقترب تدريجيا ، رغما عنها ، من الزهرة المرعبة .

الخلايا المميتة

كانت الزهرة التى تشبه احدى زهور الداليا المعروفة ، تعلو ساقاً اسطوانية قصيرة ، لا يزيد طولها عن بضعة سنتيمترات ، استقرت قاعدتها فوق حافة الصخرة ، بالقرب من زهور اخرى متنوعة الألوان ، بين برتقالية وخضراء وارجوانية ، تتفاوت احجام بتلاتها ، بين عريضة كأوراق الأشجار ، ورفيعة مثل انصال الحشائش .

اما الزهرة شبيهة الداليا فكانت لها بتلات قصيرة ممتلئة ، تلاعبت بها المياه فى حركات وادعة جميلة .

لكن شيئاً غير الشكل وحده ، لم يكن يربط هذه «الزهور» بعالم النبات فهى ليست سوى الحيوان الذى يعرف باسم الشقيق البحرى ، لمشابهته لشقائق النعمان البرية .

المهرّج



هذا العصفور الجالس فوق شجرة ليس سوى سمكة خارجة لتوها من البيضة وما زالت تتغذى على كيس المح الذى يبدو ملتصقاً ببطنها

وهو ينتمى إلى نفس العائلة التى تضم البوليب المرجانى بين افرادها . ذلك انه يشبه البوليب المرجانى فى تركيبه ، وشبيهته للافتراس ، بل ويحمل نفس الخلايا اللاسعة المميتة التى تحملها اغلب المرجانيات ، ولا تميز بين الاثنين غير فروق جد محدودة .

فبوليب الشقيق لا يفرز جيرا ، كما تفعل مرجانيات عديدة ، ولهذا يبدو جســـده العضلى دائما عاريا ، دون هياكل خارجية صلبة . كما يعيش كل بوليب ـ عادة ـ مستقلا عن غيره ، دون ان يشترك فى تكوين مستعمرات جماعية وهو فى العادة كبير الحجم بصورة واضحة .

على ان الفارق الجوهرى بين الاثنين ، يتمثل فى خاصتين ، تجعلان من الشقيق حيوانا اكثر رقيا فى سلم التطور .

فهو قادر على الحركة ، إذ إن القاعدة التى يستند إليها فوق الصخور ، تتالف من قرص عضلى لزج يتشبث الحيوان عن طريقه بالصخور فى شدة ، بحيث تؤدى اية محاولة لاجتذابه إلى تمزيقه .

ويمكنه هذا القرص اللزج من تغيير موقعه بالانزلاق البطىء فوق الصخور .

ويتصل بهذا ان للحيوان شبكة عصبية متطورة تتحكم فى عدة مجموعات من العضلات المتخصصة .

ووجه تطورها عن الجهاز العصبى البدائى للبوليب المرجانى ، هو قدرتها على التنسيق بين العضلات المختلفة .

وهى على قدرة محدودة للغاية ، إن لم تكن معدومة تماماً ، لدى المرجان .

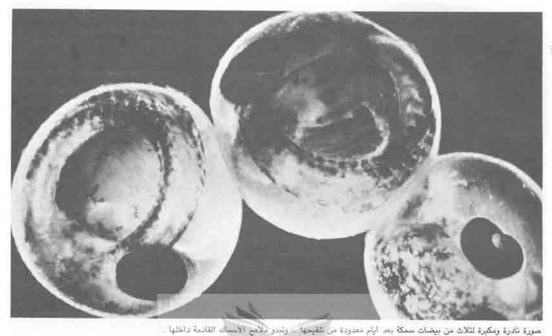
داخل جوف السمكة

اصبحت السردينة على مبعدة سنتيمترات من بتلات الزهرة المفترسة .

وكأنما شعرت البتلات او اللوامس باقترابها ، فقد تمددت وانتفخت ، وامتدت اطرافها المدببة نحو الأمواج الخفيفة التى احدثتها السردينة فى الماء .

وفي حركة تشى بنفاد الصبر ، انقض المهرج على السمكة المذعورة ، واطبق اسنانه على ذيلها .

كان قد ازدرد زميلة لها منذ ساعتين ، ولهذا لم يمسها بأذى ، وانما حملها بين اسنانه وعام متجهاً الى لوامس الشقيق مباشرة .



صورة نادرة ومكبرة لثلاث من بيضات سمكة بعد أيام معدودة من تلقيحها .. وتبدو ملامح الأسماك القادمة داخلها .

خفقت لوامس الشقيق في انفعال ، وقد توترت اطرافها للغاية ، وبدا كان الحيوان الأعمى يقوم بمحاولة جاهدة لاستكشاف المياه المحيطة به .

فقد حدس بالتجربة من حجم الموجات المتتابعة التى ترتطم به ، وقوتها ودرجة ترددها ، ان ثمة فريسة تقاوم .

ولم يلبث طرف احد لوامسه ان اصطدم بها . وعلى الفور تحركت شعيرات دقيقة فوقه ، كما يتحرك الزناد ، مما ادى الى تفجير كبسولات دقيقة مخبأة اسفل كل منها ، داخل جلد اللامس ، انطلقت منها خيوط دقيقة تنتهى باشواك مثل الخطاطيف ، انغرزت فى لحم السمكة التعسة .

وافرزت الكبسولات سائلا ساما انساب فى مجارى دقيقة داخل الخيوط .

حاولت السردينة عبثا التخلص من هذه المحقنة السامة . فقد كان المهرج ما يزال قابضا عليها بقبضة من حديد . ومن ناحية اخرى ، كانت الاشواك الخطافية التى يحملها كل خيط ، تمتد فى اتجاهات مختلفة ، اغلبها على عكس اتجاه الخيط نفسه ، مما يجعل انتزاعه امرا شبه مستحيل .

والأهم من هذين العاملين ، ان التيار العصبى الذى اطلق كبسولات احد اللوامس ، انتقل الى اللوامس الاخرى بالتدريج ، فانهالت السهام المسممة على السردينة . وفى ثوان معدودة كان الشلل قد اصابها ، فتوقفت عن الحركة تماما .

واذ شعر الشقيق بما طرا على جسد السمكة من ارتخاء شامل ، امتنع عن اطلاق السهام . وهنا تقدم المهرج بحمله بين اللوامس ، نحو القرص الدائرى الذى يعلو جسد البوليب ، تتوسطه فتحة واضحة تقوم بدور الفم والشرج فى آن واحد ، فالقى بالسمكة المخدرة فوقها ، واستدار منصرفا .

واتسعت الفتحة لتبتلع الفريسة ، لكنها عجزت عن ذلك .

فقد كانت السمكة كبيرة الحجم .

كف الشقيق عن كل حركة لحظات ، وما لبثت العضلات الطولية التى تمتد على جسده فى احزمة بارزة من اعلى الفم الى اسفل ، ان ضاعفت تمددها ، واتسعت فتحة الفم بالتدريج نتيجة لذلك ، حتى تجاوز قطرها الخمسة سنتيمترات .

وانزلقت السردينة من فتحة الفم الى المرىء .

وفى الحال نشطت حركة الاهداب الطويلة المثبتة فى شقوق بمدخل المرىء والتى تعمل طول الوقت فى اجتذاب الماء داخل بطن البوليب ، ليزوده بحاجته من الاوكسجين .

وكان ثم مجموعة اخرى من الاهداب عند اتصال الفم بالمرىء ، تتحرك فى الاتجاه المعاكس ، كى تدفع إلى الخارج بفضلات البطن والمياه المحملة بثانى اكسيد الكربون . وقد عكست هذه الأهداب الان اتجاهها ، وتعاونت مع المجموعة الأخرى فى اجتذاب السمكة داخل المرىء ، ومنه فى الكهف الهضمى او البطن .

وسرعان ما تدفقت العصارات الهضمية من جدران الكهف الداخلية ، بينما عرتها تقلصات حادة ، طحنت السمكة بين طياتها ، وحولتها الى عجينة لينة ، يسهل اذابتها وامتصاصها

حيرة العلماء

فى هذه الاثناء كان المهرج يمرح راضيا بين لوامس الشقيق .

فهذا ما توحى به الحركات البهلوانية التى تصدر عن عضلاته وزعانفه (والتى ربما جلبت له ـ بالاضافة إلى الوانه ـ

بعض الشقائق البحرية التى تتميز بأحجام ضخمة

الاسم الذى اشتهر به بين الأسماك) بينما هو يتنقل بين اللوامس فى خفة ورشاقة ، غير هياب ولا وجل .

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الخوف . فاللوامس التى تطلق سهامها الفتاكة على من يغامر بالاقتراب منها ، تتعرف على المهرج بسهولة من حركاته البهلوانية المميزة ، فتتحاشى إيذاءه .

وهي ظاهرة حيرت العلماء زمناً طويلا وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى . فقال البعض إن جسم المهرج تكسوه مادة معينة تجعله آمناً من سم الشقيق . لكن هؤلاء فشلوا فى تعليل امتناع الشقيق عن إطلاق سهامه على المهرج . فاذا كانت البوليبات المرجانية تطلق سهامها بمجرد أن يحتك جسم ما بلوامسها ، فان الشقيق



لا يفعل هذا إلا بعد أن يتخذ جهازه العصبى المركزى قراراً فى الأمر .

ويميل أغلب العلماء إلى الافتراض بأن الحيوانين قد توصلا ، عبر ملايين السنين ، إلى نوع من الاتفاق الضمني يقوم على أساس تبادل المنافع ، وهي ظاهرة شائعة بين مختلف أنواع الكائنات الحية .

فالطبيعة لم تزود المهرج بوسائل دفاع أو هجوم يعتد بها ، وأمدته فى الوقت نفسه بشهية بالغة للحوم ، ولحوم الأسماك الأخرى بالذات .

وهي قد أمدت الشقيق بشهية مماثلة ، وقدرة على ابتلاع أجسام تفوقه فى الحجم ، وحرمته من نعمة الأبصار وسهولة الحركة ، بعد أن عوضته عنها بخلايا لاسعة فوق لوامسه .

ولابد أن المهرج اكتشف فى وقت من الأوقات ، ملجأ أميناً بين هذه اللوامس يحميه من الأسماك التى تبزه فى القوة ووسائل الافتراس ، ومنصة جيدة التحصين ، يعمل من فوقها .

ومن المحتمل أنه كان يحمل فائضاً من الطعام ، عندما اقترب من الشقيق للمرة الأولى ، فاتاح للأخير أن يشبع جوعه ، فهدأت مشاعره العدوانية ، وامتنع عن



مهرج البحر الأحمر الشهير بين لوامس شقيقة !

استخدام اسلحته الدفاعية . وما لبثت الحركات البهلوانية للمهرج أن وجدت هوى فى نفس الشقيق ، لما احدثته من تدليك لطيف للوامسه ، وهي إحدى النتائج الهامة التى توصل إليها رائد علوم البحار المصـري د. حامد جوهـر عام ١٩٤٥ ، فى اعقاب ابحاث طويلة بدأها فى عام ١٩٣٢ .

ولم يكن من العسير بعد ذلك ، ان يتحول الاكتشاف المتبادل إلى عادة فعلاقة متوارثة بين الحيوانين ، يحرصان عليها ، ويستمتعان بثمارها .

شعر المهرج بالجوع فجاة ، فتسلل بين اللوامس حتى أشرف على فم الشقيق .

كان هذا قد انتهى من هضم جسد السردينة ، وعجز عن هضم راسها فلفظها ، ثم انقبضت عضلاته ،وضاقت فتحة الفم تدريجياً تبعاً لذلك حتى انغلقت تماماً ، وبقي راس السمكة بجوار الفتحة المغلقة .

التقط المهرج راس السردينة بفمه ، وابتلعه ثم استانف تجواله بين اللوامس فى قلق ، فقد كان مايزال جائعاً .

والواقع أن شهيته تفتحت فى الأيام الأخيرة بصورة لم تحدث من قبل . ورافق ذلك ظاهرة اخرى ، إذ اكتسبت الوانه لمعاناً خاصاً . اما السبب فى كلا الأمرين فهو النشاط الهرمونى الذى يسبق التكاثر .

التقطت اعصابه الجانبية حركة غريبة فى المياه ، فابرز راسه من بين اللوامس .

كان ثمة نشاط غير عادى بين الأسماك يوحي على الفور بالطعام . واستحث الجوع فضوله ، فانطلق الى الخارج .

لمح عدة ذكور من سمك «أبو شريطة» الذى يتميز بشرائط عريضة داكنة حول جسده ، تطارد انثى ممتلئة من نفس النوع . وتتبع المهرج الذكور على مهل ، فراى الأنثى تتجه الى اكثر الزوايا ازدحاماً بالكائنات الدقيقة ، وتشق طريقها كالزجزاج بين التكوينات المرجانية ، والأسماك الأخرى فى أعقابها .

ولحظ المهرج أن الأنثى تزداد انتفاخاً باطراد ، وما لبث أن برز من تحت زعنفتها الشرجية شريط ابيض .

أثار هذا المشهد الذكور ، فاقبلوا

يحتكون بالانثى ، ويدفعونها هنا وهناك ، بينما الشريط يزداد طولا ، ويتكوم فى ثنيات متلاصقة فوق بعض الطحالب ، الى ان انفصل عن جسد الانثى .

تزاحمت الذكور على الشريط ، وانقض البعض على اجزاء منه يلتهمها بينما انزلق آخرون فوق مادته الرغوية الناعمة ، وهم يطلقون غددهم التناسلية فى الماء . وحمل التيار شيئاً من هذه الغدد الى الفتحات الانفية وبراعم التذوق لدى المهرج ، فالهبت شهيته .. للأكل .

لكن المهرج غالب رغبته فى التقاط البيض خوفاً من عدوان الذكور . وتحول يلتمس بغيته فى «سيبيا» صغيرة ، من اقارب الحبارات والأخطبوطات ، لمحها بركن عينه فوق كتلة من الاسفنج الأحمر.

وما إن بلغ مكانها حتى الفاها قد اختفت داخل احدى الفتحات الدائرية التى تنتشر على سطح الاسفنج ، تتخللها المياه ، لتزود الحيوان الغريب – المجرد من اية اعضاء او حواس – بحاجته من الاوكسجين والطعام .

كان المهرج يعرف بالتجربة أن هذه الفتحات هى مداخل لممرات متفرعة تصب فى قناة رئيسية ، تفتح بدورها على الخارج . ولهذا اسرع يدور حول كتلة الاسفنج متلمساً الفتحة التى قد تخرج منها السيبيا ، ليواجه بمفاجأة غير متوقعة .

فقد اوشك ان يصطدم بسمكة فاتنة تحمل نفس الوانه ، مع ظلال زاهية بعض الشيء ، تنطق بالاضافة الى تضخم صدرها وبطنها ، بانها من اناث النوع .

نسي السيبيا وتجاهل ما يشعر به من جوع ، واقبل يمتص الافراز الرغوى فوق ذيل المهرجة التى اخذتها المفاجأة فجمدت فى مكانها . لكنها سرعان ما اندفعت تشق الماء مبتعدة ، والمهرج من خلفها .

كانت المهرجة على معرفة جيدة بممرات الشعاب ومخابئها ، فقادته الى شبكة معقدة منها ثم اختفت فجاة .

ظل يبحث عنها بين فروع المرجان ، وتحت مظلاته ، وخلف الصخور والاسفنجيات ، دون جدوى . واخيراً شعر بالتعب ، وتبين ان الضوء يتلاشى بسرعة ، منذراً بحلول الليل ، فقرر العودة .

انقاذ الصغار

عام وهو يتطلع حوله بحثاً عما يؤكل . وتجنب الاقتراب من مجموعة من الشقائق المختلفة الالوان ، بين برتقالية وخضراء ، وان اشتركت فى دقة اللوامس كثافتها .

اشرف على جحر بين الصخور استقرت فى مدخله استاكوزا ضخمة ، اكتسبت مظهراً مخيفاً من الوانها وزخارفها العجيبة ، والكلابين الضخمين اللذين مدتهما امامها بصورة تهديدية .

اوشك المهرج ان يستانف طريقه لولا ان لمح حشداً من الصغار اسفل الشعر الكثيف الذى يغطى اطراف سيقان الحيوان الغريب ، فثارت شهيته للصيد .

دار حولها متلمسا طريقة لالتقاط الصغار لا تعرضه للكلابين ذوى الاسنان الحادة . ودارت الاستاكوزا معه ببطء ، لتبقيه فى مجال رؤية عينيها ، المستقرتين فوق عضلتين طويلتين بارزتين من راسها .

وادت حركة الام الى تدحرج بعض الصغار ، وسقوطهم فى الماء ، وراهم المهرج يتلوون فى عجز ، فادرك انها الفرصة التى ينتظرها واندفع نحوهم .

قامت الاستاكوزا بحركة خاطفة من ذيلها ، وقفزت فى الماء وهى تمد كلابيها امامها . ورأى المهرج الكلابين يستطيلان ويقتربان منه ، فحاول تجنبهما ، لكن احدهما لم يلبث ان انطبق على زعنفته الصدرية فى قبضة حديدية لا فكاك منها.

جذفت الاستاكوزا باطراف سيقانها الخلفية عائدة الى جحرها . وما أن لمست الصخر حتى انزلت الأزواج الخمسة من سيقانها فوقه . ثم زحفت الى مكمنها ، ممسكة باسيرها ، تنتظر موته غرقاً . ولم يكن لديها شك فى هذا المصير ، لأن وضع المهرج بين طرفى كلابها كان يحول بينه وبين التنفس .

وفجاة ادركت الاستاكوزا ما لحق بصغارها .

ففى اثناء ملاحقتها للمهرج ، تبعثر هؤلاء فى الماء ، فاجتذبوا جماعات من السمك ، تدافعت لالتهام القشريات الصغيرة اللذيذة .

تخلت عن فريستها كارهة ، وهرعت تجمع بكلابيها اكبر عدد ممكن من الصغار ، قبل ان تاتى عليهم الأسماك .

وانتهز المهرج هذه الفرصة لينجو بجلده .

لكنه لم يتمكن من الابتعاد كثيراً .

فقد كانت خياشيمه تعمل بصعوبة بالغة ، كما تسببت الزعنفة التى احتوتها قبضة الاستاكوزا الحديدية ، واصبح عاجزا عن حفظ توازنه فى الماء .

التجا الى اول سطح ممهد قابله فارتمى فوقه ، وبعد ان استجمع قوته قليلا ، بحث عن شق امن بين الصخور ، فانزوى فيه .

هدأ تنفسه بعد قليل ، واستعادت خياشيمه حركتها الطبيعية ، لكن انتشار الظلام لم يشجعه على الخروج ، وقرر ان يبقى فى مكانه الى الصباح .

الحلم والواقع

قضى المهرج «ليلة مضطربة» ، حسب التعبير الذى يستخدمه ابناء البشر .

كان يعاني من الجوع والارهاق ، فما لبث ان غفا . لكن حواسه ظلت مستنفرة لالتقاط الروائح والأطعمة والذبذبات المنتظمة ، التماسا لأى بادرة توحي بالخطر ، ينتفض عندها من إغفاءته وقد انتصبت زعانفه ، فيزداد انكماشا فى حفرته . ثم يستانف النوم بعد ان يزول

المهرج



انواع مختلفة من الاسفنج



لقطة فريدة لعدد من الشقائق المتجاورة .. ويمكن بسهولة تبين الخلايا اللاسعة الدقيقة

الخطر .

وتجسدت مشاعره ومخاوفه فى صور مختلفة عبرت مخه . فرأى ، فيما يرى النائم ، انه يلتهم سمكة شهية ، ذات جسد رخص يخلو من الزعانف والأشواك بل والسلسلة العظمية الداخلية . ثم ألقى نفسه ملاحقاً من جانب سمكة عقرب مفترسة ، أوشكت ان تلحق به .

انتبه من إغفاءته وهو يرتعش من الرعب ، فوجد نفسه آمناً فى حفرته . وظل فترة طويلة عاجزاً عن النوم الى ان هدأ روعه ، وعندئذ عاوده الحلم . لكن السمكة التى طاردته هذه المرة ، وتمكنت من القبض على ذيله بفكيها ، لم تكن سوى الأنثى التى تسببت مطاردته لها فى كل هذه المتاعب . والأهم من ذلك انها لم تكن تبغى إلحاق الأذى به ، واكتفت بامتصاص الافراز الرغوى الذى يغطى جسده .

وكما حدث مع السمكة العقرب ، لم يجد اثراً للمهرجة عندما افاق .

لكنه عندما استعاد عافيته فى الصباح ، وانطلق مسرعاً بقدر ما يستطيع ، عائداً الى شقيقه ، شعر بمن يتبعه عن كثب . واكتشف بعد لحظة أن المهرجة هى التى تعوم فى أعقابه .

اشرف المهرج على الصخرة التى يعيش الشقيق فوقها ، والأنثى تتبعه على مسافة بوصة .

كان ثمة عدد من الشقائق المتشابهة المتقاربة ، تنتمى كلها الى نفس النوع ذى اللوامس القصيرة الممتلئة ، الذى يشبه زهور الداليا البرية . لكن المهرج تعرف على شقيقه بسهولة فتتجه اليه مباشرة ، بينما تشاغلت المهرجة بمطاردة احدي القشريات .

وقبل ان يبلغه بعدة بوصات ، ادرك المهرج ان شيئا ما قد حدث .

كان الشقيق منكمشاً على نفسه وقد تراجع قرصه الفمى باللوامس التى يحملها ، واختفى كلية داخل الساق الاسطوانية العمودية . وبدا الحيوان كله اقرب الى كتلة هلامية متجمدة ، ذات مظهر ذابل .

هرع المهرج الى صديقه وحاميه وآويه فاستقر فوق قرصه الفمى ، وجعل يتحرك فوقه بخفة ورشاقة ، كما لو كان يربت عليه فى عطف ، او كانما يعتذر عن غيبته الطويلة .

وحدثت المعجزة :

دبت الحياة فى كتلة الهلام الذابلة ، وتمددت الساق ببطء ، كاشفة عن الملامس وفتحة الفم ، وسرعان ما انبسطت الملامس الى اقصاها ، وخفقت فى حيوية ومرح .

وسواء كان السبب فيما أصاب الشقيق من اكتئاب نتيجة غياب صديقه هو تضاؤل فرص الطعام الذى يشبع شراهته ، او حرمانه من التدليك اللطيف للوامسه الحساسة ، الذى يقوم به المهرج طوال مرافقته له ، فانه استرد عافيته على الفور .

وبعد دقائق ، كان يبتلع فى حماس خيارة بحر صغيرة ، التقطها له صديقه من بين المرجانيات المجاورة .

الزائرة الخائفة

راقبت المهرجة ما جرى باهتمام بالغ .

وكان المهرج قد غادر اللوامس عدة مرات ثم عاد اليها على الفور ، كانما يستحثها على الانضمام اليه بينها ، ويريها انها لا تؤذى ولا تضر ، بل حاول ان يدفعها بفمه نحو الشقيق ، دون فائدة . فلم تسطع التغلب على خوفها الغريزى من الحيوان الغريب ذى اللوامس الخطرة .

لكنها لم تنصرف ، وظلت تحوم حول الصخرة ، وعينها على الطريقة التى يداعب بها المهرج اللوامس ، والكيفية التى يثنى بها جسده أثناء انتقاله بينها .

وبحلول الظلام ، استجمعت شجاعتها ، وتقدمت من اللوامس .

مرت بها لحظة عصيبة للغاية ، وهى تلمس احداها بطرف زعنفتها الصدرية .

توتر لامس الشقيق ، وتوقف لحظة عن الحركة ، وبدا كان الحيوان المفترس، المجرد من الحواس المألوفة ، يقوم بتحليل الأثر الذى تركته اللمسة المفاجئة .

كان ثمة شيء مألوف فى هذه اللمسة ، جعله يمتنع عن اطلاق صواريخه ، ويترقب اللمسة التالية فى اهتمام .

وساعده على ذلك أن معدته كانت ممتلئة ، فقد اطعمه المهرج سمكة كبيرة منذ هنيهة ، كانما يستبق هذا الموقف .

ثم ان المهرج نفسه كان يقبع هادئاً مطمئناً بين اللوامس ، مما يوحي بان كل شيء على ما يرام ، وان الزائر الغريب ليس عدواً ، ولا فريسة .

تشجعت المهرجة فمالت بزعنفتها الصدرية الثانية على لامس آخر ، وجاءت درجة ميلها ، والقدر الذى استقر منها على اللامس ، والمدة التى استغرقها احتكاكها به قبل ان تنتقل الى غيره ، مماثلا لما يصدر عن المهرج من حركات .

واذ لم تصدر عن الشقيق بادرة

عدوان ، سمحت المهرجة لبقية جسدها ان يلمس اجزاء اخرى منه .

وشيئا فشيئا ، تلاشى التوتر الذى استولى على لوامس الشقيق .

وتم قبول الزائرة .

ضحايا اليوم الموعود

قضت المهرجة الأيام التالية فى استكشاف امكانيات المأوى الجديد .

فالتنقل بين اللوامس مصدر لعب لا يبارى ، يتيح الاشتراك مع المهرج فى لعبة مطاردة واستخفاء لا تنتهى .

وفى حماية قذائفها الصاروخية ، يمكن اعتراض فرائس كبيرة الحجم بجراة ، والقيام بمغامرات عديدة كانت مستحيلة ايام الحياة فى العراء .

إلا أن الانتفاخ المتزايد فوق زعنفتها الشرجية ، جعلها تعزف تدريجياً عن اللعب والصيد ، وصارت تقضى اغلب وقتها فى استكشاف المنطقة المحيطة بماواها الجديد .

فقد كانت تختار المكان الملائم لوضع البيض .

بحثت فى عناية عن الأماكن التى لا يكون التيار فيها قويا بحيث يجرف البيض ، ولا يكون ضعيفا بحيث يحرمه من التهوية المناسبة . والتمست اكثرها دفئا ، واقربها الى ضوء الشمس ، وابعدها عن طريق الأنواع المختلفة من الأعداء .

وكان المهرج يلاحظها فى اهتمام ، يتزايد يوما بعد آخر ، كانما يدرك ما هى بسبيله .

وجاء اليوم الموعود اخيراً .

ومنذ الصباح بدت منتفخة للغاية ، ثقيلة الحركة ، تنوء بحملها . وعندما جن الليل ، لم تهجع كمالوف عادتها به ، وانما انتابها قلق غريب ، مست عدواه رفيقها ، فاخذ ينتقل بين اللوامس فى انفعال شديد .

وفجأة ارتعش جسد المهرجة ، واندفعت الى الخارج ، متجهة الى المكان



نوع آخر من سمكة المهرج ، يتميز بلونه الأسود وشرائطه البيضاء .



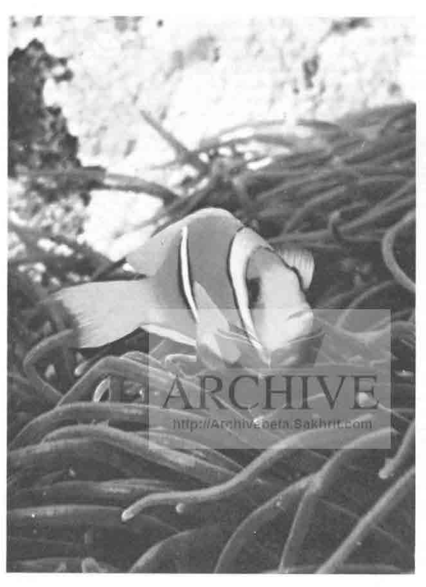
لقطة مكبرة لرأس المهرج بين لوامس الشقيق

الذى اختارته فوق سطح صلب لمرجانيات ميتة ، يتميز بنظافته من الرمال والطحالب ، فوضعت عدة مئات من حبيبات دقيقة برتقالية اللون ، طويلة الشكل ، استقرت متجاورة بصورة عمودية ، وقد التصقت قواعدها بالسطح الصلب ، فى مساحة لا تتجاوز اربعة سنتيمترات .

هرع المهرج خلفها ، وما أن انتهت من وضع البيض ، حتى عام فوقه وهو يطلق حيواناته المنوية فى ارتعاشات متلاحقة .

لم تغفل الأم لحظة واحدة بعد ان تم تلقيح البيض ، فكل عدة دقائق ، تخرج من بين أذرع الشقيق ، وتندفع نحوه ، ثم تتحرك أمامه الى الخلف والامام حركة اشبه بالرقص ، تنشا عنها تيارات فى الماء ، تهز البيض وتؤرجحه ، الأمر الذى يساعد على تنفسه .

وفى الصباح بدت البويضات اشبه بعصى غليظة ، يبلغ طول الواحدة منها



لقطة مكبرة لمهرج حمل الطعام لشقيقه بين فكيه ليطعمه .

ملليمترين ونصف ، وعرضها ثمانية اعشار المليمتر ، ذات قشرة ملساء شفافة تكشف عن مخ غزير ذى لون برتقالى زاه انتثرت فوقه خلايا صبغية سوداء .

والظاهر ان الذكر لم يتمكن من تلقيح كل البيض ، فقد تحول بعضه الى اللون الأبيض ثم تعفن ، وذهب طعاماً للحلازين واليرقات .

وداخل البيض الملقح كان يجرى نشاط عنيف . فقد جعلت الخلايا تنقسم وتتوزع الى طبقات من الأنسجة وأعضاء وتلاشى لونه البرتقالى الزاهى تدريجياً ، وحلت مكانه قتامة واضحة .

وفى اليوم التالى كان البعض قد مات من جراء ضعف وراثى ، وجرفت المياه بعضاً أخر لم يكن ملتصقاً بسطح الشعاب بصورة جيدة ، وتعرض الباقى لهجوم الديدان الزجاجية .

فقد ظهرت هذه الكائنات التى تقوم بدور التنين فى عالم الكائنات الدقيقة رغم ان طولها لا يزيد على نصف سنتيمتر ـ ظهرت فجاة باجسادها الرشيقة الشفافة ورؤوسها المتجهمة ذات الفكوك المسننة ، وشقت الماء مثل السهام مندفعة فى كل اتجاه لتمسك بأى شىء يقابلها ، من بيض وقشريات بل وابناء جنسها انفسهم .

وقبل ان تخف المهرجة للدفاع عن بيضها ، كانت الوحوش المفترسة قد التهمت بضع عشرات منه ، بينما



تبعثرت عشرات أخرى جرفتها المياه .
وهكذا لم يتبق من حوالى ثلاثمائة وخمسين بيضة وضعتها المهرجة سوى احدى عشرة بالتمام والكمال .

البحث عن الأمان

بدأ الجسد الخيطى للسمكة يتكون داخل كل بيضة من حول كرة المخ التى تمده بالحياة ، بعد ليلتين ويومين من الفقس والتلقيح .

وظهر تل رفيع أسفل الخط الوسطى ، سيتحول فيما بعد الى سلسلة فقرية . كما تكون انتفاخ كبير فى الطرف الامامى مكان الرأس القادمة ، يعلوه بروزان صغيران فى مكان العينين .

وفى اليوم الثالث ظهرت آثار دستة (درزينة) من العضلات ، على شكل الرقم ٧ ، فوق كل جانب من السلسلة الفقرية . وتجلى فص المخ من خلال انسجة الرأس الشفافة ، كما قاربت العيون الاكتمال ، وبدت نقاطا سوداء تتطلع الى البحر من خلف جدار البيضة دون أن ترى .

وفى فجر اليوم الخامس ارتعش كيس رقيق أسفل الرأس ، ذو لون قرمزى يعود الى ما يحمل من دماء ، وخفق ثم بدأ نبضه الثابت الذى سيستمر طول حياة السمكة .

وطوال ذلك اليوم مضى التطور بمعدل شديد . فعلى الذيل ظهرت حافة من النسيج ستتشكل منه فيما بعد سلسلة من الزعينفات ، مثل صف من الاعلام المرفوعة فى الهواء .

ونمت باطراد جوانب أخدود يمتد على بطن السمكة الصغير من أسفل تحميه صحيفة تتألف من أكثر من سبعين فصا من العضلات . وبعد الظهر انغلق هذا الشق مكونا القناة الهضمية . وازداد كهف الفم ـ الواقع فوق القلب النابض ـ عمقا ، لكنه ظل بعيدا عن القناة .

وفى اليوم التالى بدأت جلود البيض تنفجر واحدة وراء الأخرى ، وبرز المهرجون الصغار الى الوجود .

كانت احجامهم ضئيلة للغاية ، فلم يكن الطول المشترك لهم ـ من الرأس الى الذيل ـ ليزيد على سنتيمتر ونصف .

لكن التطور لم يكن قد انتهى بعد .

ففتحات الخياشيم الواضحة لا تنفذ الى العنق ، ولهذا لا تصلح للتنفس .

والفم مازال كهفا مغلقا من كل الجوانب . ولحسن حظ السميكات أن اكياس المح ظلت معلقة بها ، فامكنها أن تتغذى على ما تبقى بها من طعام . لكن هذا الكيس ذاته جعل السميكات مقلوبة فى الماء ، عاجزة عن التحكم فى حركاتها .

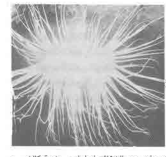
وجاءت الأيام الثلاثة التالية بتحولات بارزة . فقد انفتح الفم على الخارج ، وعلى القناة الهضمية ، واتصلت الخياشيم بالعنق ، ونمت الزعينفات البارزة من الظهر والجوانب والبطن ، واكتسبت قوة وصلابة . وبدأت العيون ترسل الى المخ الصغير أولى رسائلها عما تراه .

وفى هذه الأثناء كان كيس الطعام قد تقلص ، فانفصل ، واستطاعت السميكات اخيرا ان تعتدل على بطونها وتعوم .

إلا أن الزعانف مازال أضعف من أن تواجه التيارات . قطفت السميكات جزءا من مملكة الكائنات المجهرية ، تبتلع ما تحويه من طحالب دقيقة (دياتومات) ، وتتعرض هى نفسها للابتلاع على يد حيوانات أكبر .

ولحسن الحظ أن الأبوين لم يتخليا عن صغارهما ، الذين كان عددهم فى تناقص مستمر ، وتمكنا فى النهاية من دفع من تبقى منهم نحو الشقيق ، حيث يتوفر الأمن والأمان بين لوامسه .

التام شمل الأسرة الصغيرة ، وعاشت فى وئام مع مضيفها وعائلها .



نوع اخر من الشقائق له لوامس رفيعة كالشعر

وهنا يمكن أن تنتهى قصتنا ، بنفس الطريقة التى تنتهى بها اغلب القصص الساذجة .

فكما يحدث بين البشر ، لم تكن هذه ـ فى الواقع ـ غير النهاية الاولى .

اما النهاية الثانية ، فقد تجمعت خيوطها على مدى الشهور القليلة التالية .

فقد جعل الصغار يختفون ، واحدا وراء الآخر . منهم من فقد حياته فى احدى الجولات بالمياه الخارجية ، ومن هجر الشقيق بمحض ارادته ، ليستقل بشقيقه الخاص ، حيث تتوفر فرصة اكبر للحركة ، ومكان ارحب لرفيقة المستقبل .

ثم اختفت الأم بدورها .

خرجت ذات يوم ولم تعد .

واستانف المهرج حياة «العزوبية» التى يشاركه فيها الشقيق .

وانقضت عدة شهور .

وذات صباح شعر المهرج بفتور غريب فى جسده ، لم يعهد مثله من قبل .

وعندما اراد أن يحرك ذيله وزعانفه استعصت عليه ، وبدت ثقيلة ، متصلبة .

عزف عن الخروج ، وقنع بان يرقد بين الملامس ، تبدر منه بين الحين والآخر ارتعاشة مفاجئة ، قد تكون من آثار حمى او محاولة تحريك الأطراف الثقيلة .

وعند الغروب بدأت لوامس الشقيق تتحرك فى قلق .

فقد انتاب الحيوان الأعمى الشك .

فذلك الجسم الراقد بين أذرعه يبدو بالتدريج مختلفا عن الجسم الآخر المتقد حيوية الذى عهده من قبل ، والذى ترسل حركاته موجات من الراحة والطمانينة عبر خلاياه .

وبدأ يشعر بالجوع .

وسواء كان السبب هو الجوع ، أو يقين متزايد بأن الجسم الراقد بين اللوامس ليس إلا كائنا غريبا ، لا علاقة بينه وبين المهرج المالوف ، فان النهاية كانت محتومة .

فقد تجمعت اللوامس بالتدريج والتحمت ببعضها ، ودون أن تحفل باطلاق صواريخها المعهودة ، انطبقت على الجسم الخامل الراقد بينها ، وجذبته نحو المركز .

وانفرج الفم الشره ليبتلع رفيق العمر !

صنع الله ابراهيم

أكتوبر نوفمبر

شعر: حبيب الصايغ



سأنأى عن القـــبر ،
فليصفح المـــوت عني .
سأمسح هذا الجبين اللعين
عن التربة الباليـــه
سأنأى عن القـــبر ،
وهو سينأى معي فيَّ ..
في الجـــذوة ـ الـــدهر
إن الحدائق قد شرشت في دمي ،
واصطفتني .
وها هى تستنفر الخيل في جسدي ،
وتداعب عمـرى حتى يجيء ،
ويشـــــهدني في يقيني .
لســـوف يراك تمرين بين المفاصل والقلب
صـــاخبة

• •

وتستيقظين ، فتستيقظ المـــدن الغافيه
ويسرج حفـــل التعــــارف
في طرقـــات التشرد
بين الميـــاه وبين الميـــاه ،
فيعدو المحيط اليك .
ويعدو الخليج إليَّ .
ويركض موج حميم إلى شفتينا .
الا إنهـــا ســـنة الحلم ،
فتسبقيني اليك
ادخلى الجســـد الحلو
وانتظري زحمة الرحب
لن أتطاول حتى أغـــامر
وأختصر النـــار في الجملة العـــارية

• •

لك المرحـــله
وزهو التفاصيل في اللوحة المقبله
لك الطقس والأسئله
وصـحو المســـافات في السنبله

لك الكـــون ،
فاستقبليه على شرفة الصــــبح
واحتضني وهجـــه
إنه قـــــادم
في انتشــــار الجنـــون المؤدي اليك
فكوني له كونه
لـونه
صباباته واحتراقاته
كل أوقاته
بعضـــــه
نبضـــــه
احتضــــنيه ،
وكوني لـــه الأرض والزلزله

• •

هي الســـنة ـ الحلم
هل يتجاهل هذا الثراء الخرافى ،
والأرض عقد من الياسمين الفدائى ،
والفصــــل شرَّع ابوابه
واســـتضاف التنوع
هل يتجاهل مـــا أذهله ؟

• •

الا انهـــا الســـنة ـ الحلم
كيف تراود أجنحة الطير
عن نفســــــها
خفقات المـــوانىء ؟

• •

كيف يداهم وقت الحصـــاد الكسالى ؟
الا انهـــا الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الشـط والصاريه .

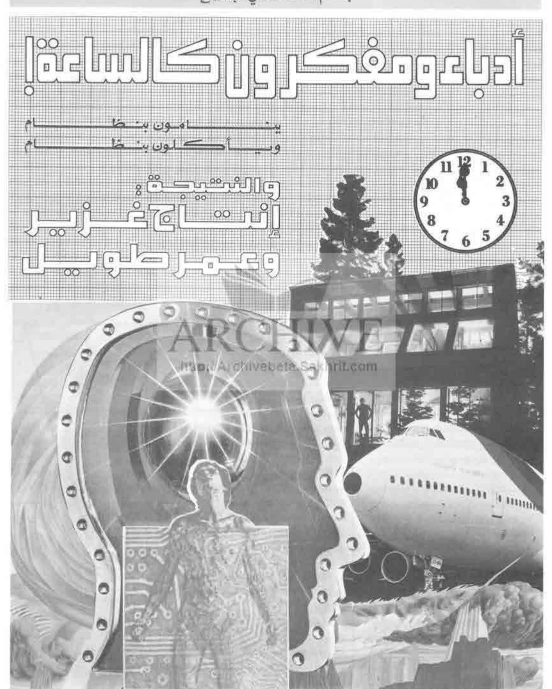
حبيب الصايغ ـ الامارات

بقلم: محمد فتحي عبد الفتاح

أدباء ومفكرون كالساعة!

ينامون بنظام
ويأكلون بنظام

والنتيجة: إنتاج غزير وعمر طويل











نجيب محفوظ — عباس محمود العقاد — الفيلسوف كانط

إن احترام الساعات الحيوية للجسم .. هو الطريق المستقيم إلى الصحة ، والانتاج الوفير المتميز . فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة نجيب محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط . نقصد : أن تكون منضبطاً بشدة .

- **نجيب محفوظ يلقي بالقلم ولا يكتب المجرور اذا جاءت لحظة انتهاء الكتابة وقد وصل الى حرف جر !! وبالرغم من ذلك طاولت كتبه قامته !!**
- **لماذا لا يرى العقاد شيئاً عجيباً فى أن يتمتع بالشباب فى شيخوخته ؟ سر من الاسرار التى جعلته واحداً من اكبر المثقفين فى كل عصور الثقافة العربية .**
- **لم يخرق كانط موعد استيقاظه مرة واحدة على مدى ٣٠ سنة !! وباستير عاش ٧٤ سنة برغم ضمور وموت نصف دماغه أيام الشباب !!**
- **جسم الانسان نسيج من ايقاعات حيوية كثيرة يقودها ايقاع «مايسترو» يجب احترامه حتى لا يتحول عزف الأوركسترا الى نشاز .**
- **النابهــون جميعاً حلوا التناقض بيـــن الايقاعات الاجتماعيـــة والايقاعــات الحيوية لصالح هذه الاخيرة .**
- **هل تشبه القبرة أم البومة ؟ ان معرفة ذلك يفيدك فى فهم مدى توافقك مع مهنتك وشريك حياتك ...**
- **احترام الايقاعات الحيوية يتطلب : ــ ان يواكب مستوى نشاطك منحنى الايقاع الحيوى شبه اليومى . ــ التحميل التدريجى والخروج التدريجى بالنسبة لاى نشاط . ــ التزام مواعيد محددة لكل نشاط من انشطتك والنوم واليقظة بالذات .**
- **القرود تمرض وتموت عند العبث بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من اكرامها فى كم النوم !!**

تناول الكاتب الساخر محمد عفيفى فى مقال له «العلاقة الغريبة» بين نجيب محفوظ والساعة فكتب : «يستطيع جيران نجيب محفوظ ان يضبطوا ساعاتهم على مواعيد نشاطات نجيب المختلفة .. مرة فى الصباح على لحظة خروجه من البيت .. ومرة فى المساء على اللحظة التى يضاء فيها النور فى حجرة مكتبه ... أو على اللحظة التى ينطفىء فيها النور معلناً عن انتهائه من الكتابة . فنجيب يكف فى اللحظة المحددة لذلك من قبل مهما كان عنده من الأفكار الجاهزة .. تلك اللحظة التى ربما حلت وقد انتهى من السياق الى حرف جر ، فيلقى بالقلم وينهض دون أن يكتب المجرور» . ويقرر محمد عفيفى ان «الساعة ما هى إلا رمز لما تتسم به حياة نجيب من الدقة البالغة ومن العادات الحديدية الصارمة» .

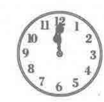
ويستمر محمد عفيفى فى تفصيل جوانب هذه الدقة حتى يأتى الى الطقوس الصيفية لحياة نجيب محفوظ فيقول «وله مقعده الخاص الذى لا يتغير بجانب نفس المائدة فى نفس الركن الذى اصطفاه رجل منظم اخر هو توفيق الحكيم . فانت تستطيع ان تضبط ساعتك أيضاً على اللحظة التى ينظر فيها الى ساعته ويصفق طلباً لفنجان القهوة الثانى» !

واذا تركنا مقال محمد عفيفى الى مقال كتبه العقاد عن نفسه بعد الستين بعنوان «كنت شيخاً فى شبابى» ، نجده يستهله مستطرداً «فلا عجب ان اكون شاباً فى الشيخوخة» ، ويقول فى طياته «ولا ارانى صنعت معجزة ان احتفظت بهذا القسط من الشباب لأنه حظ يصيبه من شاء ، واخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع فلى وقت للعمل ولي وقت للرياضة ، ولي يوم في كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف ، وفض رسائل البريد ،

أدباء ومفكرون كالساعة!

ولي مواعيد للطعام والنوم لا تختل في يوم» .

وهكذا نرى ان العلاقة الغريبة مع الساعة ليست قصراً على واحد من كتابنا او مفكرينا البارزين . وكان بالامكان الاستطراد الى امثلة كثيرة اخرى من حياة رهط الكبار المنضبطين ، او من حياة امامهم جميعاً عمانويل كانط ، الذي كانت حياته تمضي في كل جوانبها على وتيرة محسوبة «بالثانية» ، حتى انه لم يخرق موعد استيقاظه على مدى ٣٠ سنة مرة واحدة ! نقول كان يمكن الاستطراد لو ان استقصاء هؤلاء الجهابذة المنضبطين بقضهم وقضيضهم هو هدفنا . لكن ما نسعى اليه حقا هو تفهم جوهر هذا الانضباط . وهل هو عادات غريبة او مجرد اختيار ؟ وان لم يكن كذلك فما هي الدوافع او الضرورات التي اوجبته .. الخ ؟



ولن نبذل جهداً كبيراً في البحث عن اسباب هذا الانضباط حتى نرى ان العقاد الذي كان مريضاً بالصدر في بداية شبابه قد تمكن مستعيناً بالنظام الصارم الذي فرضه على نفسه من حماية جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، وعاش خمساً وسبعين عاماً .. وحتى نرى ان لكانط ـ الذي عاش ٨١ سنة ـ كتابات كثيرة حول «صنعه» صحته بنفسه ، حتى انه بلغ العامين الأخيرين من حياته دون أن يعرف مرضاً من الامراض ، بعد ان كان سقيماً ضعيفاً هزيل الجسد في شبابه ! .. ونرى شيئاً من هذا القبيل في حياة جوته (٨٢ سنة) وتولستوي (٨٢ سنة) وباستير (٧٤



جوته

باستير — تولستوي

سنة) فنفهم ان انضباطهم كان وسيلة لمغالبة المرض والعيش في صحة وعافية عمراً مديداً .



لكن ما إن تطول رحلتنا بعض الشيء حتى ندرك ان العقاد صار واحداً من اكبر المثقفين في عصره بل وفي كل عصور الثقافة العربية ، وانه لم يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام . او نرى انتاج نجيب محفوظ والحكيم . او نرى كانط واحدا بين اعظم الفلاسفة في كل العصور ، ونعرف انه نسخ من الصفحات (بخط يده) اكثر مما نسخ اي انسان اخر على الاطلاق ... او يطالعنا النصب العملاق الذي اقامه جوته لنفسه في حديقة الثقافة الانسانية ...

نرى ذلك كله وغيره كثير فنفهم ان هذا الانضباط وسيلة يتحول معها الانسان الى «آلة» غزيرة الانتاج كماً وكيفاً .



وقد تطول جولتنا اكثر فنكتشف حقيقة ثالثة ورابعة وخامسة . لكننا هنا وهناك لا نكون قد أصبنا سوى جانب واحد او مظهر من مظاهر جوهر اساسي ، احسبه هؤلاء الجهابذة بما تمتعوا به من حس مرهف وتفكير سديد ، إذ وجدوا أن بعض مظاهر التمدين تعاند هذا الجوهر من حيث لا فرصة لنا في معاندته مما يعود على الانسان بالخسران . فقرروا احترامه وتجاوز العناد . ولعل القارىء يسأل : ما هو هذا الجوهر وفيم العناد ؟

الايقاعات الحيوية

هناك ناموس يحكم عالمنا هو ايقاعية ظواهره ، اي تكرارها خلال آماد زمنية متساوية . وجسم الانسان ليس استثناء من هذا الناموس . ويكفي لايضاح ما نقول نظرة الى عمل القلب او الرئتين او الدماغ ..

لقد كشفت الأبحاث العلمية التي تناولت جسم الانسان من هذه الناحية عن وجود آلاف مؤلفة من إيقاعات الاعضاء والأنسجة بل والخلايا ، يتراوح ترددها بين جزء على الف من الثانية (اي

انها تتكرر الف مرة فى الثانية الواحدة) وبين ١١ سنة (تتكرر كل ١١ سنة) .

ولأن جسم الانسان وحدة متكاملة فلابد وان تعمل الايقاعات المختلفة فى توافق عجيب . وبالفعل وجد ان ايقاعات الكائن الحى لا تعمل خبط عشواء ، وإنما تخضع لايقاع عام يلعب دور المايسترو فى قيادتها ضامنا الا يتحول عملها الى نشاز . وعرف هذا الايقاع بالايقاع شبه اليومى لأن تردده حوالى ٢٤ ساعة . ولعل سمته الأولى هى الاتفاق مع زمن دوران الأرض حول محورها وبالتالى مع دورة الليل والنهار واليقظة والنوم . ولايضاح طبيعة عمل هذا المايسترو نذكر على سبيل المثال انه اذا كان الايقاع العام لعمل القلب ٦٠ دقة فى الدقيقة فانه يتراوح فعلا بين ٧٠ دقة نهارا و ٤٥ دقة ليلا . واذا كان الايقاع العام للجهاز التنفسى ١٦ دورة فى الدقيقة فانه يتراوح بين ١٨ دورة نهارا و ١٢ دورة ليلا ... أى أن كل عضو ونسيج يخضع الى جوار ايقاعه الخاص لايقاع شبه يومى . وقد أمكن تحديد ما يقرب من ٥٠ عملية فسيولوجية فى جسم الانسان تتعرض لتذبذبات متكررة فى دورات يومية . ويمكن تشبيه هذا المايسترو بامين على مخزن الموارد المحدودة الموجودة لدى الجسم يصرفها ويوزعها زمنيا بالصورة التى تمكن من التوفيق بين عمل الأجهزة وتجنب الجسم اية اختناقات فى الموارد . ولهذا تختلف درجة نشاط اجهزة جسمنا خلال النهار والليل ، ولهذا نحس فى وقت ما بالجوع وفى وقت آخر بالرغبة فى النوم ، وفى وقت ثالث بالملل

ايقاع خاص بالجسم نفسه

وإن كان هذا الايقاع يتفق مع دورة الليل والنهار كما قلنا ، إلا انه خاص بالجسم نفسه فقد ظهر أن من يعزلون عن دورة الليل والنهار يستمرون فى العيش وفق دوراتهم الخاصة شبه او قرب اليومية . هذا وقد اثبت بعض العلماء بالتجارب التى اجروها على ذباب الدروزفيل الطابع الوراثى للايقاعات الحيوية ، إذ تمكنوا من تغيير ايقاعات حركة اجنلس من هذا الذباب تعرضت لتغيرات وراثية بمؤثرات كيماوية . كما اثبتت التجارب التى اجريت على حيوانات مختلفة ان الايقاعات الحيوية محافظة للغاية . إذ ادى تغيير نظام نوم ويقظة القرود حتى مع إكرامها فى كم النوم الى تعرضها للمرض والموت بالاضافة الى ان محاولات تجريبية متعددة قام بها متطوعون للتعود على دورات عيش تستغرق ٤٨ ساعة او ١٨ ساعة ، .. اذ وجد ان اجهزة اجسامهم تستمر بالرغم من ذلك فى العمل وفق الإيقاع شبه اليومى . ومن الأمور الطريفة فى هذا الصدد انه كان على بعض رواد الفضاء الأمريكيين العمل وفق جدول ٤ ساعات عمل تتلوها ٤ ساعات راحة ، وبعد فترة من التحليق ابلغ الملاح محطات المراقبة الأرضية بانه يرى ملاكا يحلق بجوار نافذة سفينته ، لكن الملاك سرعان ما اختفى بعد ان تم تغيير ايقاع عمله وراحته !

ولعل مثال رائد الفضاء ينقلنا مباشرة الى جوهر المشكلة التى يواجهها الانسان المعاصر والتى ذكرنا ان هؤلاء الجهابذة قد حلوها بالانضباط الشديد .

الايقاعات الاجتماعية

إن الانسان لا يعيش وحده فى الكون . ولكل جسم فى الكون ايقاعاته الخاصة . وللايقاعات المختلفة علاقات متبادلة تحكم حياة الكون كله . وهذا يعنى ان ايقاعات الانسان قد عملت دوما فى علاقة بايقاعات الطبيعة . لكن المدنية جاءت لتضيف مجموعة اخرى من الايقاعات الاجتماعية نكتفى منها على سبيل المثال بان ليلنا كثيرا ما يتحول الى نهار ، بكل ما ينطوى عليه ذلك من تحول انشطة النهار الى انشطة ليل .. فمن عمل الى حفلات ساهرة وموائد شهية .. الخ . وكل هذه التاثيرات تعاكس نشاط المايسترو وتثير الفوضى بين ايقاعات اوركستراه — فان كانت توجيهاته تقضى بان تفرز المعدة انزيماتها وعصاراتها لآخر مرة فى الثامنة فانها تفاجأ بالطعام بعد منتصف الليل دون أدنى استعداد ، وإن كانت اوامر المايسترو تقضى بان تبدأ بعض اجهزة الجسم خفض نشاطها اعتبارا من التاسعة ، فان هذه الأجهزة تفاجأ بتصاعد الاحمال عليها اعتبارا من العاشرة !! والنتيجة الحتمية هى الخلل الوظيفى فى اداء الأجهزة ، الأمر الذى يؤدى الى ما نسميه بأمراض العصر من القرحة الى الأرق والاجهاد والتوتر . الخ

واذا عدنا الى ما ذكرناه من ان الايقاعات الحيوية وراثية ومحافظة للغاية واضفنا الى ذلك انها تشكلت من خلال انتقاء تطورى طويل ، ادركنا مدى استحالة تغيير الايقاع شبه اليومى وضرورة احترامه وعدم معاندته . وهذا ما توصل اليه صف الجهابذة المنضبطين الذين افتتحنا بهم المقال . إن الانضباط ضرورة استجابوا لها سواء عن وعى (بابعاد تاثيره) او عن غير وعى ، فكان نصيبهم ان غنموا الصحة والعافية وطول العمر ، لأنهم تجنبوا النشاز ، وكفوا عن قتل اجسادهم بالتدريج . ولأن العقل السليم فى الجسم السليم فقد اهدوا البشرية ما اهدوها من ثمار عقولهم اليانعة ..



هنا نكون قد اقمنا المسالة على قدميها وبعدنا بها عن كل تغريب واغراب . لكن هدفنا أبعد من ذلك كما هو ظاهر من عنوان المقال . لقد استعنا بهذا الصف المهيب من النابهين إمعانا فى إغراء القارىء ، بعد إقناعه ، بتنظيم مختلف انشطته تنظيما صارما يتفق وايقاعاته

أدباء ومفكرون كالساعة!

الحيوية . لهذا نود تفصيل بعض الخطوط العملية العامة التى تساعد كل من يريد الأخذ بنواميس الايقاعات الحيوية فى وضع البرنامج السليم لمعيشته وعمله .

توجيهات عامة تطبيقية

والبداية الصحيحة هنا تنطلق من تدقيق ما قلناه ٠ من ان الايقاع المايسترو هو الايقاع شبه اليومي . وفى اتصال بذلك وجد أن كمية الهرمونات الموجودة فى الدم تقل ليلا بالتدريج ، وتصل هى ودرجة حرارة الجسم الى اقل مستوى لهما فى الساعات الأولى من اليوم (الثانية الى الرابعة) وبالقرب من الفجر يبدأ الاثنان فى الارتفاع تدريجيا ، وتستمر هذه العملية خلال النهار ، وبالقرب من المساء يبدآن فى النقصان تدريجيا ، وبالتدقيق فى منحنى تغيرهما الذى يجب أن ينظم نشاط الانسان بحيث يتفق معه ، وجد أن له ذروتين (مثل جمل بسنامين) إذ ينحدر بعض الشىء بعد النصف الأول من النهار ، ثم يعاود صعوده من جديد .

ويستطيع كل انسان أن يحدد وقت ذروتي نشاطه الحيوي بتسجيل درجة حرارته دوريا (شرط قياسها بصورة صحيحة) وتوقيعها بيانيا ، وذروتا النشاط تتفقان كما أشرنا من قبل مع بلوغ درجة الحرارة أقصى مستوى لها .

وقد بينت التعميمات الاحصائية أن القمة الأولى تقع بين الحادية عشرة والثالثة عشرة ، والقمة الثانية بين السابعة عشرة والعشرين ، وأن كنا نحيل القارىء من جديد الى إيقاعه الخاص . هذا ويمكن تحديد وقت الذروتين بصورة وضعية عن طريق رصد حالة النشاط خلال عدة أسابيع .

وإن كانت نقطة البداية بالنسبة لأى فرد هى معرفة الشكل العام لمنحنى نشاطه فان الخطوة التالية هى معرفة ما اذا كانت موجة النشاط الأولى ام الثانية هى الأعلى .

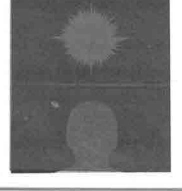


هل انت قُبَّرة ام بومة ؟

وتجدر الاشارة هنا الى ان بين بنى البشر من يشبهون القبرات ، وهؤلاء يبكرون فى الاستيقاظ ، ويعملون على نحو افضل خلال النصف الأول من اليوم – وبينهم من يشبهون البوم ، وهؤلاء يفضلون الاستيقاظ متأخرا ، وتتزايد انتاجيتهم فى المساء .

وهذا لا يعنى أن كل فرد ينتمى بصورة صارمة الى مجموعة من المجموعتين فوفقا لمعطيات الفسيولوجى النمساوى «هامب» تبين أن نصف من فحصهم يستطيع التأقلم على نمطى النشاط الصباحى والمسائى ، وان سدسهم من النوع الصباحى ، وثلثهم محض مسائى .

ومن دراسة قام بها العالم السويدى «أوستبرج» تبين أن الصباحيين من حيث الايقاع الحيوى يرتبكون ويضارون على نحو اكبر عند تعرضهم لما يخل بايقاع نشاطهم ، وان اكثر ما يتأثر بذلك هو نومهم وطعامهم .



فعلى سبيل المثال كان الواحد منهم ينام نصف ساعة أقل من المعتاد كلما عمل وردية ليلية ، وكان يعانى خلال ذلك من ضعف فى الشهية وخلص «أوستبرج» من دراسته الى ان ايقاع نشاط الصباحيين أقل مرونة فى مواجهة التغيير مقارنة بالمسائيين . ومن الطريف فى هذا الصدد أن اليابانيين يقصون عن العمل فى الوردية الليلية كل عامل يتجاوز النقص فى وزنه حدا معينا ، معتبرين إياه غير صالح للعمل فيها .

ومراعاة ما اذا كان الانسان من الصباحيين أو المسائيين أمر لا تقتصر أهميته على معرفة انسب ساعات النوم واليقظة بالنسبة له وبالتالى التوزيع الزمنى الأمثل لمنحنى النشاط اليومى له أهميته الكبيرة بالنسبة لمعرفة مدى موافقة المهنة للمرء (العاملون بالطيران المدنى مثلا عليهم باستمرار مواجهة آثار الانتقال بين المناطق الزمنية المختلفة خلال رحلاتهم) وبالنسبة لمجالات كثيرة أخرى منها على سبيل المثال العلاقات الأسرية و الشجار . وهناك إحصائيات تؤكد أن الشجار النـــاتج عن تفاوت الأمزجة يزيد كثيراً فى الأسر التى ينتمى احد أفرادها الى النوع الصباحى بينما ينتمى الفرد الثانى الى النوع المسائى لهذا يستحسن ان يعرف المقدمون على الزواج الى أى نوع ينتمى كل منهم . وكذا يلزم ان يعرف الطالب الى اى نوع ينتمى قبل الانخراط فى عملية السهر خلال فترة الامتحانات . ويمكن للانسان أن يحدد النوع الذى ينتمى اليه من الاختبار المرفق وهو مقتبس من اوستبرج .

تسخين الوظائف الحيوية

وعلينا بعد ذلك الاشارة الى ضرورة انخراط المرء فى أى نشاط بصورة تدريجية اذا اراد أن يمارس هذا النشاط لفترة طويلة وعلى مستوى طيب . ويرجع ذلك الى حاجة الوظائف الحيوية الى «عملية تسخين» مثل تلك التى يقوم بها الرياضيون حول الملعب قبل دخوله . وحبذا لو وصل المرء الى ذروة نشاطه الفعلى مع ذروة منحنى نشاطه الحيوى. ومن الطريف أن العلماء ينصحونك

بادخار فترة الذروة لأهم ما تقوم به من أعمال ، ويصفون هذه الفترة بانها ساعات القرارات الهامة والقيام بالأعمال الحساسة .

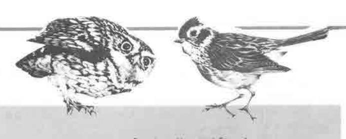


هذا ويجب ان يراعى المرء الخروج من كل نشاط بصورة تدريجية ، ويراعى ان تتابع دائرة النشاط اليومى بعد اليقظة فى موعد ثابت من «تسخين» الى عمل ثم راحة واسترخاء ، يتبعهما النوم . أى على المرء ان يوقت ذروة عمله مع اوج منحنى النشاط الحيوى ، ويقلل من نشاطه تدريجياً بعد ذلك حتى النوم ، الذى يجب ان يأتيه المرء فى موعد ثابت . ولاباس من أن نذكر هنا تدليلا على أهمية النوم واليقظة فى مواعيد ثابتة ان القرود التى تعرضت لتجارب فى هذا الصدد ، كانت تمرض وتموت عند عبث الانسان بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من انه كان يكرمها فى كم النوم !!

ولاباس فى النهاية ايضاً من التأكيد على أن العلماء توصلوا الى ان التوافق فى عمل أوركسترا الايقاعات الحيوية الذى يقوده الايقاع شبه اليومى ، يعنى الصحة والعافية وأن الخلل فى توافق الايقاعات الحيوية يعنى المرض ، وأن بلوغ الخلل مدى يقضى على الانتظام تماماً يعنى فناء الكائن الحى .

إن احترام الساعات الحيوية للجسم هو الطريق الى الصحة والعافية ، والانتاج الوفير فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط ؟

محمد فتحى عبد الفتاح



هـــل أنت قبرة أم بومه ؟

عليك باختيار الاجابة المناسبة عن الأسئلة التالية :

● هل يصعب عليك الاستيقاظ مبكراً ؟
١ ـ نعم على الدوام ب ـ فى بعض الأحيان . ج ـ نــادراً . د ـ نادراً جداً .

● إن كان الاختيار لك ، ماهو الموعد الذى تفضل فيه الذهاب إلى سريرك ؟
١ ـ بعد الواحدة ليــلا . ب ـ بين الساعة ٢٣.٣٠ والواحدة . ج ـ بين ٢٢ و ٢٣ . د ـ قبل الساعة ٢٢ .

● ماهو الافطار الذى تفضل تناوله خلال الساعة الاولى بعد يقظتك ؟
١ ـ ثقيل . ب ـ متوسط ج ـ خفيف . د ـ يكفى كوب شاي او قهوة .

● تذكر نوبات الشحان الأخيرة فى العمل والمنزل . فى اى وقت وقعت ؟
أ ـ خلال النصف الأول من اليوم ب ـ خلال النصف الثانى .

● عن اى شيء يمكن ان تتخلى بسهولة اكبر ؟
أ ـ شاى او قهوة الصباح ب ـ شاى المساء .

● ما هى الدقة التى يمكنك بها ان تحدد مرور دقيقة من الوقت (استعن باحد على تحديد ذلك) ؟
أ ـ بفارق يقل عن دقيقة ب ـ بفارق يصل الى دقيقة او اكثر .

● باى درجة من السهولة تختل عاداتك الغذائية خلال العطلة او الاجازة ؟
أ ـ بمنتهــى السـهولة ب ـ بسهولة ج ـ بصعوبة د ـ تبقى دون تغيير .

● ما هى الفترة التى تبكر بها عند الذهاب الى الفراش ان كان ينتظرك عمل هام فى الصباح ؟
أ ـ أكثر من ســاعتين ب ـ ساعة الى ســاعتين ج ـ اقل من ساعة د ـ اذهب فى الوقت المعتاد.

بعد الاجابة قدر درجاتك مستعينا بالجدول التالي :

١ و ٢ و ٨ ـ ١ = ٣ ب = ٢ ج = ١ د = صفر
٣ و ٧ ـ ١ = صفر ب = ١ ج = ٢ د = ٣
٤ ـ ١ = ١ ب = صفر
٥ ـ ١ = ٢ ب = صفر
٦ ـ ١ = صفر ب = ٢

اجمع درجاتك بعد ذلك . والحد الأقصى للدرجات ٢٠ والأدنى صفر . كلما صغرت درجتك كنت اقرب الى النوع الصباحى (القبرة) ويجمع النوم المتوسط عدداً من النقاط يدور حول (١٠) بينما يجمع النوع المسائى (البومة) عدداً كبيراً من الدرجات .

● قصة قصيرة ●

دمعة على عنتر!

بقلم: عباس خضر

أعدت مائدة الغداء ، وجلسنا إليها صامتين فاترين ، نحس ان شيئاً ناقص .. هو «عنتر» كلبنا المحبوب ، وقد تعودنا ان ناكل وهو يطوف بالمائدة يهز ذيله ويتمسح بارجلنا ، وخاصة رجلى ولدى «تامر» الذى يرمى اليه بما يحب من الطعام فى سخاء ، واحياناً يتغفلنا : ينظر يميناً وشمالا ليتحقق ان احـــدا لا يراه ، فيرمى إليه قطعة لحم .. فاذا لمحته امه نهرته وحثته على ان ياكل اللحم ويرمى العظم للكلب .

نهاية الأمر أن « عنتر » قد مات قتله صـــباح اليــوم احد المكلفين بمكافحة الكلاب الضالة ، وعلم الله ان «عنتر» لم يكن كلباً ضالا ، وإن لم يكن فى رقبته الطوق الجلدى الذى يدل على انه ينتمى إلى صاحب قد استخرج له «رخصة» .. كان عنتر ينتمى إلينا برغم ذلك .

مسكين عنتر ، ونحن ايضا مساكين .. لاننا فقدناه ، فقدنا انيساً وحامياً حمانى مرة من شر مستطير ساحدثك به بعد قليل .

قمنا عن المائدة حزانى صامتين ، منا من لم يذق الطعام ، ومنا من لاك بعضه وازدرده بدون شهية ولم يواصل ! تجمدت الدموع فى اعيننا ، كاننا نخشى ان يقال إننا نبكى على كلب ..

قالت لى زوجتى عندما عدت ظهراً :

ـ لقد صوب إليه البندقية ، واطلق عليه رصاصة صرعته .. هتفت به :

ـ شلت يمينك .. الم تجد غير عنتر ؟

الواقع انى لم ادر ماذا قلت بالضبط ، فقد غبت عن الوعى ..

قلت لها وانا حزين :

ـ لماذا لم تخبئوه عن اعين اولئك القساة ؟

ـ كيف كنا نفعل وقد خرج عنتر إلى ذلك الرجل ينبح بشدة ويهجم عليه يريد ان يفترسه ..

ـ لابد انه توجس منه الشر .

عنتر لم يكن له مثيل فى توجس الشر ، كانه يشم رائحته ، ليست حاسة الشم عنده قاصرة على الأشياء المجسمة ، بل تشمل ما يدور فى نفوس الناس !

انا شخصياً مدين بحياتى له : لتلك الخاصية فيه ، كما ساحدثك بعد قليل ، امهلنى حتى افضى إليك بنبذة وجيزة عن حياته : حياة الفقيد العزيز .. من حيث علاقته بنا ، لم اكن احب اقتناء الكلاب ، ولم اقتن كلباً قبل عنتر ولا بعده عدت يوما إلى المنزل فوجدت جروا ، وسالت مستنكرا :

ـ ما هذا ؟ ومن جاء به ؟

قالوا :

ـ إن «تامر» تعلق به واصر على استبقائه .

و «تامر» ولدى الصغير رغباته مستجابة ، ولكنى فى لحظة الاستنكار قلت :

ـ هذا كلام فارغ .. اخرجوه حالا .

وهموا باخراجه ، ولكن الولد الصغير تشبث به وبكى ! وانا «أشخط وانطر»



ولكنى ضعيف امام تامر ولا يسعنى إلا تلبية رغباته ..

أطلقت عليه اسم «عنتر» رافضاً الأسماء الافرنجية التى تسمى بها الكلاب ، وقلت فليبق من اجل تامر .

ونشا عنتر وتامر معا ، يلعبان معاً ، ويتواثبان معاً ، لا يكادان يفترقان .

قلت لزوجتى :

ـ وهل رأى تامر ما حدث ؟

ـ لا ، كان نائما ، ولم يعلم حتى الآن ، فهو لا يزال نائماً .

كان ذلك لحسن الحظ ، ولا تسال عما حدث بعد ذلك حين علم وفهم ـ على قدر علمه وفهمه ـ ان عنتر ذهب ولن يعود .. كأنما كانا توأمين ومات أحدهما وبقى الآخر فى حسرة .. ولحسن الحظ كذلك أن الأطفال ينسون بسرعة ، فلم يبق فى ذاكرة تامر بعد مدة شىء عن عنتر ، ولكن ذاكراتى تعى كل شىء ، وكيف انسى انى ـ كما قلت ـ مدين بحياتى لعنتر ..

وهاك الحكاية :

كنا نسكن فى ضاحية منعزلة عن العاصمة ، بينهما فراغ من مزارع واسعة يقطعها قطار حديدى يسير بين الضاحية والعاصمة ، ليس ذلك الفراغ موجود الآن فقد زحفت إليه المبانى وملأته ، ومع هذا مازالت أزمة الاسكان قائمة !

ما علينا .. كان بيتنا قائماً وحده بين أرض فضاء لم تبن بعد ، وفى ليلة كنت وحدى هناك ، ليس معى إلا عنتر .

دق الباب ، ونبح عنتر . تراخيت قليلا عن الذهاب إلى الباب وفتحه ، واتصل دق الباب ، وارتفع نباح عنتر ، وصار يجرى بين الباب وبينى كأنه يحول بيننا ، او كأنه يقول لى : لا تفتح الباب !

ولكن لابد أن افتح الباب ، وخاصة لما تعذر سماع صوت من يدق ، لنباح الكلب الشديد الذى يشبه العواء .. وفتحت ، فوجدت رجلا يرتدى ثيابا بلدية وبيده عصا غليظة ، وقال لى انه من الشرطة ، ويريد أن ينبه على ضرورة وضع مصباح امام البيت فوق الباب ، لأن الشارع مظلم لم تشمله الانارة بعد ..

كان يتكلم بصوت عال كى أسمعه ، لأن عنتر وقف بيننا مستمراً فى نباحه الشديد . ثم انصرف الرجل بعد أن أبديت له الموافقة على وضع المصباح .

ثم تحدثت بعد ذلك إلى من قال لى :

ـ احمد الله على سلامتك ..

ـ كيف ذلك ؟ الحمد لله على كل حال ، ولكن ماذا تقصد ؟

ـ إن الرجل ليس من الشرطة ، ولولا الكلب لأنفذ فيك باقى خطته ..

ـ خطته ؟ أى خطة ؟

ـ الم تقرأ فى الصحف عن حوادث مشابهة ، إذ يفتح صاحب البيت أو صاحبته ، فيبادره الرجل بضربه فوق رأسه فيغيب عن الوعى ويسقط على الأرض ، وقد تكون الضربة قاتلة ، على حين يسرع الرجل المقتحم إلى إغلاق الباب ، ثم يدخل فيسرق ما تطوله يده ويسرع بالفرار ..

ـ آه .. قلما أقرا تلك الحوادث .

ـ يجب أن تقرأها لكى تلتفت الى مثل ذلك .

ـ الآن فهمت نباح عنتر الشـــــديد وموقفه من الرجل ، حتى جعله يتراجع عن تنفيذ خطته خوفاً منه .

وأردت أن أستوثق من حقيقة الأمر ، فذهبت إلى قسم الشرطة الذى يقع منزلنا فى دائرته ، وسألت ، وأجبت بأنهم لا يرسلون أحداً بمثل ذلك !

ولما عدت إلى البيت ناديت عنتر ، فهرع الى يهز ذيله ، ووددت لو يفهم الكلام فاشكره ، واقول له إنى مدين له بحياتى ، ولكنى شكرته عملياً ، إذ مسحت على رقبته بحنان وعطف وحب ، وجاء «تامر» فأخذته بالحضن وقبلته ، ورأيت أن له هو ايضاً مثل فضل عنتر ، اذ كان سبباً لاقتنائه ، ولولاه مارضيت ببقاء الكلب عندنا .

●●

بكت زوجتى يوماً بعد حادث موت عنتر إذ تذكرته حينما تناثرت منها الدجاجات وشردت من الحظيرة التى أقامتها لها فى حديقة المنزل الصغيرة .. فتحت باب الحظيرة فخرجت الدجاجات تجرى هنا وهناك ، وهى تعدو وراءها لتمسك بها وتعيدها الى الحظيرة ـ تذكرت عنتر وبكت ، لانه كان يجرى وراء الدجاجة الناشزة ويحملها على العودة إلى الحظيرة دون أن يمسك بها .. لا تدرى كيف !

●●

ويوم مات عنتر وبعده بأيام شعرنا بفراغ حزين .. لم أملأ ذلك الفراغ بعد باى كلب .. فانا كما قلت لك لا احب اقتناء الكلاب ، وكان عنتر فلتة .. كان شيئاً آخر لا يعوض ..

كنا نذكره خاصة عندما نجلس الى المائدة لتناول الطعام ، يمضغ الواحد منا قطعة اللحم حتى اذا بلغ العظم تلفت حوله بحثاً عن موقع عنتر .. فلا يجده ، فيضع العظم على المائدة وقد تغير طعم اللحم فى فمه .. صار مراً وكان طيباً ..

وكانت زوجتى تذكره عند حظيرة الدجاج فتفر من عينها الدمعة ..

أما «تامر» فقد ظل يذكره عدة أيام ، ويناديه ، ويسأل عنه ، ويعلله المجيب بأن عنتر ـ وان كان قد ذهب ـ سيرجع قريبا .. ثم نسى تامر عنتر ، وليتنا أطفال فننسى !

كانت «الجنازة حارة والميت عنتر» وليس موت عنتر بالأمر الهين .. فليكف الساخرون عن سخريتهم وليغيروا أو يلغوا هذا المثل : «الجنازة حارة والميت كلب» من أمثالهم ، فهو مثل كاذب ، على الأقل بالنسبة الى عنتر !

واحسرتاه عليك أيها الفقيد العزيز !

عباس خضر

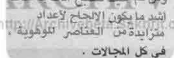


ليونارد دافنشي



أينشتين

التطورات العلمية والتكنولوجية التى تجرى حالياً ، ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ، تفوق بشكل جذرى ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا ، وذلك من اتساع المجال وشدة التعقيد ، ومن ثم حيث تصبح الحاجة ملحة أشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، فى كل المجالات .





جيمس وات



توماس اديسون

الابتكار العلمي والتكنولوجي

ظاهرة الإبداع وتأثيرها في الاقتصاد القومي

بقلم : الدكتور جلال شوقي عميد كلية الهندسة - جامعة قطر

إن الفكر الأصيل المبتكر ـ الذى يعد من أعلى إنجازات الانسان مرتبة ـ قد استحوذ ولاشك على اهتمام ودراسة عدد كبير من الباحثين فى شتى الميادين من تربية وعلم نفس وعلوم وفنون وهندسة وتكنولوجيا ، ولقد عرجت بعض هذه الدراسات على موضوع الابداع الخلاق من وجهة النظر العلمية ، بيد ان كثيراً من البحوث التى اجريت مؤخراً قد ركزت تركيزاً خاصاً على وسائل تنمية القدرات الخلاقة وتنشيطها ، كذلك هناك دراسات تجريبية كثيرة ترمى إلى الوقوف على تأثير العوامل المختلفة على القدرات الخلاقة ، وتعد هذه الدراسات ذات اهمية خاصة فى المجال التطبيقى وذلك لعدة اعتبارات نجملها فيما يلى :

أولا : إن معدل تراكم الانجازات والمعارف العلمية فى تزايد متواصل ، الأمر الذى تواكبه الحاجة الماسة لمزيد من الاستثمار التكنولوجى لهذه المعلومات العلمية التى تزداد بعلاقة أُسِّيَّة ، وعلى ذلك فان التطبيق الهندسى والتكنولوجى يلهث وراء التقدم العلمى ولا يكاد يلتقط أنفاسه .

وجدير بالذكر ان نشير فى هذا الصدد إلى ما قاله اللورد هالسبرى (LORD HALSBURY) فى محاضرة القاها

عام ١٩٧١ من انه قام باجراء تحليل لمائة اختراع ، خلص منه إلى انه فى المتوسط يبدأ المخترع العمل فى اختراعه متاخراً بفترة تبلغ حوالى ٣٠ عاماً عن سنة التوصل إلى المعلومات العلمية التى يبنى عليها اختراعه ، اى أن التطبيق الهندسى يجيء متاخراً عن الانجاز العلمى بفترة زمنية ليست بالقصيرة .

ثانيا : إن التطورات العلميـــة والتكنولوجية التى تجرى حالياً ـ ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ـ تفوق بشكل جذرى هائل ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا ، وذلك من حيث اتساع المجال وشدة التعقيد ، كذلك فان مستويات الأداء والسلوك فى ارتفاع متصل ، ومن ثم كانت الحاجة ملحة اشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، كذا من المهندسين ذوى القدرات الخلاقة ممن يستطيعون العمل بنجاح ضمن مجموعة عمل .

ولما كان مجال الهندسة يختص بتطوير المنتجات وتحديث الأساليب وتطويع وتسخير المصادر الطبيعية لخير البشرية ، فان النجاح الهندسى يرتكز ارتكازاً أساسيا على استيعاب الانجازات العلمية ، وعلى التطوير المناسب للأفكار الجديدة ، وعلى ذلك يتعين على المهندس المصمم أن يكون قادراً على ابتكار حلول جديدة للمشاكل ، وتطوير هذه الأفكار إلى مفاهيم يقبلها المجتمع ويفيد منها .

الابداع الخلاق

الابداع اسم يطلق على العمل المتميز بشكل هائل ممتنع ، يفوق بكثير ما هو عادى او مالوف أو معروف ، وقد يكون الابداع ابداع أداء ، أو ابداع خلق ، وهذا الأخير هو ما نعرض له هنا بالدراسة .

إن الابتكار أو الاختراع يقوم على فكرة أصيلة غير مسبوقة ، بينما التجديد هو اسلوب تحقيق او تجسيد الاختراع من الوجهة العلمية ، أما الابداع الخلاق فانه يقوم على فكر عبقرى فذ رفيع الدرجة يفتح افاقا جديدة لم تكن موجودة من قبل .

هذا ويعتبر الاستاذ جيلد فورد GUILD FORD من اهم رواد دراسة الملكة الفكرية ، وله فيها نظرية تقول بان هذه الملكة يمكن تعريفها بوساطة ١٢٠ عاملا مستقلا . ويقول جيلد فورد إن العوامل التى تخص الابداع الخلاق يمكن تقسيمها إلى مجموعتين اساسيتين هما :

● مجموعة الفكر المتشعب ، وتتصل بتكوين أو تركيب الأفكار .

● مجموعة الفكر المتركز ، وترتبط بالتعريف والتحليل والتقويم .

حدود الابداع وظروفه

إن الحديث عن الابداع لا تتسع له مجلدات ضخمة وإن تعددت ، بيد ان هناك سمات وقضايا هامة ترتبط بالابداع لا مناص من الاشارة إليها هنا استكمالا للخلفية العامة لموضوع هذه الدراسة .

● إن العمل الابداعى الخلاق لا يمكن التوصل إليه بطريق التعليم أو الدراسة إن لم يكن المرء يملك قدرا من مثل هذه القدرات ، وإنما يمكن الكشف عما هو موجود من هذه القدرات ، كما يمكن ايضا حسن توجيهها والافادة منها ، ولعل ما قاله المخترع العظيم توماس إديسون من أن الاختراع يجرى من الانسان الموهوب مجرى الدم فى العروق ، لعل هذا القول يكون من أروع ما قيل فى هذا الشان .

يقول توماس إديسون (١٨٤٧ ـ ١٩٣١) :

« إن كان الالهام يشكل واحدا بالمائة من العبقرية ، فان التسعة والتسعين جزءاً الباقية تجرى من العبقرى مجرى التنفس فيه » ، أو بعبارة اخرى إن العبقرى قد خلق مالكا لهذه القدرة الابداعية الخلاقة .

● من المعروف أن نسبة ذوى القدرات المبدعة بين الناس لا تتعدى حوالى ٢ فى المليون .

● يتباين الابداع من حيث انواعه ومجالاته وأنماطه ودرجاته ، كما انه يختلف كما وكيفا .

● لم تثبت الدراسات الحديثة وجود ارتباط وثيق بين الذكاء والمقدرة الخلاقة .

● ظهرت حالات إبداع كثيرة بالرغم من تواضع النشاة والتربية ، وهناك امثلة كثيرة لعباقرة لم يتلقوا قسطا من التعليم ، ولم يقف هذا القصور عائقا فى ظهور ملكاتهم .

● بينت الدراسات المتخصصة ان هناك علاقة بين القدرة الابداعية وعمر الانسان حيث إن هذه القدرة تصل ـ فى المتوسط ـ إلى ذروتها فى مقتبل الثلاثينات ، إلا انها تتعرض لانخفاض حاد عند سن الخامسة والثلاثين .

● هناك اتجاه سائد يدعى أن هناك ارتباطا وثيقا بين الابداع الخلاق واختلاف الأجناس البشرية ، من ذلك ما جاء على لسان النظَّام (٨٠١ ـ ٨٣٥ م) على سبيل المثال حيث يشير إلى تاثير خصائص الانسان بالبيئة التى ينشا فيها ، فيقول (١) : « إن الأمة التى لم تنضجها الأرحام ، ويخالفون فى ألوان ابدانهم أو حدق عيونهم والوان شعورهم سبيل الاعتدال ، لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وادابهم وشمائلهم وتصرف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السبك وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين الفطير والخمير ، والمقصر والمجاوز .

ـ وموضع العقل عضو من تلك الاعضاء ، وجزء من تلك الأجزاء ـ وكالتفاوت الذى بين الصقالبة والزنج ، وكذلك القول فى الصور ومواضع الأعضاء .

الا ترى أن أهل الصين والتبت وحذاق الصناعات لها فيها الرفق والحذق ولطف المداخل والاتساع فى ذلك والغوص على غامضه وبعيده ، وليس عندهم إلا ذلك ، فقد يفتح لقوم فى باب الصناعات ، ولا يفتح لهم سوى ذلك » .

هذا ولا نميــــل إلى الاعتقاد بان الابداع وقف على جنس دون آخر ، وإنما قد يمكن تفسير ظاهر الأمر بضعف الفرص المتاحة أمام الشعوب الأقل حضارة فى ظهور المواهب الابداعية الكامنة فيها .



القدرات الابداعية الخلاقة

لاشك ان هناك تباينا كبيرا فى ميادين الابداع وأنماطه ، إلا ان هنك عوامل مشتركة بين ذوى القدرات الابداعية ، نخص منها بالذكر ــ فى مجال الابتكار العلمى والتكنولوجى ــ العوامل الآتية :

● التنبه إلى المشكلات والاحساس بها والاستجابة لحلها .

● الطلاقة فى الموهبة الابداعية ، ونقصد بها :

ا ــ طلاقة الفكر .

ب ــ طلاقة الترابط .

جـ ــ طلاقة التعبير .

● الطاقة الدافعة .

وبها يجد المرء المبدع ضالته بالانغماس فى العمل الجاد الأصيل والاستمتاع به ، فهو خير ملجأ له لا سيما عند مواجهة المصاعب والتحديات .

● المرونة والتجديد فى التفكير ، أى عدم التصلب أو التحمس لفكرة دون سواها .

● القدرة على التحليل والتكوين .

● القدرة على الاستفاضة والتوسع .

● القدرة على مواجهة التعقيد .

● القدرة على إعادة التنظيم والتنسيق والتحويل والتحوير .

● القدرة على تقويم العمل .

صفات المبدع وسلوكه

من الطبيعى أن المرء الذى يتمتع بقدر عال من القدرة الابداعية هو إنسان غير عادى والا لما كان متميزا بين من سواه ، ومن ثم كانت له سمات خاصة بعضها فيه إفراط ، وبعضها الآخر فيه تفريط ، ونجمل فيما يلى أهم الصفات والسلوكيات التى يتسم بها المبتكرون :

ــ يكون المرء المبدع ذا فكر حر مستقل أصيل له قيمه الخاصة ، ويتمتع بالاكتفاء الذاتى ، ومن ثم فقد لايهتم برأى الآخرين فيه ، ولا يعبأ بنقدهم له .

ــ يتمتع المرء المبدع بثقة كبيرة فى نفسه ، حيث إن الأصالة تؤدى إلى النجاح ، وهذا يؤدى بدوره إلى الثقة بالنفس من حيث حسن حكمه وتقديره للأمور .

ــ من مزايا الثقة بالنفس دفعها المرء إلى التصدى لمشكلات صعبة قد يحجم عنها الآخرون .

ــ قد يؤدى فرط الثقة بالنفس إلى العجب والغرور ، كذا إلى توكيد الذات وتولد الحساسية ضد التعليق أو النقد ، كما أنه قد يدفع المرء إلى ممارسة العناد الاجتماعى .

ــ يتمتع المرء المبدع بشجاعة معنوية عالية .

وفضلا عن هذه السمات العامة لشخصية المبدع فان هناك صفات أخرى يختص بها المبتكرون من أهل الهندسة منها :

ــ العزم والاصرار على تطويع الظروف المحيطة والسيطرة عليها ، وهذه السمة هى التى يشير إليها جورج برنارد شو بقوله : « المرء المعقول يكيف نفسه على هوى العالم ، أما المرء غير المعقول فانه يصر على محاولة تطويع العالم لذاته ، ومن ثم فان التقدم بأسره يعتمد على المرء غير المعقول » .

ــ التمتع بروح المغامرة وارتياد المجهول .

ــ شدة حب المعرفة العلمية .

ــ الأصالة فى نوعية الأفكار والانطلاق فى طرحها .

ــ الاستقرار العاطفى وانخفاض مستوى القلق العام .

ــ القدرة الفائقة على التفكير المنطقى وتحليل وتفسير الظواهر والنتائج .

ــ القدرة الفائقة على التصور المجسم (فى الفراغ) واستيعاب المفاهيم والمساقط والمسارات ومعالجتها بيسر واقتدار .

ــ القدرة على التخيل المنطلق خارج المحسوسات والملموسات ، أى القدرة على التوجه بالفكر وإعماله خارج أرض الواقع ، إلى عالم آخر من نسج خياله ، هو أقرب إلى التصور الحالم .

ــ مع استيفاء حد أدنى معين من الذكاء ، لم يثبت أن هناك ارتباطا بين الذكاء وبين القدرة الخلاقة .

ــ التوازن بين التصور والخبرة ، وهو ما يمكن من تحقيق الأفكار المبتكرة .

مراحل الفكر الخلاق

يمر الفكر الخلاق بمراحل أساسية تبدأ بمرحلة التعرف على المشكلة أو

تحديدها وتعريفها وهى مرحلة لاشك فى غاية الأهمية ، عنها يقول اينشتين وانفيلد :

« إن صياغة المسألةكثيراً ما يكون أكثر قرباً للأساسيات من حلها ، ذلك الحل الذى قد لا يقتضى أكثر من معالجة رياضية أو مهارة تجريبية ، أما إثارة أسئلة جديدة وامكانيات حديثة وامعان النظر فى مشكلات قديمة من زاوية جديدة ، فان كل ذلك يتطلب تصوراً خلاقاً الأمر الذى يحدو إلى طريق التقدم الحقيقى فى العلم » .

وتلى مرحلة صياغة المسألة مرحلة جمع المعلومات والبيانات والعلاقات العلمية الخاصة بالمشكلة ، ثم تجىء مرحلة الحضانة حيث يجرى تقليب الأفكار واسترجاع واستعراض المعلومات الكامنة وهى المرحلة التى تؤدى إلى تولد الأفكار وإطلاقها من عقالها ، وتعقب ذلك مراحل التجريب والتعديل والتحقق والتقويم .

الانتاجيــة العلمية والتكنولوجية

فى بحث اجراه البروفسور ماركيس MARQUIES الأستاذ بمعهد ماساشوسيت التكنولوجى M.I.T. بالولايات المتحدة الأمريكية بخصوص تباينات القدرة الانتاجية للأفراد ، وجد ماركيس أن صفات :

- الذكاء .
- والمقدرة الابتكارية .
- والتوجه العلمى .
- وعلو الهمة والدافع .
- والسن .

لا تشكل هذه الصفات جميعها إلا من ٣٠ إلى ٣٥٪ فقط من التباينات التى تم تسجيلها فعلا فى القدرة الانتاجية للأفراد ، ومن ثم فان هذه العوامل لا تعطى أمالا عريضة لتحسين السلوك العلمى عن طريق اختيار افضل للأفراد العلميين .

ويخلص ماركيس من دراسته إلى أن أساليب وسياسات وجو العمل فى المختبرات ربما كانت مجتمعة أكثر أهمية بمراحل من التباينات بين الأفراد العلميين ، أو بمعنى آخر فان بيئة أو مناخ العمل يلعب دوراً هاماً ـ إن لم يكن الدور الأهم ـ فى سلوك الفرد المتوسط ، ويرى ماركيس أن هذه النتيجة تصدق بوجه خاص بالنسبة للمهندس المتوسط أما الفرد ذو القدرة الابتكارية العالمية فانه لا محالة مبدع بصرف النظر عن طبيعة مناخ العمل أو نوعية الظروف البيئية التى تتوفر له .

الملكية الصناعية وبراءة الإختراع

تنبهت دول العالم منذ حوالى قرن من الزمان إلى أهمية حماية الملكية



الصناعية فقامت بابرام اتفاقية باريس عام ١٨٨٣ ، تلك الاتفاقية التى جرت مراجعتها عدة مرات ، كان آخرها عام ١٩٦٧ فى ستوكهولم ، ويصل عدد الأعضاء الملتزمين بهذه الاتفاقية فى الوقت الراهن إلى ٨٠ دولة .

وعلى مدى قرابة المائة عام التى مرت على إبرام هذه الاتفاقية نشر عدد من الوثائق الخاصة ببراءات الاختراع يقرب من ١٤ مليون وثيقة ، أما عدد براءات الاختراع الذى يحظى بالحماية القانونية اليوم فانه يصل إلى حوالى ٣٫٥ مليون براءة اختراع . وهنا تجب الاشارة إلى أن الاختراع الواحد لنفس المخترع يجرى إصدار براءات له فى عدة دول ، ومن ثم فان هذه البراءات المتكررة لنفس الاختراع تسمى «عائلة براءة الاختراع» .

وتكون حقوق الاختراع محفوظة لفترة تتراوح بين ١٥ ، ٢٠ عاماً من تاريخ التقدم بطلب البراءة إلا أن بعض الدول تعتبر أن فترة الحماية القانونية تبدأ من تاريخ منح البراءة أو من تاريخ نشرها .

ويبلغ المتوسط الحالى لتزايد وثائق براءات الاختراع حوالى ٩٠٠٫٠٠٠ وثيقة فى السنة الواحدة منشورة بلغات مختلفة .

هذا وتفيد وثائق الأمم المتحدة أن عام ١٩٧٢ ـ على سبيل المثال ـ قد شهد نشر ٩٣٠٫٠٠٠ وثيقة براءة اختراع منها ٥٨٠٫٠٠٠ طلبات منح البراءات (أى بنسبة ٦٢٪ من مجموع الوثائق) ، وحوالى ٣٥٠٫٠٠٠ براءة اختراع ممنوحة (أى بنسبة ٣٨٪ من مجموع الوثائق) .

وبالنسبة للدول العشر ذات أعلى عدد من براءات الاختراع ، فان مجموع هذه البراءات لعام ١٩٧٢ يشكل ٨٣٪ من مجموع وثائق براءات الاختراع المنشورة فى ذلك العام فى العالم أجمع ونفصلها فى الجدول رقم (١) .

جدول (١) وثائق براءات الاختراع للدول العشر الأكثر تقدماً فى العالم (عام ١٩٧٢ م) .

البلد	عدد الطلبات التى لا تزال تحت الدراسة	عدد البراءات الممنوحة	مجموع الوثائق
اليابان	٣٠٠ر٠٠٠	—	٣٠٠ر٠٠٠
ألمانيا الغربية	٩٧ر٠٠٠	٣٩ر٠٠٠	١٣٦ر٠٠٠
الولايات المتحدة الأمريكية	—	٧٥ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠
فرنسا	٣٠ر٠٠٠	٤٢ر٠٠٠	٧٢ر٠٠٠
المملكة المتحدة	٤٢ر٠٠٠	—	٤٢ر٠٠٠
الاتحاد السوفيتى	—	٣٦ر٠٠٠	٣٦ر٠٠٠
إيطاليا	—	٣٤ر٠٠٠	٣٤ر٠٠٠
كندا	—	٣٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠
هولندا	٢٢ر٠٠٠	٤ر٠٠٠	٢٦ر٠٠٠
سويسرا	٥٠٠	١٧ر٠٠٠	١٧ر٥٠٠
المجموع	٤٩١ر٥٠٠	٢٧٧ر٠٠٠	٧٦٨ر٥٠٠

أثر الابتكار فى الإقتصاد القومى

لاشك أن ازدياد الابتكارات فى اية دولة يؤدى حتما إلى نمو عظيم فى دخلها القومى ، ولا أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تضاعف إنتاجها القومى تقريباً فى الفترة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٥ فى حين أن متوسط ساعات العمل السنوية ظلت ثابتة تقريباً فى هذه الفترة ، وينعكس ذلك بشكل حاد فى صناعات الطائرات والتلفزيونات والمسجلات والحاسبات الالكترونية ، ولعل المنافسة الخطيرة التى تجرى فى العالم اليوم تتمثل فى ذلك السباق الرهيب على ابتكار وتطوير وإنتاج الانسان الآلى المسخر (ROBOTS) ، حيث إن اقتناء مثل هذا الانسان المسخر يشكل ثورة صناعية جديدة ، ويبين الجدول رقم (٢) عدد الوحدات العاملة من هذا الانسان المسخر فى دول العالم المتقدمة ، ومن الجلى أن لليابان اليد الطولى فى هذا المجال .

ومن الآثار الجانبية للابتكارات على الاقتصاد القومى دخل الدولة من حقوق التصنيع وحقوق الاختراع .

هذا وتبين المقارنة بين إنجازات الشركات الكبيرة وإنجازات المخترعين والشركات الصغيرة أن إنجازات الأخيرة تتفوق على إنجازات الأولى وذلك إذا ما ادخلنا فى الاعتبار الاستثمارات الموجهة فى هذين المجالين .

جدول (٢) بيان اعداد وحدات الانسان المسخر (ROBOT) فى دول العالم المتقدمة (تقديرات عام ١٩٧٩) .

الدولة	عدد الوحدات العاملة
اليابان	١٠ر٠٠٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٣ر٠٠٠
ألمانيا الغربية	٨٥٠
السويد	٦٠٠
إيطاليا	٥٠٠
بولندا	٣٦٠
فرنسا	٢٠٠
النرويج	٢٠٠
بريطانيا	١٨٥
فنلندا	١٣٠
الاتحاد السوفيتى	٢٥

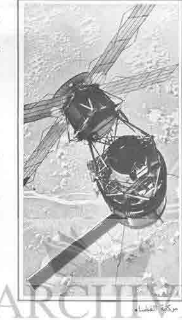
هذا ويعزى تفوق الصناعة فى بعض المدن أو المقاطعات على المدن الأخرى - إلى حد كبير - إلى أن الجامعات فى المقاطعة الأكثر نجاحاً تلعب دوراً أعظم فى تشجيع إنشاء شركات جديدة تقوم على اسس علمية ، كذلك يعزى هذا التفوق إلى الموقف المشجع الذى تتخذه المصارف المحلية فى تمويل مثل هذه الشركات ، ونشير هنا - على سبيل المثال إلى تفوق «بوسطن» على «فيلادلفيا» للسببين المتقدمين .

ويشير فيشر فى تاريخه لأوروبا إلى رواد الثورة الصناعية فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، وكيف أنه بفضل اختراعاتهم ازدهرت الحالة الاقتصادية فى بريطانيا فى ذلك العصر ، يقول فيشر « إن حفنة صغيرة من رجال متميزين من اسكتلنديين وانجليز يقل عددهم عما هو مطلوب لتشكيل فريق كرة قدم ، قد نجحت - بفضل عبقريتها وقدرتها الابتكارية - فى تحويل الحياة الاقتصادية للبلاد » .

العوامل المساعدة على الابتكار والمنشطة لـه

إن تنمية وإذكاء القدرات الخلاقة ليس بالأمر السهل الميسور ، إذ أن هناك عوامل كثيرة تؤثر ولاشك تأثيراً بالغاً على هذه القدرات ، بيد أننا نعرض فيما يلى لبيان الاتجاهات العامة والخبرات المكتسبة فى هذا المجال :

● بالرغم من أن الابتكار أو الابداع لا يخضع للتعليم بالنسبة لأولئك الذين يخلون تماماً من أية قدرات إبداعية ، وبالرغم من أن بعض الرجال يتمتعون بقدر هائل من هذه القدرات بصرف النظر عن ظروف نشاتهم وتعليمهم ، إلا أن قدراً مناسباً من التعليم سيعجل حتماً بتقدم مثل هؤلاء الرجال ودفعهم إلى الصف الأول فى الابتكار والابداع . كذلك فان المران على التصور قد يؤدى إلى قدح زناد فكر أولئك الرجال الذين يملكون


مركبة الفضاء

قدرات إبداعية كامنة لم تتح لها فرصة الاكتشاف أو الظهور .

● ضرورة التزود بقاعدة متينة عميقة وعريضة فى العلوم الاساسية .

● أهمية تشجيع البحث العلمى والتطوير حيث إن الابتكارات التكنولوجية غالباً ما تقوم على ما تتوصل إليه البحوث العلمية ، ومن الممكن ايضاً أن تنبنى هذه الابتكارات على بحوث علمية تجرى خارج البلاد ، أى بحوث مستوردة ، ومن ثم كانت أهمية توفير نتائج البحوث العلمية ، والعمل على تحديث المعلومات بصفة متواصلة ، وإتاحتها لذوى القدرات الخلاقة .

● تشجيع التعليم باستخدام أساليب الحل المبتكر للمشاكل .

● إدخال تعديلات أساسية فى البرامج الدراسية تهدف إلى التصدى لحل المشاكل البعيدة كل البعد عن المشاكل التقليدية أو الروتينية .

● دراسة أمثلة ونماذج لتطور الافكار العلمية والتكنولوجية أو بعبارة أخرى دراسة الحلول المتطورة التى أمكن التوصل إليها وذلك بالنسبة لمشاكل محددة .

● الاهتمام بالتدريب على عمليات التحليل والتكوين .

● الاهتمام باستخدام الحاسبات الالكترونية وإتاحة الفرصة للافادة من هذه الوسائل على أوسع نطاق .

● عقد مسابقات بين الدارسين ، كذا بين الممارسين لتقديم حلول غير مسبوقة لمشاكل غير مألوفة .

● يعد توافر براءات الاختراع حافزاً قوياً على الابتكار ، وهو أمر يدعو إلى قدح الذهن بحثاً عن حلول وأفكار وتصميمات بديلة لتلك الواردة ببراءات الاختراع ، هذا فضلا عن الاغراء المادى الذى يحدو إلى الابتكار .

● العمل على خفض مصادر ضياع الوقت والجهد ، وإعفاء الموهوبين من الأعمال الروتينية والمتكررة .

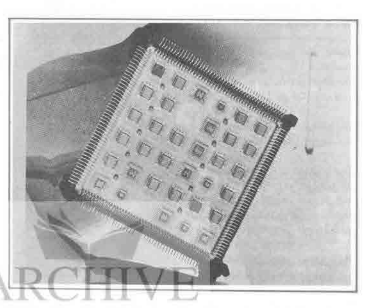
● تترعرع القدرات الابتكارية بالتشجيع والتقدير ، كذا بمواجهة التحديات .

● منح صلاحيات العمل التنفيذى لذوى القدرات الخلاقة .

● توفير المناخ المناسب للمبتكرين ، وذلك من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعملية .

● توفر الدافع القوى وتواجد الحاجة للاختراع ، سواء كانت هذه الدوافع روحية أو فكرية أو اجتماعية أو فيزيائية كذا تنبه المبتكر تماماً لهذه الدوافع سواء فى عقله الواعى أو فى عقله الباطن ، وكما يقولون «الحاجة أم الاختراع» .

● فى دراسة أجراها الأستاذ بلز (PELS) الأستاذ بجامعة ميتشيجان بالولايات المتحدة الأمريكية على ١٣٠٠ من العلميين والمهندسين العاملين فى ١١ مركزاً من مراكز البحوث والتطوير ، وجد «بلز» أن هؤلاء العاملين - موضع الدراسة كانوا أكثر فعالية عندما مارسوا حالة «توتر ابتكارى» بين حال أمن من ناحية ، وحال تحد من ناحية أخرى .



أما الحال الآمن فقد انضوى على أمور عدة مثل تشجيع أفكار المرء واستحسان الجمهور له ، وإتاحة الفرصة له للمناقشة مع رؤسائه إلى غير ذلك من وسائل التشجيع والتقدير ، بينما يأتى التحدى من المناقشات والخلاف فى الرأى بين الزملاء ما بين متحمس لفكرة ومنكر لها ، كذلك عندما يطلب من المرء الاضطلاع بأعمال متنوعة يحتاج فيها إلى اكتساب مهارات جديدة .

● تواجد مصادر تمويل المشروعات الابتكارية مع توفر روح المغامرة لدى جهات التمويل والاستثمار .

العمل فى جماعات

● قد يقتضى التعقيد المتزايد فى المشاكل العلمية والتكنولوجية اللجوء إلى التفكير والعمل الجماعى(٢) إلا أن الاختراع أو الابتكار يبقى ملكة فردية ، وتقدر المخترعات النابعة من الأفراد والشركات الصغيرة بحوالى ٨٠٪ من مجمل الاختراعات .

● عند التصدى للمشروعات شديدة الصعوبة والتعقيد يتعين إحكام التنظيم الفعال لمجموعات من ذوى القدرات الخلاقة لتنفيذ المشروعات بالغة الطموح ، كبرنامج أبولو الأمريكى الخاص بأبحاث الفضاء على سبيل المثال .

● تزدهر القدرات الابتكارية فى المؤسسات العريقة ذات التقاليد الابتكارية ، حيث تضم مثل هذه المؤسسات جماعات متعاقبة من ذوى القدرات الابتكارية مما يرفع معدلات الانجازات على مر السنين .

يكون الانضمام لمثل هذه المؤسسات من أهم الحوافز والدوافع للفرد الموهوب لاستثمار ملكاته الابداعية حيث التقدير والاعزاز .

● يجب التنبه إلى أنه فى بعض الأحيان قد تؤدى زيادة عدد المبتكرين فى مجموعة عمل إلى تدمير نشاطها ، فان مخترعاً واحداً يكفى لطرح افكار كثيرة تكفل دفع عجلة العمل لجماعة كبيرة من أفراد أقل قدرة على الابتكار ، كذلك فان تعطيل أعمال المبتكر وتجاهلها قد يودى بهمته ونشاطه .

● دعم التفاهم والتفاعل البناء والمثمر بين الأفراد والمؤسسات ، ونود أن نشير فى هذا الصدد إلى الحكمة القائلة بأن التفاعل يولد التجديد .

ونسوق هنا مثالا ممتازا للتفاعل المثمر وهو ما كان بين رجل الأعمال ماثيوبولتون (MATTHEW BOULTON) وبين صديقه المخترع الكبير جيمس وات (JAMES WATT) حيث أدى التعاون بين الاثنين إلى اختراع الآلة البخارية ذات المكثف ، تلك الآلة التى دخلت بالبشرية عصر القدرة .

كلمة ختامية

هذا ولقد نوقشت ظاهرة الابداع الخلاق فى مؤتمر عالمى عقد فى ألمانيا الغربية فى شهر مايو من ١٩٧٤ اشترك فيه ٢١ من الحائزين على جوائز نوبل فضلا عن فلاسفة فى العلوم ، وبالرغم من أن المجتمعين توصلوا إلى اتفاق على كثير من السمات والقدرات المؤدية إلى الابداع الخلاق إلا أنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على ما يمكن أن يتخذ من اجراءات ويهيأ من وسائل لتنمية هذه القدرات ، ولقد اكدوا على أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه ، وعلى تعهد الأول للثانى بالرعاية والتوجيه ، ولا غرو فان هناك أمثلة كثيرة على نجاح هذا التفاعل فى الكشف عن المواهب الخلاقة وتنميتها وتوجيهها ورعايتها .

د. جلال شوقي

(١) عن كتاب «ابراهيم بن سيار النظام» تأليف محمد عبد الهادى أبوريده طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة عام ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م ، صفحتا ١١١ ، ١١٢ .

(٢) مثل اللجوء إلى طريقة الزوبعة الفكرية .



أحد الوجوه المميزة التى يصر « فلليني » على ظهورها فى افلامه



لقطة من فيلم « ساتير يكون » الذى يصور انهيار الحضارة



لقطة من فيلم « إني اتذكره » الذى رأينا فيه تأملات المخرج الخاصة

المتفجرة بالحيوية والانطلاق .. وتفيض قلامه بالجراة والمشاعر المتدفقة ، والروح الفكاهية العالمية .. والسمو الملحمى .. ويقف النقاد دائما أمام أعماله بالتامل الطويل والاهتمام البالغ !

وقد عكست أزمة السينما الايطالية همومها عليه .. ولكنه لعشقه للسينما ، ولتعذر وجود الممولين .. اتجـه فى السنوات الأخيرة للتليفزيون .. ليخرج فيلمين « المهرجون » عام ٧٠ ـ و «بروفة أوركسترا» عام ٧٨ .. وأثار الفيلم الأخير ضجة كبرى على مستوى العالم .. لأنه فى هذا الفيلم القصير ـ ٧٠ دقيقة ـ عبر عن الفوضى التى تسود ايطاليا واوربا عموما (مقال الدوحة عدد يناير ١٩٨٠).

ورغم هذا النجاح الفنى .. الا انه كان يشعر بأن مجال العمل المناسب له هـو السينما .. وليس التليفزيون .. ولهذا يقول :

« لا علاقة للتليفزيون بالسـينما .. التليفزيون يقلل من شأن الأفلام ويعمقها .. فالمشاهد لا يستطيع ان يعايش خيال الفنان الا من خلال شاشة السينما .. حيث يكون هو فى موقف الشيء الصغير الحجم بالنسبة لضخامة الشاشة .. والعكس امام التليفزيون .. فالمشاهد هو صاحب السلطة .. فانت لا تخضع للصورة ، ولا تضطر للنظر إليهـا باحترام » !

مدينة النسـاء

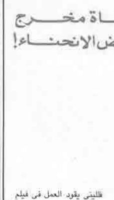
ولهذا عندما فكر فى فيلمه التالى .. وبحث عن ممولين داخل السـينما الايطالية ، فلم يجد .. لجأ فى النهاية الى صيغة المشاركة بين تمويل فرنسى وتمويل ايطالى .. وقدم فيلم « مدينة النساء » الذى ضمنه رحلة غامضة ومثيرة فى عالم المرأة وجمعيات التحرير النسائية ، بكل ما فيها من مناقشـات وصخب ومفاجآت ..

وخلال الساعتين والثلث هى مدة عرض الفيلم .. نحن مع هذا الكاتب : (لعب الدور مارشيللو ماسترويـانى) الذى يجد نفسه مجذوبا بامرأة غامضة تجلس أمامه فى القطار .. وتهبط فى مكان غريب تحيط به غابة كثيفة .. فيتحرك وراءها ليجدها تدخل بناء مغلقا .. فيدخل هو أيضا ليفاجا بمستعمرة نساء !! . وتدور الأحداث داخل هذه المستعمرة التى يبدع فيها فلليني فى تقديم حكاياته المبهرة والغامضـة ونماذجه الانسانية الملخصة تلخيصـا مذهلا .. وينتهى الفيلم لنكتشف ان هذه الرؤية ما كانت الا حلما .. !! ويفيق الكاتب ، والقطار يعبر به نفقا مظلما .. وشعاع من الضوء ينبعث من نهاية النفق .. وكأنه يرمز لميـلاد جـديد سيحدث !

وكما هو الحال فى افلام « فلليني » فقد أثار فيلم « مدينة النساء » جـدلا كثيرا ومحاولات للتفسير .. ولكن بقى الفيلم شامخا كعمل ملحمى يفيض بالجمال والسحر والدهشة !

ورحلة المخرج « فلليني » فى السينما

مأساة مخرج يرفض الانحناء!



فلليني يقود العمل فى فيلم « بروفة أوركسترا »

الايطالية .. رحلة طويلة وغنية .. وكل فيلم من افلامه يحمل رسالة شخصية منه ، هى بعض ملاحظاته ، وتاملاته الخاصة فى الحياة والحب والفن .

ففيلم « $8\frac{1}{2}$ » ـ عام ٦٣ ـ يقدم بعض تاملاته فى مشاعر ومخاوف مخرج سينمائى قبل البدأ فى تنفيذ فيلم .

وفيلم « ساتيريكون فلليني » ـ عام ٦٩ ـ تاملات فى انهيار حضارة .. وان كان يضع الفيلم فى زمن سقوط الامبراطورية الرومانية .. الا انه يشير الى عالمنا الحالى بوضوح .. حيث الأجساد المشوهة ، والوحوش من كل نوع .. وبشر ياكلون لحم انسان ميت فى مقابل الحصول على امواله .. وشاعر فيلسوف ينعى هذا العالم بقوله : « لقد ماتت الفنون .. ماسبب هذا الانحلال ؟ .. هو هو المال .؟ كنا فيما مضى نبحث عن الفضيلة البسيطة والمطلقة .. أما اليوم فاننا بين الموبقات ، اصبحنا عاجزين عن تذوق أى عمل فنى » !!

وفى فيلم « روما ـ فلليني » ـ عام ٧٢ ـ يقدم تاملاته الخاصة فى مدينة روما .. القبح والجمال .. التناقضات والغموض .. وهذا الهدير الجارف من راكبى الدراجات البخارية الذين يزحفون ليلا فى تشكيل ضخم ومرعب .. يكتسحون شوارع روما .. وكانهم النذير بثورة الشباب .!

وفى فيلم « انى اتذكر » ـ عام ٧٣ ـ يقدم تاملاته الخاصة من ذكرياته ايام الصبا والمراهقة .. واكتشاف الحب والحياة .. اللذة والالم ..

وفى فيلم « كازانوفا » ـ عام ٧٦ ـ يقدم رؤيته الساخرة اللاذعة لهذه الشخصية الاسطورية .

الأفلام تختارنى

يقول فلليني « لا تسيطر الذكريات على افلامى .. وساكون كاذباً اذا قلت اننى اتحدث عن نفسى فى افلامى .. بل ان حياتى الخاصة قد تشكلت لان تكون مادة سينمائية » ..

انه لا ينكر ذاتيته .. بل يقول : « اننى لا اعرف أبداً لماذا اختار هذا الفيلم أكثر من ذلك .. بل اننى استطيع ان اقول انه لست انا الذى يختار الفكرة .. بل ان الفكرة هى التى تختارنى » !

هل هو نـــوع من العبقـــرية .. أو الجنون .؟

مهما كان الأمر فهو الجنون الممتع .. الذى يثرى الشاشة بهذه الطاقة المتفجرة من الحيوية والألوان والحكايات المسلية ذات المعانى المكثفة ..

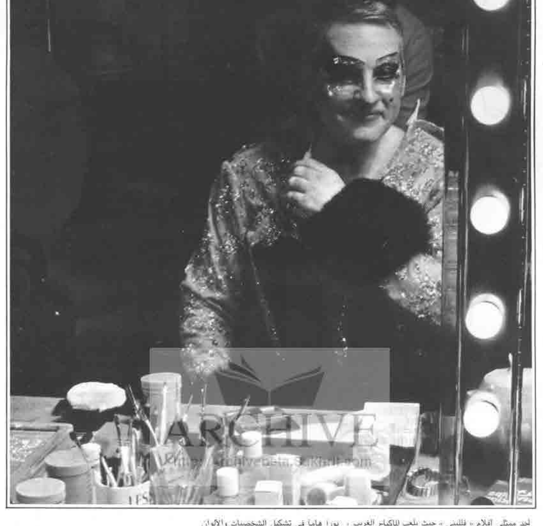
فى فيلم « روما ـ فلليني » يظهر هو شخصياً فى مشهد من الفيلم وحوله بعض الطلبة يسالونه .. لماذا تصف دائما سيرة ذاتية خيالية .. لماذا لا تصنع شيئا اجتماعياً وسياسياً اكثر من ذلك .. شيئا يساعدنا على ان نتعمق فى فهم انفسنا ، وفى فهم المجتمع والحياة . ؟!

وكانما اراد ان يثير هذا التساؤل على السنة الطلبة ، ليقول لهم فى الفيلم .. ولنا ايضا كمشاهدين : « قد يكون من الواجب مساعدة الناس على حل المشكلات الخطيرة .. ولكن حيث اننى لا استطيع ان احل مشاكلى الخاصة .. فانا لا أجد نفسى مستعدا لتناول مشكلات الآخرين » !

وتمضى رحلة الفن بالمخرج «فلليني»



المرأة التى اختارها « فلليني » لتعبر عن فيلمه مدينة النساء



أحد ممثلى أفلام « فلليني » حيث يلعب الماكياج الغريب ، دورا هاما فى تشكيل الشخصيات والألوان

ليجد نفسه الآن متوقفا عن العمل بسبب احجام المنتجين فى السينما الايطالية عن تمويل افلامه .. بحجة ان افلامه تتكلف كثيرا ..

وهو الذى لم يكف طوال عمله فى السينما الايطالية عن التنديد بعقلية المنتجين وحسابات التكلفة والأرباح .. فهو صاحب الرأى الساخر الذى أعلنه عام ٧٥ وقال فيه :

« لا يوجد فيلم ردىء ليس مسئولا عنه أحد المنتجين .. كما لا يوجد فيلم جيد لم يصنع « رغم » المنتج . ان المنتجين لا يقررون فقط المسائل الانتاجية ، ولكن ايضا الجو النفسى للمشاهدين المترددين على دور العرض .. فالسينما التجارية اشبه ما تكون بعملية بيع المخدرات ، نظرا للارباح الضخمة الناتجة منها » .

« اننى اتمنى ان يتم احراق كل الأفلام السخيفة والضارة .. فى ميدان عام على صوت الطبول . وعلى العكس من ذلك فانه يجب بالنسبة للأفلام التى تثرى الانسان ان تلف العالم والا يتوقف عرضها ابدا » .

« ما الذى استطيع اقتراحه غير المقاومة الصلبة . ان يتحالف المخرجون ويعلنوا غضبهم واحتقارهم .. ويتوقفوا عن الانحناء » !

روما .. الحكمة واللامبالاة

ها هو « فلليني » الآن يفكر فى هجرة بلده .. ليتنفس فى مكان آخر .

فهل يستطيع حقا ؟!

لقد قال عن روما عندما اخرج « روما ــ فلليني » .

« روما هى الواقع والطعام والفراغ .. انها مدينة معروفة لى .. وغامضة فى نفس الوقت ..

روما أم تتميز بامومة غير مبالية ، تجعلها جذابة جدا .. ولروما ابناء كثيرون لا تستطيع أن تضمهم كلهم الى صدرها .. وتلك هى روما بين الحكمة واللامبالاة » !

فهل تصبح هجرة عبقرى السينما الايطاليـــــة من بلده .. هى بعض اللامبالاة ؟!

« رءوف توفيق »